كيف ندرس العقيدة؟

نحو ديداكتيك علم التوحيد

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
*
darjundi46@gmail.com
www.for-alquds.org

كيف ندرس العقيدة؟

عزيز أحمد اركيبي
الطبعة الأولى (2021).

*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

كيف ندرس العقيدة؟

نحو ديداكتيك علم التوحيد

الدكتور

عزيز أحمد اركيبي

الطبعة الأولى

2021 م

مقدمة

إنَّ علم التوحيد من أشرف العلوم، وأجلها؛ لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى، وأساس شرائعه. و" لأن شرف العلم وعظمته بحسب المعلوم، ولا معلوم أكبر من ذات الله تعالى وصفاته، الذي يبحث فيه هذا العلم[1]."

ولذا؛ أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قالالله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء.: 25 وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية، وشهد به اله ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾آلعمران18 .

ولما كان هذا شأن التوحيد؛ كان لزامًا على كل مسلم أن يعتني به تعلُّمًا، وتعليمًا، وتدبُّرًا، واعتقادًا؛ ليبني دينه على أساس سليم، واطمئنان، وتسليم، يسعدُ بثمراته، ونتائجه. و لكن كيف السبيل إلى ذلك، و كيف نعلم التوحيد و كيف ندرس العقيدة ؟

إن السبيل لبلوغ هذه المرام العالية يكمن فيتيسيرتعلم قواعد علم التوحيد وأسسه و مسائل هل لصغار قبل الكبار، ولما كانت مباحث علم التوحيد تستدعي استيعابا قلب ياوروحيا ووجدانيا، كان لزاما من التدرج في عرض معارفهذا العلم الجليل، ومقاربة ذلكم نخلا لاختيار مضامينه بحسب سياقات تعلمه.

والتوحيد له قاعدة و أساس في قلب كلإنسان، والفطرة السليمة تظهره، وغبار الشك قديل في تالغفلات، وهجوم الشبهات ومنافذ اللذات في كثير من

---

(1) عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي : كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

ضعف الفترات.. وقد أقام الله الحجة على عباده في أصلا بآبائهم، وشهدوا على أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف(172)

ومن ذلك حرص المسلم ونعلى تركيز أسس علم التوحيد والعقيدة الصحيحة في قلوب ونفوس أبنائهم، وجعل واكلام الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح في هذا الفن قدوتهم وطريقتهم.

وكان المسجدو الكتاب يربي أبناء المسلمين على التوحيد، ويردونمنه العقيدة الصافية ويقوم بهذا العملال جليل بكل انسيابية، ومضى زمن جميل على ذلك ودخلت المدرسة الحديثة إلى البلدان الإسلامية، فخَ فتَدور هذه المؤسسة التربوية في تعليم أصول العقيدة وأركان الإيمان.

وأصبحت علم علم التوحيد محصورا على بعض الإشارات، التي تزين بعض المضامين المحتشمة في مادة تعليمية تسمى التربية الإسلامية.

فكان من الواجب على المربيين في الروض والأساتذة في المستوى الابتدائي والإعدادي و حتى التأهيلي، أن يطور وامن قدراتهم التعليمية واستراتيجياتهم التعلمية لإنقاذ عقيدة النشء، وخصوصا وأنها تتعرض لحربض روسمن التشكيك والاستخفاف والاستهزاء بمقوماتها.

وأضحى من المفروض الإفادة من أسس التربية الحديثة حتى يمكن لتدريس علم التوحيد أن يجد مكانه بين العلوم والمواد الدراسية.

ولما تكاثرت الشبهات في عصرنا المفتون، أصبح من الضروري أن يتسلح المدرس بكل أساليب الحجاج والاستدلال لإقناع المتعلم بحسب قدراته العقلية والتصورية.

ومادة التربية الإسلامية إلى جانب المواد الأخرى – كالفلسفة – قد تكون رائدة لتصحيح مسارات المنهج العلمي الموضوعي في مناقشة مواضيع علم التوحيد..

هذا التدرج في إكساب واكتساب المعارف الإيمانية المجردة، من توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ أصبح ضرورة تعليمية للحفاظ على الهوية الدينية والوطنية.. وأصبح اختيار المضامين بحسب السياقات التعليمية المختلفة وظيفة ديداكتيكية لايمكن تجاوزها بحال من الأحوال..

فكيف يمكن للمناهج أن تسطر للمدرس خريطة تعليمية تيسر لها ستيعاب المضامين في أصولها العليا عند علماء المسلمين في العصور المتقدمة؟ وكيف يمكن وضع مضامين تعليمية مناسبة داخل سياق تربوي غريب عن طبيعة تعلم هذا العلم؟

إن تعلم علم التوحيد وفهم أصول العقيدة وأركان الإيمان وتناول معطياته في حصص مادة التربية الاسلامية، يجب أن يخضع مصادر هذا العلم لتحليل ديداكتيكي عميق ودقيق، يختار المضامين المناسبة، والتي يمكن استثمارها بيد اغوجيافي وضعيات حقيقية دالة تمكن المتعلم من اكتسابها تدريجيا ..

كما أن التدخلات التربوية للمدرس يجب أنت أخذ بعين الاعتبار مراحل نمو التلميذ وتطورقدراته التعلمية عامة وقدراته العقلية على وجه الخصوص.

فالغاية من هذا الكتاب ليس فتح باب الجدال والخلافات الكلامية العقيمة، ولا ترديد ماسبقت أليفه فيعلم التوحيدو العقيدة – دون الاستغناء عنه – ولكن محاولة مساعدة المعلمين والمتعلمين في اكتساب هذا العلم في السياقات التربوية الحديثة.

كما أن منطق علم التوحيد وما يترتب عنه من انتماء ديني يحتمال تعامل معه في جميع الحصص وعبر جميع المواد التعليمية داخل المؤسسة.. ومحاولة تصحيح ما قد تخطئ فيه مؤسسة الأسرة خاصة، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية بصف

عامة... لكي تسهم تعلمات مبادئ هذه العلم في تجنب تبعيات الفهم الخاطئ للعقيدة، و التي أدت إلى ظهور اجتهادات غريبة عن صفاء التوحيد، من تطرف في الفكر و تكفير الناس بغير وجه حق، و إرهابهم و قتلهم و إعلان الحرب على كل معارض، و لن يتأتى ذلك إلا بتحليل علمي و ديداكتيكي لأصول هذا العلم الشريف، و انتقاء مضامينه بكل دقة و سداد ..

لتحقيق هذه الأهداف لابدفي البداية تحديد معاني المفاهيم المفاتيح والوقوف عن الفروق، بين مصطلحات علم التوحيد والعقيدة والإيمان، و غيرها من المصطلحات و المفاهيم التي تقارب معارف هذا العلم الجليل. ثم ننتقل بعد ذلك لتحديد مفهوم ديداكتيك علم التوحيد وعلاقته بديداكتيك مادة التربية الإسلامية...

ولكن قبل ذلك لابد من الوقوف عن العلوم الإسلامية التيتؤ طربناءماهية علم التوحيد و المكانة التي تحتلها في برامج مادة التربية الإسلامية. و يشكل كل ذلك الإطار النظري لهذا البحث التأصيلي، و تبقى محاولة تنزيل المضامين المناسبة لعلم التوحيد عبر وضعيات واقعية محفزة الإطار العملي و التطبيقي، و الذي يمكن اعتباره التتويج المرتقب لهذا العمل و العلامة المميزة في حقل البحوث التربوية الإسلامية ..

و الله من وراء القصد و هو الهادي إلى سواء السبيل ..

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات علم التوحيد

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات علم التوحيد

إن الكلمات والمصطلحات المرادفة أو القريبة من علم التوحيد كثيرة، وأشهر الأسماء و المسميات المعتبرة عند العلماء: العقيدة، والإيمان، والسنة، وأصول الدين، والشريعة، والفقه الأكبر.

ونقف عند أهم هذه المصطلحات من حيث معناها وما تقدمه من فرضيا تتخدم تقريب مضامين هذا العل ممن القدرات التعليمية في مختلف المستويات الدراسية، ونبدأ بمصطلح علم التوحيد.

المبحث الأول

مصطلح علمالتوحيد

التوحيد في اللغة مصدر وحّـدي وحدت وحيدا، ووحَد الشيء أيجعل هـو احداً..

أمّاالمعنى الاصطلاحي، فقد تشعب بحسـب مـوارد المـدارس الفكريـة الـتي حاولت تدقيق معناهو الوقوف على ماهيته، و لـن نفصـل في أقـوال الفلاسـفة و المتكلمين لأن ذلك لا يفيد في تحقيق أهداف الدراسة ..و نكتفي بتعريفات بعـض العلماء المبرزين:

" التوحيد هو إفراد الله بالعبادة" أي أن تعبد الله وحده لا تشرك بـه شـيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلاً، ولاملكاً مقرباً ولا رئيساً ولا ملكاً ولا أحداً من الخلـق، بـل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيماً، ورغبة ورهبة، وهنـاك تعريـف أعـم للتوحيـد وهو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به[1]، و هو تعريف شامل جـامع للشـيخ لعثيمين رحمهالله[2].

---

(1) محمد بن صالح بن محمد العثيمين: شرح ثلاثة الأصول دار الثريـا للنشـر الطبعـة: الطبعـة الرابعة 1424هـ - 2004م.ص 3.

(2) الشيخ ابن عثيمين من آل مقبل من قبيلة بني تميم، جـده عثمـان اشـتهر بعثـيمين فصـارت الأسرة تنسب لهذا الجد وهو الجد الرابـع. ولـد ليلـة الجمعـة في السـابع والعشـرين مـن رمضـان 1347هـ في مدينـة عنيـزة إحـدى مـدن القصـيم. بـدأ تعلـم مبـادئ الكتابـة في "الكتاتيب" وتعلم الحساب وحفظ القـرآن في سـتة أشـهر عنـد المعلـم الكفيـف عبـد الله الشحيتان. بدأ في طلب العلم وهو في التاسعة من عمره تقريبًـا، قـرأ علـى الشـيخ محمـد المطـوع وعلـى الشـيخ علـي الصـالحي والشـيخ عبـدالرحمن بـن عـودان ثـم علـى السعدي. ابتدأ العثيمين في الدراسة علـى السـعدي عـام 1365هـ ولازمـه حتـى عـام 1376هـ.قرأ عليه في أغلب الفنون. بعد سبعة سنين من ملازمـة تامـة لشـيخه السـعدي،

كما عرفه الإمام الطبري[1] في تفسير قول الله "إِلَهاً وَاحِداً" البقرة 133 بقوله "أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً[2]".

تأهل العثيمين لتدريس المبتدئين تحت توجيه السعدي وإشرافه في عام 1371هـ. التحق العثيمين بالمعهد العلمي بعد افتتاحه بسنة بمشورة من شيخه علي الصالحي وإذن من شيخه السعدي عام 1372هـ، و أشهر مشايخه في المعهد العلمي:محمد الامين الشنقيطي. و عبدالعزيز و ابن باز.محمد ابن ابراهيم. وعبدالرزاق عفيفي. بعد أن تأهل العثيمين وفاق أقرانه اختير ليبذل ما عنده من علم في معهد عنيزة فجلس فيها للتدريس ووضع المناهج الدراسية لكل مرحلة. مما وضعه العثيمين من المناهج في المعهد العلمي مقرر في أصول الفقه ومصطلح الحديث ومن المواد التي درسها زاد المستقنع. بعد وفاة السعدي دخل ابن عثيمين في مرحلة جديدة وهي بذل العلم في الجامع الكبير بحلقه وخطبه وفي المعهد ثم الكلية بفصولها وقاعاتها ومناهجها، كان ابن عثيمين يوصي في اخر حياته:بالجد في الدعوة.التيسير على الناس.نبذ الفرقة والاختلاف بين الدعاة، توفي العثيمين رحمه الله يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال لعالم 1421هـ.

(1) عرف بـ"أبو جعفر الطبري"، وقد ولد في 224 هـ الموافق 839م، بمدينة طبرستان وتوفي في 310 هـ الموافق 923م. جمع الطبري بين علوم التفسير والفقه والتأريخ وعرف بميله لعدم التقليد، نشأ ب في كنف والده الذي اهتم به منذ الصغر، حيث رأى فيه ذكاء ونبوغا وحباً للعلم.وبهذا استطاع أن يحفظ القرآن في السابعة من عمره، وتوجه بعدها إلى مدارس العلماء والفقهاء ليأخذ منهم؛ تميز بالورع والزهد، حيث اقتصر في معيشته على ريع بستانه الخاص الذي ورثه عن أبيه، ورفض أية عطايا من الآخرين والملوك، حيث مال طوال حياته للزهد في الدنيا. عرف بعفة اللسان وعدم ميله لإيذاء الناس، كما لم يعرف التكبر أمام أصحابه وزملائه وطلابه، أو أنه كان يحمل الغل في قلبه .وكان قد اتهم مرات بالأباطيل وأصابها منها المحنة الشديدة التي تعرض لها في أواخر أيامه بسبب الخلافات المذهبية في عاصمة الخلافة بغداد، وعاش على إثرها محاصرا في بيته إلى وفاته.

(2) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري جامع البيان في تأويل القرآن: تحقيق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م3/ 99.

كما عرفه الإمام أبو حنيفة بقوله:" الله تَعَالَى وَاحِد لَا من طَرِيق الْعدَد وَلَكِن من طَرِيق انه لَا شريك لَهُ لم يلد وَلم يُولد وَلم يكن لَهُ كفوا أحد لَا يشبه شَيْئا من الْأَشْيَاء من خلقه وَلَا يُشبههُ شَيْء من خلقه لم يزل وَلَا يزَال بأسمائه وَصِفَاته الذاتية والفعلية[1].

و هكذا فالتوحيد هو: إفراد الله – تعالى - بما يختصبه من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وهذا التوحيد لايكون إلا بنفي وإثبات وهما ركنا كلمة التوحيد" لاإله" نفي" وإلا الله" إثبات" أيلا إله معبود بحق إلاالله. و التوحيد إقرار لله بوحدانيته، واتصافه بالمحامد، وتنزيهه عن النقائص، وطرد الإشراك به عبادة واستعانة ...

ويُعرّف الإمام ابن القيم– رحمه الله - التوحيد بقوله:" ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لاخالق إلا الله، وأن الله رب كلشيء ومليكه، كما كان عبّاد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بلا لتوحيد يتضم نمحبة الله، والخضوعله، التذل لعلى بابه، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، مما يحول بينصاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها"، فتوحيد فتوحيد القلبي تضمّن المعرفة الحقيقية لمعنى التوحيد بما فيهمن النفي والإثبات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" منقال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد مندون الله، حرم مالهو دمه وحسابه على الله"[2].

---

(1) أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه: الفقه الأكبر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية الطبعة: الأولى، 1419هـ – 1999مص 14.

(2) محمد بن أبي بكر أيوبالزرعي أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين تحقيق: محمد حامد الفقيدار الكتاب العربي – بيروت.الطبعة الثانية، 1393 – 1973 .1/ 330.

ولعلالسبب في إطلاق اسم التوحيد على هذا العلم، هو أن مبحث وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته، وأفعاله هو أهم مباحث هذا العلم، فهو من بابتسمية الكلب أشراف أجزائه، أوتسمية العلم بأشهر بحوثه، و قد اقترن التوحيد بتصنيفات عدة حصرته في أقسام و أنواع متعددة عند العلماء المتبعين نذكر أهمها :

تصنيفات علم التوحيد و أنواعه

التوحيد نوعان: النوع الأول و أطلق في باب الأمر و له عدة مصطلحات و هي:

1. توحيد العبادة.
2. توحيد الألوهية.
3. توحيد الغاية.
4. توحيد القصد والطلب.
5. توحيد الإرادة.
6. توحيد الشرع والقدر.

وهذه المصطلحات من مسميات السلف الصالح و تستخدم في توحيد العبادة.

أما توحيد الغاية لأنه هو الغاية من خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾الذاريات:56..

و توحيد القصد والطلب لأنه يتعلق بنية الإنسان في الحياة، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ...." الحديث ..

و التوحيد في الاستجابة والعبادة والعمل، فالإيمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان.

-وسُمِّي أيضاً بتوحيد الألوهية لأنه معنى قول العبد: لا إله إلا الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "توحيد العبادة هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن يقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه ..."

-وسمِّي أيضاً توحيد الإرادة لأن من وحَّد الله في العبادة تطابقت إرادته مع إرادة الله الشرعية مع إرادة الله الكونية، وإرادة الله الشرعية هي الأوامر والأحكام التكليفية، فإرادة العبد انطبقت مع إرادة الله الشرعية، وتنطبق تلقائياً مع إرادة الله الكونية والتي هي مشيئته سبحانه وتعالى. إذاً، سُمي هذا التوحيد بتوحيد الإرادة لتوافق إرادة العبد مع إرادة الله الشرعية، وأما إرادة الله الكونية فستقع لا محالة، سواء اختار العبد الطاعة أو اختار المعصية.

وسمي هذا التوحيد بتوحيد الشرع والقدر لأن العبد لا يَسلم إلا إذا آمن بقدر الله وعمل بشرع الله، فيؤمن بأن كل شئ سيقع وفق ما قدَّر رب العزة والجلال ..

وأما النوع الثاني من التوحيد الذي يتعلق بباب الخبر له أيضاً عدة مصطلحات أطلقت في الشرعوهي:

1. توحيد الوسيلة.
2. توحيد الربوبية والأسماء والصفات.
3. توحيد المعرفة والإثبات.
4. توحيد العلم والخبر.

- سُمِّي بتوحيد الوسيلة لأن المعرفة بهذا التوحيد حجة لأن يُنفذ العبد الغاية من خلقه، فالإيمان بالربوبية وبالأسماء والصفات سُمي بتوحيد الوسيلة على اعتبار أن العبد إذا وحَّد الله في هذا النوع من التوحيد يجب عليه أن يُنفِّذ النوع الآخر وهو توحيد الغاية أو توحيد الألوهية.

فتوحيد العبادة يدل على توحيد الربوبية والأسماء والصفات بالتضمن، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأما توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر وقرره أهل الكلام في كتبهم فلا يكفي وحده، بل هو الحجة عليهم كما بين ذلك سبحانه في كتابه الكريم في عدة مواضع، ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"

- وسُمي بتوحيد العلم والخبر لأن إثبات هذا النوع من التوحيد غير مبني على العقل وتقديم العقل على النقل، ولكنه مبني على العلم بالأخبار التي جاءتنا عن الله تعالى، فيأتينا الخبر فنصدقه، فباب المعرفة بهذا النوع من التوحيد هو النقل، فمعرفة أسماء الله وأوصافه والقضاء والقدر يكون عن طريق النقل، وسُمي توحيد المعرفة والإثبات على هذا الأساس.

وسُمي بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات لأنه مبني على أن تُثبت ربوبية الله لخلقه، بأنه الخالق الذي دبَّر الأشياء بتدبيره الكوني والشرعي، لأن معنى الربوبية يقوم على هذين الركنين، وكذلك توحيد الأسماء والصفات بسبب أنه ليس هناك آية من الآيات إلا وستجد فيها إما دعوة إلى توحيد العبادة أو توحيد الربوبية أو توحيد الأسماء والصفات ثم إن ماعدا مبحث الوحدانية قائم ومعتمد عليه، فهو الأصل الذي يتفرع عنه غيره، ومنه مسمى علم العقيدة.

المبحث الثاني

مصطلح علما لعقيدة

العقيدة في اللغة: من العقد؛ وهو الربط، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والشدبقوة، والتماسك، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم.، وَالَّذِي صَرَّحَ بِهِ أَئِمَّةُ الاشتِقَاقِ: أَنَّ أَصلَ العَقْدِ نَقِيض الحَلِّ، عَقَده يَعْقِده عَقْداً وتَعْقَاداً، وعَقَّده، وَقد انْعَقد، وتَعَقَّدَ، ثمَّ اسْتُعْمِل فِي أَنْواعِ العُقُودِ من البُيوعاتِ، والعُقُود وَغَيرهَا، ثمَّ استُعْمِل فِي التصميم والاعتقادِ الجَازِم. وَفِي اللِّسَان: يُقَال عَقَدْتُ الحَبْلَ فَهُوَ مَعْقُود، وكذلك العَهْد، وَمِنْه عُقْدةُ النِّكَاح، وانعقَد الحَبْلُ انعقاداً . ومَوْضِعُ اعَقْده من الحَبْل: معْقَد، وجَمْعُه: المَعَاقِدُ. وعَقَدَ العَهْدَ، واليَمِينَ، يَعْقِدُهما عَقْداً وعَقَّدهما: أَكَّدَهما[1]، قالالله تبارك وتعالى: "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدتُمُ الْأَيْمَانَ " المائدة89.

والعقيدة: الحكم الذي لايقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل . والجمع: عقائد :وخلاصته ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة، سواء كان حقاً، أم باطلاً.

أما العقيدة في الاصطلاح: فهي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولايخالطها شك؛ فإن لميصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لايسمى عقيدة.

---

(1) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي "تاج العروس من جواهر القاموس" مادة: عقد. دار الهداية،8/ 394.

والعقيدة الإسلاميَّة: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر مائبَتَ من أُمور الغيب، وأصول الدِّين، وما أجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

و يبقى علم العقيدة وعلم التوحيد مترادف ان عند أهل السنة، وإنما سميع لم التوحيد بعلم العقيدة بناء على الثمرة المرجوة منه، وهي انعقاد القلب انعقاد اجازم الا يقبل الان فكاك...وقد يفرق بينهما اصطلاح اباعتبار أن علم التوحيد هو العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضية، وأن علم العقيدة يزيد عليه برد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية، في جتمع ان في معرفة الحقب دليله، وتكون العقيدة أعم موضوعا من التوحيد لأنها تقرر الحق بدليله وترد الشبهات وتناقش الديانات والفرق، وقد جرى السلف على تسمية كتب هم في التوحيد والإيمان بكتب العقيدة، كما فعل أبوعثمان الصابوني[1] رحمه الله في كتابه" عقيدة السلف أصحاب الحديث"

---

(1) الإِمَامُ العَلاَّمَةُ القُدْوَةُ المُفَسِّرُ المُذَكِّرُ المُحَدِّثُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ أَبُو عُثْمَانَ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَحْمَدَ بنِ إِسْمَاعِيْلَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ عَابِدِ بن عَامِرٍ النَّيْسَابُوْرِيُّ الصَّابُوْنِيُّ.وُلِدَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسَبْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَة.وَأَوّل مَجْلِس عَقده لِلْوَعْظِ إِثر قَتْلِ أَبِيْهِ فِي سَنَةِ ثِنْتَيْنِ وَثَمَانِيْنَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِيْنَ.و وَعَظَ المُسْلِمِينَ سبعينَ سَنَةً وَخَطَبَ وَصَلَّى فِي الجَامِعِ نَحْواً مِنْ عِشْرِيْنَ سَنَةً وَكَانَ حَافِظاً كَثِيْرَ السَّمَاعِ وَالتَّصَانِيْف حريصاً عَلَى العِلْم، وَرُزِقَ العِزَّ وَالجَاهَ فِي الدِّين وَالدُّنْيَا وَكَانَ جَمَالاً لِلبلد مقبولًا عند المُوَافِق وَالمُخَالف مجمعٌ عَلَى أَنَّهُ عديمُ النّظير وَسيفُ السُّنَّةِ وَدَامغُ البِدعَة، وَكَانَ مُشْتَغِلاً بِكَثْرَةِ العِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ حَتَّى كَانَ يُضْرَبُ بِهِ المَثل.تُوُفِّيَ أَبُو عُثْمَانَ فِي المُحَرَّمِ سَنَة تِسْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي

والإمام اللالكائي رحمها الله في" شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"[1]

وإنقيل: لايجوز شرعًا استعمال مصطلح عقيدة؛ لأنه لميرد في كتاب الله – عز وجل – ولا في سنَّة رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فجوابه: أن لا مشاحَّة في الاصطلاح.

وليست العِبرة بالتقسيم؛ إن ما العِبرة بالمعنى، والمسميات والتقسيمات اجتهادية، فإذا كان هذا الاصطلاح استُخدِمَ في معنى صحيح، ولم يتضمَّ نمعنى فاسدًا، ولميُخالف الشرع، ولم يختصَّبه أهل البدع، فلا بأسبه. ومِن أسماء العقيدة الصحيحة عند بعض العلماء " السنَّة"

(المتوفى: 748هـ) دار الحديث- القاهرة الطبعة: 1427هـ-2006م الطبقة 24 ج13 ص 299 و 300.

(1) الإِمَامُ الحَافِظُ المُجَوِّدُ، المُفْتِي أَبُو القَاسِمِ، هِبَةُ اللهِ بنُ الحَسَنِ بنِ مَنْصُوْرٍ، الطَّبَرِيُّ الرَّازِيُّ، الشَّافِعِيُّ اللاَّلْكَائِيُّ، مُفِيْدُ بَغْدَاد فِي وَقْتِهِ.قالَ الخَطِيْبُ: كَانَ يَفْهَمُ وَيَحْفَظُ، وَصَنَّفَ كِتَاباً فِي السُّنَّة، وَعَاجلَتْهُ المَنِيَّة، خَرَجَ إِلَى الدِّيْنَوَر، فَأَدركه أَجلُه بهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَة ثَمَان عَشْرَةَ وَأَرْبَع مائة سير أعلام النبلاء الطبقة 23 ج 13 ص 136.

المبحث الثالث

مفهوم السنة

والسنة في اللغة: من سن يسن سنا فهو مسنون، و سن الأمر بينه، و السنة على وزن فعلة بمعنى مفعولة، وجمعها السنن، و تعني الطريقة، مرضية كانت أو غير مرضية[1]، وهي كذلك الطريقة المسلوكة محمودة كانت أو مذمومة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غيرأن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[2].

و السنة في الاصطلاح "الطريقة المسلوكة في الدين": و هي التي سلكها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وغيره ممن هم عَلَم في الدين، كأصحابه – رضي الله عنهم -لقوله عليه الصلاة والسلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها"[3]

---

(1) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني كتاب التعريفات: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م

(2) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة و لو بشق ثمرة أو كلمة طيبة و أنها حجاب النار.تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروتالحديث 1017 ج2/ 704.

(3) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني سنن أبي داود أول كتاب السنن 6-باب لزوم السنة تحقيق: شعَيب الأرناؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، 1430 هـ.ج 7/ 16.

وتطلق السنة أيضا على ما صدر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير.فهي مصدر من مصادر التشريع كالقرآن الكريم.

وعلماء الحديث يريدون بالسنة: ما نقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقيه أو سيرة مطلقا. وهي بهذا مرادفة لمعنى الحديث.

وليس المقصود بالسنَّة هنا الاصطلاح الفقهي، أوالاصطلاح الأصولي المتعلِّق بالأحكام التكليفة، وهي أن السنَّة ما يُثاب فاعلها ولايُعاقب تاركها، هذا اصطلاح خاص عند الفقهاء، لكن السنَّة كمُصطلح شرعيٍّ ورَد في النصوص النبوية يُرادبه العقيدة الصحيحة..

وتُطلَق السنَّة بمعنى شرعيٍّ عام يشمل ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخلفاؤه الراشد ونمِن الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنَّة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمً الايُطلِقون السنة إلا على مايَشمل ذلك كله. و ما يقابل كل ذلك بدعة، و البدعة في اللغةً: كل حادث وجديد على غيرِ مثال سابق، سواء كان في الدين أم لا ؛واصطلاحًا: فهي ـ كما عرفها الشاطبي [1]: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، و وردت البدعة بهذا المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم: ".....وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"[2].

---

(1) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي الاعتصام تحقيق: سليم بن عيد الهلالي الناشر: دار ابن عفان، السعودية الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.ج 1 / 50.

(2) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي: المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، كتاب صلاة العيدين، كيفية الخطبة تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ا: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، 1406 – 1986.ج 3/ 188.

و لـذلك فصـل العلمـاء في البـدع و أقسـامها، و الـذي يلامـس موضـوع الكتاب و المؤلف هو البدعة الاعتقادية، وهي اعتقاد شيء على خـالف مـا عليـه النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه سواء أكان مـع الاعتقـاد عمـل أم لا ومـن أمثلة ذلك : بدع الخوارج والمعتزلة والجهميـة والقدريـة والرافضـة والمرجئـة ومـا تفرع منها وهي متفاوتة بحسب بعدها عن أصول الدين وقربها.

وقد أطلق العلماء على العقيدة الصحيحة اسم" السنَّة"؛ لتمييزها عن عقائد ومقولات هذه الفِرَق الضالة؛ لأن العقيدة الصحيحة مُستمَدة مِنسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي هيمُبيِّنة للقرآن.[1]

وقد ساد إطلاق مصطلح السنَّة على العقيدة في القـرن الثالـث الهِجـري في عصر الإمام أحمد بن حنبل[2]، حين ظهـرت الفِرَقوراجَتعقائـد المعتزلـة والرافضـة

---

(1) عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين : تسهيل العقيدة الإسلامية، دار العصـيمي للنشـر والتوزيعالطبعة الثانية.

(2) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن ولد في بغـداد، في شـهر ربيـع الأول سـنة 164 هـ، وتنقل بين الحجاز واليمن ودمشق.سمع من كبار المحدثين ونال قسطاً وافراً مـن العلـم والمعرفة، ولم يكن ابن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا.مذهبه من أكثر المذاهب السنية محافظة على النصوص وابتعاداً عن الرأي. لذا تمسك بـالنص القرآنـي ثم بالسنة ثم بإجماع الصحابة، ولم يقبل بالقياس إلا في حـالات نـادرة، اشـتُهِرَ الإمـام أحمـد بـن محدِّث أكثر من أن يشتهر أنه فقيه، مع أنه كان إماماً في كليهما، أثرت عن الإمام أحمـد بـن حنبل الكثير من المؤلفات لكن أعظمها هو كتاب مسند أحمد في الحديث النبوي، فهـو مـن أشهر كتب الحديث وأوسعها، يحتوي على ما يزيـد علـى 26 ألـف حـديث نبـوي، وفيـه الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا توجد في الصحيحينتوفي الإمام أحمد بن حنبل يـوم الجمعة 12 ربيع الأول سنة 241 هـ، وله من العمر سبع وسبعون سنة.وقد اجتمع الناس يوم جنازته حتى ملؤوا الشوارع. وحضر جنازته من الرجال مائة ألف ومن النسـاء سـتين ألفاً، غير من كان في الطرق وعلى السطوح،و قيل أكثر من ذلك انظر.سير أعـلام النـبلاء للإمام الذهبي، الطبقة 12 مؤسسة الرسالة الطبعة 3 1405هـ/ 1985م.ج1/ 197.

والصوفيَّة وأهل الكلام، فأخذ أئمة الإسلام - حينذاك – يُطلِق ونعلى أصول الدِّين ومسائل العقيدة: " السنَّة"؛ تمييزً الها عن مَقولات الفِرَق[1].

وقد اعتبر العلماء معنى السنَّة: اتباع العقيدة الصحيحة، وأطلقوا على عقيدة السلف الصالح اسم" السنة"؛ بسبب اتباعهم لطريقة رسول الله – صلى الله عليه وسلم - وأصحابه – رضي الله عنهم - فيذلك.[2]

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت اسم السنَّة: كتاب" السنة"؛ للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب" السنة"؛ لابن أبي عاصم، وكتاب" السنة"؛ للأثرم، وكتاب" السنة"؛ لأبي بكر المروَزي، وكتاب" السنة"؛ لأبي بكر الخلال، وكتاب "السنة"؛ لمحمد بن نصر المروَزي. و سنقف على أهم هذه المؤلفات عند الحديث على مراحل التدوين في علم التوحيد .

ومِن مسميات العقيدة الصحيحة: أصول الدِّين، و هذه التسمية طرحت إشكالات إيتيمولوجية و إبستمولوجية بين العلماء المسلمين القدامى و المحدثين .

مصطلح أصول الدين

مصطلح "أصول الدين "مركب إضافي من "أصول"، و"دين."

أما الأصول، فمفردها أصل .ومعناه لغة،الأساس أو ما يبتنى عليه غيره؛ كأساس المنزل، وأصل الشجرة، ونحو ذلك.والأصل اصطلاحا: ما له فرع؛ لأن الفرع لا ينشأ إلا عن أصل.

والدين في اللغة: الذل والخضوع. والمراد به دين الإسلام، وطاعة الله، وعبادته وتوحيده، وامتثال المأمور، واجتناب المحظور، وكل ما يتعبد الله عز وجل به.

---

(1) د عثمان جمعة ضميرية: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تقديم: الدكتور عبد الله بن عبد الكريم العبادي. مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة: الثانية 1417هـ- 1996 م.ص96.

(2) الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي: المفيد في مهمات التوحيد، – دار الاعلام الطبعة: الأولى 1422هـص 16.

فتكون أصول الدين- على هذا، القواعد والأسس التي تصح بها العبادة، وتتحقق بها طاعة الله ورسوله بامتثال المأمور، واجتناب المحظور؛ لأن الاعتقاد هو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحتها.

فأصول الدين، هي ما يقوم وينبني عليه الدين. والدين الإسلامي يقوم على عقيدة التوحيد. ومن هنا سمي علم التوحيد أو علم العقيدة بـ"علم أصول الدين."[1]

و قد اختلف العلماء في مسألة تقسيم الدين إلى أصول و فروع بين أهل السنة و أهل البدع:

فمن أثبته وتكلم به من أهل السنة قصد بالأصول: الأمور العظيمة، التي يتوقع من عموم المسلمين معرفة مرتبتها من الدين، وجاء الدين بتعظيمها وتفضيلها على غيرها، ورتب على تركها ذما ووعيدا، أو ما يقارب ذلك من المعاني، ثم جعلوا الفروع ما دون ذلك.

ومن نفاه من أهل السنة فعله لما يترتب على التقسيم من أمور تخالف الشرع، كما فعل أهل البدع، حينقسموا الدين إلى "قشر ولباب" أو من زعم من المجتهدين "أنه لا عذر بالجهل في أصل الدين والتوحيد وقد يعذر المرء في فروعه وشرائعه" إلى غير ذلك...

والمتكلمون من الفلاسفة اعتبروا أن الفروع هي ما اشترك في إثباتها العقل والنقل، والأصول هي ما استقل بها العقل " إِذْ يدْخل عَلَيْهَا وجوب معرفَة الله

---

(1) الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي: المفيد في مهمات التوحيد 13: دار الاعلام الطبعة: الأولى 1422هـ- 1423هـ.

تَعَالَى وَمَعْرِفَة صِفَاته، وَوُجُوب معرفَة النُّبُوَّة " .وَوُجُوب " معرفَة هَـذِه الْأُصُـول، من أصُول الدّين. فَلَا سَبِيل إِلَى إِلْحَاق هَذَا الْقَبِيل بمسائل الْفُرُوع [1].

ويرى بعض المجتهدين أن الأصول هي أمور العقيدة، وأما أمور الفقه فهـي من الفروع[2].

والذين رفضوا هـذا التقسـيم مـن غـير أهـل السـنة، كـالخوارج والمعتزلـة والمرجئة، كان رفضهم بحجة أن الإيمان كل لا يتجزأ إمـا ان يبقـى كلـه أو يـذهب كله، فلا يصح تقسيمه عندهم.

والصواب الذي لا ريب فيه أن الدين منه ما هو من أصوله، ومنه مـا هـو من سننه، ومنه ما جاء شرطه باستحبابه، وغير ذلك، ففيـه أصـول وفـروع؛ بهـذا المعنى، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ إبراهيم:24؛ فجعل لكلمة التوحيـد أصـلا وفرعـا، وكـذلك سـائر أمـور الدين.

فهذا التقسـيم يـدفع إلى أن النظـر إلى الـدين مـن جهـة القبـول والانقيـاد والتصديق والاعتقاد لا فرق من هذه الجهة بـين أصـل الـدين وفرعـه، فالواجـب على الخلق كلهم تصديق الرسول فيما أخبر وطاعته في ما أمر فإن كذّب الرسـول في أمر علم أن الرسول قد اخبر به فهو كافر لا فـرق بـين أصـول وفـروع خلافـا للمعتزلة وأهل البدع وكذا في القبول والانقياد.

---

(1) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الـدين، الملقـب بإمـام الحرمين: كتاب التلخـيص في أصـول الفقـه تحقيـق: عبـد الله جـولم النبـالي وبشـير أحمـد العمري: دار البشائر الإسلامية – بيروت 3/ 333.

(2) أبو محمد، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علـي الإسـنوي الشـافعي: نهايـة السـول شرح منهاج الوصول : دار الكتب العلميـة -بـيروت-لبنـان الطبعـة: الأولى 1420هـ-1999م.

أما بالنظر إلى الدين من جهة الإتيان والترك والموافقة والمخالفة فهنا يفرق بين الأصل والفرع، بما جعله الشرع دليلا على التفرقة.

و استعملابن تيمية مصطلح أصول الدين وفروعه في مقام تأصيل كمال الدين وكمال تبليغه؛ فلو كان مصطلحا منكراً أو مبدعاً من أصله لما استعمله هكذا بإطلاق من غير تنبيه على خطأه له كان خطأ. ومن ذلك قوله: وَإِنَّمَا الْغَرَضُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ فِي الْقُرْآنِ وَالْحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ عَامَّةَ أُصُولِ الدِّينِ مِنْ الْمَسَائِلِ وَالدَّلَائِلِ الَّتِي تُسْتَحَقُّ أَنْ تَكُونَ أُصُولَ الدِّينِ."والمقصود هنا التنبيه على أن القرآن اشتمل على أصول الدين التي تستحق هذا الاسم؛ وعلى البراهين والآيات والأدلة اليقينية بخلاف ما أحدثه المبتدعون والملحدون" [1]. ومن ذلك قوله بعد أن ذكر بعض العقائد الكلامية "فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء أصول الدين ولكن ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده". وأما الدين الذي قال الله فيه: "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله"؛ فذاك له أصول وفروع بحسبه؛ وإذا عرف أن مسمى أصول الدين في عرف الناطقين بهذا الاسم فيه إجمال وإبهام لما فيه من الاشتراك بحسب الأوضاع والاصطلاحات تبين أن الذي هو عند الله ورسوله وعباده المؤمنين أصول الدين فهو موروث عن الرسول"[2].

والخلاصة أن ابن تيمية لا ينكر تقسيم الدين إلى أصول وفروع؛ وإنما ينكر فيه الضوابط والأحكام التي تأولها أصحاب البدع. حين اعتبروا أن أصولالدِّين هي المسائل التي بُني تعلى الأصول العقلية عندهم، في ُسمون المسائل العقلية

---

(1) أبو العباس أحمد تقي الدين بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م 19 / 169.

(2) المصدر نفسه 1/ 136.

أوالعقليات، أصول الدِّين، ويُسمون الظنيات التي هي النصوص كما يَعتبرونها، فروع الدِّين، وهذا تقسيم فاسدو باطل...

ومنمسمياتالعقيدةالصحيحة: وعلم التوحيد كلمةالإيمان،و هي في الحقيقة كلمة التوحيدو ثمرته ..

* مفهوم الإيمان

و الإيمان لغة من فعل آمن يومن إيمانا أي صدق تّصديقا، فيقال على سبيل المثال آمن فلان بالفكرة أي صدّق بها واقتنع بها اقتناعاً نابعاً من قلبه، وفي الاصطلاح الشرعي كثيرا ما ترد كلمة الإيمان ويراد بها المعنى اللغوي نفسه، فتطلق على مطلق التصديق، سواء كان تصديقا بحق أو باطل. وكثيرا ما يراد بها معنى أخص صار في العرف الشرعي حقيقة جديدة، فيراد بها خصوص التصديق بخبر السماء المنزل على الأنبياء.

وضابط ذلك، أن ننظر في استعمالها، فإن كانت متعلقة بشيء بأن قيل،إيمان بكذا؛ كانت بمعناها اللغوي البحت، أي مطلق التصديق، وأما إذا ذكرت بدون متعلق فالمراد بها تلك الحقيقة الشرعية الخاصة، وهي التصديق بالحق والانقياد إليه[1]

و يشترط شيخ الإسلام ابن تيمية أن يكون التصديق للخبر عن شيء مغيب، فلفظ الإيمان " ليس مرادفاً للفظ التصديق في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة "صدقت"، كما يقال "كذبت" ؛ فمن قال" السماء فوقنا "، قيل له "صدق"، كما يقال " كذب "، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقوله" طلعت الشمس،

---

(1) د. عثمان جمعة ضميرية: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية المؤلف: ص 87.مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة: الثانية 1417هـ-1996 م.

وغربت،" أنه يقال" آمناه." كما يقال" صدقناه" ؛ ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم، يقال" صدقناهم"، وما يقال" آمنا لهم "، فإن الإيمان مشتق من الأمن. فإنما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر؛ كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر؛ ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ" آمن له" إلا في هذا النوع؛ والاثنان إذا اشتركا في معرفة الشيء، يقال" صدق أحدهما صاحبه "، ولا يقال" آمن له "، لأنه لم يكن غائباً عنه ائتمنه عليه؛ ولهذا قال" فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ" العنكبوت26 و " أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا " المؤمنون47" آمَنتُمْ لَهُ" طه 71.[1]

و الإيمان عبارة عن وحدة متماسكة مبنية من ثلاثة أجزاء لا تنفك عن صاحبها:

الجزء الأول: هو الجزء الذي لا غنى عنه بحال -وإذا عدم عدمت حقيقة الإيمان- وهو "الاعتقاد "أي: العلم الجازم بكل ما ثبت بالضرورة أنه جاء من عند الله تعالى على لسان رسوله.... ولا بد من اليقين الجازم من الرضا والارتياح النفسي لهذه العقيدة.... فإذا تحقق هذا الجزء الأول فقد وجد أساس الإيمان.

الجزء الثاني: إعلان هذه العقيدة بالقول أو غيره من الدوال الظاهرة كالصلاة ونحوها مما يؤدي معنى الاعتراف بالدين الصحيح. هذا الاعتراف الظاهري الذي يُعد ترجمةً عن العقيدة يدل دلالةً ظنية على حصولها.

---

(1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: كتاب الإيمان تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن الطبعة: الخامسة، 1416هـ/ 1996 م ص 228.

و الجزءالثالث: العمل بكل ما أمر الله به من فريضة أو نافلة، والانتهاء عما نهى الله عنه من حرام وشبهة صغيرة وكبيرة، في سره وعلانيته، بقلبه وجوارحه. وهذا الجزء تتفاوت مراتبه تفاوتاً كبيراً[1].

هذا، وكلمة "الإيمان "ومشتقاتها، من أكثر الكلمات استعمالا في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث وردت 811 مرة في سور القرآن الكريم، وفيهما نجد حديثا مستفيضا عن الإيمان بالله وما يتفرع عنه وعن الإيمان بالبعث والجزاء والحساب ... بأسلوب حي مؤثر يملك على الإنسان جوانب نفسه، ويحمله على الطاعة والالتزام، فيكون لهذا الإيمان أثره في نفس الفرد وفي استقامة سلوكه، وفي الجماعة ونظام حياتها. وهذا يختلف عن أسلوب المتأخرين لما بحثوا في الإيمان، وشغلوا أنفسهم بمباحث جدلية كثيرة حول حقيقة الإيمان وأجزائه، وحول ارتكاب الكبيرة وحكم مرتكبها ... وهل يكفي التصديق أو العلم والمعرفة.. إلخ.

ومِن المؤلَّفات التي ألَّفها العلماء تحت عنوان الإيمان" كتاب الإيمان "لابن أبي شيبة، و"كتاب الإيمان "لابنمنده، و"كتاب الإيمان"لأبي عُبَيد القاسم بن سلام، و"كتاب الإيمان "مِن" صحيح البخاري.

و لن نفصل هنا في مسائل الإيمان المختلفة، لأنها تشمل أعمال القلوب و الجوارح، و تشمل مناحي الحياة كاملة، و تستجيب و قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: 56-58.

---

(1) الدكتور محمد عبدالله دراز: المختار من كنوز السُّنّة النبوية، عُني بنشره عبدالله بن إبراهيم الأنصاري الطبعة 2. مديرية الشئون الدينية- دولة قطر. ص 55 – 56.

و قد نشير إلى أهم مناحيه من خلال معـايير تصـنيفها، و نختـتم الآن بـباقي المصطلحات التي تشير إلى علم التوحيد ...

* باقي مصطلحات علم التوحيد

ومِنمصطلحات علم التوحيد: "الفقـه الأكـبر"، وقـد أُطلـق علـى العقيـدة الصحيحة اسم" الفقه الأكبر"؛ لأن العقيدة هي أصل الدِّين، والفقه العمَلي الذي يُسمى" الفقه الأصغر "فروعـه[1]، ولأن شـرف العِلـم وعظمتـه بحسـب المعلـوم، ولامعلوم أكبر مِنذات الله - تعالى - وصفاته، وهو ما يبحث في ههذا العِلم؛ لذلك سمى الإمام أبو حنيفة كتابه الذي جمع فيه جملة اعتقادات السلف (الفقـه الأكـبر) إشارة إلى أنه أعظم ما في شريعة الإسلام ولا يتحقـق هـذا اللقـب إلا علـى علـم التوحيد.

وتسميَة العقيدة بالفقه الأكبَر، لايعني إهمال الفقه المعروف و المتعلق بمسائل الأحكام، والحلال والحرام، و لكن يَعني ذلك السبق والبدء بتصحيحِ العقيدة قبـل القيام بأداء الأعمال.

ومِن المصطلحات التي تطلق على علم التوحيد: الشريعَة، والشريعة بالمعنى العام هي ما شرَع الله - تعالى – لعباده مِن الأحكام على لسان نبيِّه – صلى الله عليه وسلم – سواء كانت مُتعلِّقةً بكيفيَّة عمل، وتُسمَّى فرعية وعمليـةً، ودُوِّنلـها علـم الفقه، أو بكيفية الاعتقاد، وتُسمَّى أصـلية واعتقاديـة، ودُوِّنلـه اعِلـم العقيـدة، أو بكيفية السلوك والتحلي بمَحاسن الأخلاق، ودُوِّنله اعِلم الأخلاق.

---

(1) د. عثمان جمعة ضميرية: مدخل لدِراسة العقيدة الإسلامية. تقـديم: الـدكتور عبـد الله بـن عبد الكريم العبادي الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة: الثانيـة 1417هـ-1996م. ص.76 .

وتُطلَق الشريعة على العقائد التي يَعتقدها أهل السنَّة مِن الإيمان؛ مثل: اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصَف به نفسَه ووصَفه به رسوله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله خالق كلشيء، وما شاء الله كانوم الميشألم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنهم لا يُكفِّرون أهل القبلة بمجرَّد الذنوب، ويؤمنون بالشفاعة لأهل الكبائر، ونحو ذلك مِن عقود أهل السنَّة، فسمَّوا أصول اعتقادهم"[1]

وإطلاقا لشريعة على العقيدة إطلا قنادِر، لكن رضيَه أهل العِلم، وإن كانت الشريعة في الاصطلاح الدقيق السائد المشهور تَعني الأحكام، والعقيدة تَعني أصول الدِّين، ومع ذلك قديَر دفي بعض معاني العقيدة إطلاق الشريعة؛ لأن العقائد والأحكام مِن شرع الله....

ومِن المؤلَّفات التي ألفها العلماء تحت اسم الشريعة: كتاب" الشريعة"؛ للإمام محمد بن الحسين الآجُري[2]، وكتاب" الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"؛ لابنبطة[3].

---

(1) د. عثمان جمعة ضميرية: مدخل لدِراسة العقيدة الإسلامية ص.116.

(2) المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: 360هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي الكتاب نشرته: دار الوطن - الرياض / السعودية الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م.

(3) و يعرف ب" الإبانة الكبرى" لمؤلفه أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ) المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض عدد الأجزاء: 9، الكتاب الرابع/ نسخ - مكتبة أحمد الخضري، مقابلة - مكتبة يا باغي الخير أقبل جـ 1، 2: حققه: رضا بن نعسان معطي - الطبعة: الثانية، 1415 هـ - 1994 م جـ 3، 4: حققه: د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي - الطبعة: الأولى، 1415 هـ جـ 5: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة:

أما مصطلحات علم التوحيدعندأهلالبدعو الأهواء، فتمثلت في بعض المسميات التي تتضمَّن معاني فاسدةً؛ كتسمية العقيدة بـ"عِلم الكلام"، وعِلمُ الكلام هو ما أحدثه المُتكلِّم ونفي أصول الدِّين مِن إثبات العقائد بالطرُق التي ابتكَروها، وأعرَضوا بها عما جاء الكتابُ والسنَّة به. لأنهم يُعنونون للمسائل العقدية بقولهم: الكلام في كذا ولأن أشهَر مباحثه كلامية، وقيل: لكثرة الكلام فيه مع المُخالِفين والرد عليهم، ويَدخُل تحت مُصطَلح المُتكلِّمين كثيرٌ مِن الفِرَق التي اتَّخذَت المنهج الكلامي وسيلة للاحتجاج و التدليل على مسائل التوحيد ؛ ومن هذه الفرق الجهمية والمُعتزلة والأشاعرة وغيرها،

وقدت نوَّعت عبارات السلف في التحذير من الكلام وأهله؛ لما يُفضي إليه مِن الشُّبهات والشُّكوك؛ حتى قال الإمام أحمد: "لا يُفلِح صاحبك لا مأبدًا"، وقال الشافعي: "حُكمي في أهل الكلام: أن يُضرَبوا بالجريد والنِّعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء مَن ترَك الكتاب والسنَّة، وأقبَل على عِلم الكلام[1].

وأُطلِق على علم التوحيد و العقيدة" الفلسفة"، عامة أو ما يُسمى بالفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص، و الحقيقة أن الأمر يتعلق بجانب من عِلم الكلام في صورته المتأخِّرة التي تأثَّرتب الفلسفة اليونانية والإغريقيَّة و الغربية ...

الثانية، 1418 هـ جـ 6: حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - الطبعة: الأولى، 1415 هـ جـ 7: حققه: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر - الطبعة: الأولى، 1418 هـ جـ 8، 9: حققه: د حمد بن عبد المحسن التويجري - الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005.

(1) محمد بن صالح بن محمد العثيمين: فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص 95: دار الوطن للنشر، الرياض.

كما أُطلِق على العقيدة: و علم التوحيد "الإلهيات"، وهي ما يتعلَّق بذات الله - تعالى - وصفاته، وهذه التسمية ترجع بالأساس إلى الجانب الفلسفي الغَيبي المتعلِّق بالإله عند الغربيِّين، وهذا اللفظ حكمه حكمُ الفلسفة وعلم الكلام..

وأُطلق على العقيدة: "ما وراء الطبيعة"،" ماوراء الغيب"؛ يَقصدون الغيبيَّات وعبَّروابها عن ماوراء الطبيعة، وهي قريبة مِن معنى الإلهيات، ويُطلِقون على مايؤمن به الناس ويَعتنقونه مِن مبادئ وأفكار: "عقائد"، وإن كان تباطلة أو لا تَستنِد إلى دليل عقلي ولا نقلي[1]. وأُطلق على العقيدة: "الفكر الإسلامي " و"التصورالإسلامي"، وهذا المصطلح قريب من حيث أن مواضيع علم التوحيد و العقيدة قد تدخل في مواضيع الفكر الإسلامي ...

هذه أهم التسميات و المصطلحات التي استعملت لتأطير علم التوحيد، و كل مصطلح يجد من المقومات الإتيمولوجية و الإبيستيمية ما يجعله مقدما من حيث المفهوم، و من حيث الأهداف و المرامي، لكن الإشكالية التي تطرح نفسها، ما هي حدود مصادر المعرفة التي يمكن من خلالها العمل على اختيار مضامين علم التوحيد في المستويات الدراسية المختلفة ؟الإجابة على مثل هذه الإشكاليات يدفع بالباحث إلى الوقوف على التصنيفات المختلفة التي تناولت علم التوحيد، سواء في أبعاده النوعية أو مستوياته البنيوية، أو أقسامه التراثية و الحديثة ...و هو ما سنحاول مقاربته من خلال الحديث عن أهم مصادر المعرفة في علم التوحيد.

---

(1) الموسوعة العقدية إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنتdorar.net

الفصل الثاني

مصادر المعرفة و مباحث علم التوحيد

المبحث الأول

مصادر المعرفة في علم التوحيد

تشكل مصادر المعرفة في كل علم من العلوم مبحثا هامايؤصل لنظرية المعرفة، إذ من هذه المصادر المعرفية تُسقى المعارف والأدلة لكل علم من العلوم.

و تميز التصور الإسلامي لهذه المصادرعن غيره من المذاهب والمدارس الفلسفية بالتكامل والشمول، حيث اعتبر مصادر المعرفة مصادر متنوعة منها النقل والعقل والحس والتجربة، ولا يمكن حصر المعرفة في مصدر منها وتجاهل الآخرين، وللوصول إلى الحقيقة يجب أن يُستخدم كل مصدر في مجاله....

و تتمثل مصادر المعرفة في الإسلام؛ في القرآن الكريم الذي يوجه الحياة الإنسانية، ويوضح الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه العبد ليحصل له التسليم بمكونات هذا الطريق، ولذلك فإن هذه المعاني ترتكز على قبول واستثمار وسائل وطرق اكتساب المعرفة في الإسلام، حسب أهميتها وأولويتها. فالوحي هو الذي حدد وسائل إنتاج المعرفة الفرعية الأخرى، التي تظل خاضعة له، وقد جعل الشرعُ العقلَ مسؤولا عن المعرفة، ثم مسؤولا عن إنتاجها، من غير أنانية ولا فوضى ؛ بل مع ارتباط وثيق بالوحي.

و أهم مصادرالمعرفة في علم التوحيد هي: النقل والعقل والحس، والوحي يندرج تحت مصدر النقل:

النقلوالوحي

ويُعتبر الوحي أحد أهم مصادر المعرفة في الإسلام، ومما اختص بتناوله في علم التوحيد، أخبار اليوم الآخر، ومصير الإنسان بعد الموت، وحقيقة الروح، وعلم الساعة، وغير ذلك..والنقل غني جدًا بالدلالات العقلية التي تثبت سائر

أصول الاعتقاد .و لا يمكن بحال الحديث عن النقل في غياب العقل .و هو المصدر الثاني للمعرفة :

العقل

يأتي مصطلح أو مفهوم العقل بمعان متعددة:

فيدل عادة على الغريزة التي ميز الله بها الإنسان عن الحيوانات وبفقده يسقط التكليف. كما يعنى المعارف الفطرية والعلوم الضرورية التي يشترك فيها جميع العقلاء، مثل" الواحد نصف الاثنين والحادث لابد له من مُحدِث والكل أكبر من الجزء" ...و قد يُستعمل العقل بمعنى العلوم النظرية التي تحصل بالنظر والاستدلال.

ويُطلق العقل أيضًا على العمل بمقتضى العلم، وهذا المعنى نفاه الكفار عن أنفسهم عند دخولهم النار ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ الملك 10.

وللعقل بمخرجاته المختلفة فيعلم التوحيد أدوارهامة في إثبات كثير من المسائل العقدية كوجود الله ووحدانيته والنبوة والبعث وهو ما يسمى الغيب المتعقّل، بخلاف الغيب المحض الذي هو من خصائص الوحي، فمن الغيبيات ما يمكن الاستدلال عليها بالعقل ومنها ما لا يمكن التعرف عليها إلا بدلالة الوحي عليها. و نجدابن القيم رحمه الله يشير إلى هذا المعنى بأسلوبه الجميل: "المعلومات الغائبة التي لا تدرك إلا بالخبر أضعاف أضعاف المعلومات التي تدرك بالحسّ والعقل، بل لا نسبة بينها بوجه من الوجوه، ولهذا كان إدراك السمع أعم وأشمل من إدراك البصر، فإنه يدرك الأمور المعدومة والموجودة والحاضرة والغائبة،

والمعلومات التي لا تدرك بالحسّ والأمور الغائبة عن الحسّ نسبة المحسوس إليها كقطرة من بحر، ولا سبيل إلى العلم بها إلا بالخبر الصادق"[1]

و لذلك كان إثبات العقل للغيب المتعقل هو إثبات مُجمَل؛ لأن العقل عاجز عن الإثبات المفصل وهذا مما يختص به الوحي، فإذا لم يأتينا خبر من الله عز وجل يدل عليه فلا يمكن إثباته (مثل نعيم الجنة وعذاب النار وأهوال يوم القيامة ...) فلا تُعرف إلا بالخبر، ولكن يدل عليها العقل دلالة غير مباشرة عن طريق إثبات النبوة بالعقل فإذا ثبت لدينا صدق النبي لزم تصديقه في جميع ما أخبر عنه في الأمور الغيبية المحضة.

وإثبات العقل للغيب المتعقل هو إثبات معنى لا إثبات كيفية؛ لأن العقول لا تُدرِك حقيقتها وكيفياتها؛ لذا ضرب الله الأمثال في القرآن لتقرير مسائل الغيب تنبيهًا للعقول على إمكان وجودها، فاستدل مثلًا على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة.

وإثبات الإسلام لدور العقل وفاعليته وتأثيره يجعله بذلك يخالف العديد من المذاهب والفلسفات التي عطلت دور العقل إما كليًا أو جزئيًا،و على رأس هذه المذاهب المذهب الحسي: فقد أنكر أتباعه دور العقل والغيبيات و اعتبروا الحواس المصدر الحصري للمعرفة.

---

(1) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص 120 مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: 774هـ) المحقق: سيد إبراهيم الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.

3 -الحس

امتن الله تعالى على عباده في آيات كثيرة بنعم الحواس، وهي مُنطلق الإنسان نحو المعرفة ووسيلة الإدراك المباشرة، ولكن الإسلام لم يحصر المعرفة في هذا المصدر فقط كما فعل أتباع المذهب الحسي، وإنما جعله مصدرا متكاملا مع المصادر الأخرى وهي العقل والوحي، ولكن قد يكون هناك غلو في التجربة والحس فيقول القائل: أن العلم الحديث يجيب على كل الأسئلة، والصحيح أن العلم التجريبي الحديث له حدود لا يخرج عنها.فالإيمان بالتجربة فقط فيه تعطيل لكل المعارف بما فيها التجربة، فلو عطلنا النقل والعقل لما قامت تجربة، إذ كيف قمت أنت (كإنسان) بإجراء التجارب ولم تقم بها الحيوانات؟

ولو عطلنا النقل لما استفدنا من التجارب لأن كل عالم سيبدأ من الصفر، فالعلم كله قائم على النقل،والتجربة وحده الا تعطي حكمًا كليًا.

و في ختام استعراضنا لأهم مصادر المعرفة في التصور الإسلامي، و في علم التوحيد لا بد من توضيح العلاقة بين هذه المصادر الثلاثة، و الحقيقة أن هذه العلاقة بين العقل و النقل، و بينالعقل و الحس تبقى في مجملها علاقة تكاملية:

فلا تعارض بين العقل والنقل القطعيين، والنقل منه ما هو ظني ومنه ما هو قطعي، وكل المصادر منها ظنية ومنها قطعية، ولا يعني وجود الظني إلغاء المصدر كله، فعندما نقول مصادر المعرفة متنوعة، نقصد بها المصادر القطعية، وأوسع المصادر هو النقل، فالنقل مصدر من مصادر المعرفة لا ينكره أحد إلا مكابر.

لكن قد يحدث تعارض بين ما هو ظني وما هو قطعي، وعندها نقدم القطعي سواء كان عقليًا أو نقليًا، إذ القطعيان يمتنع التعارض بينهما، وأما إن كانا كلاهما مصدر ظني فإنه يُصار إلى طلب ترجيح.يقول بن تيمية:« لا يمكن أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح فإن ثبت العكس فالطعن بالعقل أولى فلا

يمكن رد النص الكامل بالعقل الناقص فالعلاقة بين الوحي و العقل علاقة تكامل و صريح المعقول لا يعارض صحيح المنقول[1].

أما العلاقة بين العقل والحس فيقول شيخ الإسلام بن تيمية عن التجربة: «هي ما يختبره الإنسان بعقله وحسه وإن لم يكن من مقدوراته....ذلك أن التجربة تحصل بنظره واعتباره وتدبره كحصول الأثر المعين دائرا مع المؤثر المعين دائما فيرى ذلك عاده مسمرة .... وكل من العقل والحس مفتقر إلى الآخر؛ لأن الحس وظيفته نقل المعطيات الحسية إلى العقل[2]. فالذي يعرف بالحس والعقل الصريح لا يخالفه شرع ولا عقل ولا حس فان الأدلة الصادقة لا تتعارض مدلولاتها[3].ثم بعد ذلك يتصور العقل هذه المعطيات ويؤلف بينها، ويمارس العقل التجريد والتعميم بعد إدراك جزئيات معينة في الواقع المحسوس.

فمصادر المعرفة في علم التوحيد تميزت بالتكامل والشمول والانفتاح دون ذوبان فيالمذاهب والمدارس الفلسفية الأخرى والالتزام بالمنهج الإسلامي للوصول النسبي إلى الحقيقة الكاملة.

و مصادر المعرفة هي مفتاح كل العلوم، و منها جاءت إسهامات علماء التوحيد في وضع العلوم العارفة في هذا الفن، و التي ستمثل الأساس في اختيار المضامين التعليمية، ومن تم إمكانية الحديث عن ديداكتيك علم التوحيد.

---

(1) انظر كتاب درء تعارض العقل والنقل لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبليالدمشقي، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م.

(2) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: كتاب الرد على المنطقيين،ص 93 دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(3) المصدر نفسه ص 267.

و من خلال تتبع هـذه المعـارف، تـبين أن كتابـات القـرون الأولى شـكلت اللبنات الأساس في تدوين أهم مباحث علم التوحيد، باعتبار القرآن و السنة فوق المعارف و العلوم.

و تتابع العلماء عبر القرون المتقدمة على التأليف في علم التوحيد سواء من المؤصلين المتبعين لمنهاج النبوة أو ممن خـالفهم مـن المـتكلمين، و جـاءت تـآلفهم بعناوين مختلفة بحسب مشاربهم العلميـة و السـياقات المجتمعيـة و السياسـية، الـتي أطرت إبداعاتهم.

المبحث الثاني

الإطار التاريخي لمصادر علم التوحيد

تأسسعلم التوحيد عبر مرحلتين، مرحلة الرواية والتأصيل، ثم مرحلة التدوين والتأليف.

فطور الرواية بدأ في عهد الصحابة - رضوان الله عليهم –الذين لم يكونوا بحاجة إلى تدوين العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وغيرهما، لأنهم كانوا يتلقون ما يحتاجونه وفوقه من أمور الدين والعقيدة مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم يتنزل في حينه ويعالج ما يطرأ من المشكلات، ويجيب عن كل التساؤلات، وتفاعلتالأجيال الأولى مع النصوص الشرعية بكلإيجابية، وواقعية.وظلت العقيدة نقية صافية، بقرب العهد بزمان النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولما فُطِروا عليه من الفهم بعد تلقي القرآن الكريم الذي نزل بلغة تجري على ألسنتهم وفي قلوبهم، مما جعلهم جميعاً على عقيدة واحدة لا يختلفون في أصولها، و لم يقع بينهم خلاف إلا في القليل.

وقد كان الصحابة يسألون النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أحوال القيامة والجنة والنار ولم يكن أحدهم يسأله عن معنى ما وصف الله به نفسه في كتابه وبما أوحى إليه من الصفات،وأثبتوا لله تعالى ما يليق بجلاله وعظمته، فأطلقوا ما أطلقه الله على نفسه الكريمة مع نفي مماثلة المخلوقين، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا.ولم يكن أحد منهم يستدل على وحدانية الله، وعلى إثبات نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - بغير كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم .

و لما كانت طبيعة هذا الدين الانتشار في الأرض، و تبليغ محاسنه و عقائده للناس جميعا، اتصل المسلمون العرب بغير العرب من الشعوب ممن أسلموا واطمأنت بالإسلام قلوبهم، أو أعلنوا إسلامهم و أظهروه و أخفوا ما أخفوا،

فاحتك المسلمين الأوائل مع عقائد ومعارف دينية غير التي عرفوها في القرآن والسنة ... وهذا ما دفع إلى ضرورة تغيير تناول مسائل التوحيد خصوصا بعد ما وقع في آخر زمن الصحابة من بدع واختلاف في العقيدة، كما في مسألة القدر، وكان أول من تكلم به معبد الجهني (ت 80هـ)، ومسألة التشيع والغلو في آل البيت، وفتنة عبد الله بن سبأ، كما وقعت من قبل بدعة الخوارج وصرحوا بالتكفير بالذنوب، وبعد ذلك نشأ مذهب المعتزلة على يد واصل بن عطاء(ت 131هـ)، وصنف في مسائل من العقيدة ما خالف به الصحابة والتابعين، وخرج على إجماع خير القرون في الاعتقاد، فتصدى له التابعون بالرد عليه والمناظرة في هذه المسائل، ثم بدأ التصنيف في عقيدة أهل السنة حين أصبح ضرورة لا بد منها لنفي تأويل المبطلين، ورد انحراف الغالين،و ألهم الله تعالى كبار التابعين وأتباعهم التوجه إلى تقرير قواعد الإسلام وأركان الإيمان ومسائلها، وبسطها، وضرب الأمثلة عليها بما يوضح ويحقق اليقين عند غير العرب السابقين، خاصة في قضايا الاعتقاد، ومسائل الإيمان، ووفق الله تعالى بعض أولئك التابعين لعرض مسائل عقائد الآخرين، وبيان فسادها وضلالها، من خلال القرآن، والسنة، والعقل، والفكر السليم، فظهر »علم التوحيد«، و هناك من يزعم بإنَّعلم التوحيد و الخوض في مباحثه بِدعَة لِأَنَّهُ لم ينظر فِيهِ السّلف مَعَ أنه يُورث المراء والجدال والشبهات ، رُدَّ بِأَنَّهُ نظر فِيهِ السّلف قطعا مِنْهُم عمر وَابْنه وَعلي وَابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُم، وَمن التَّابِعين عمر بن عبد الْعَزِيز وَرَبِيعَة وَابْن هُرْمُز وَمَالكوَالشَّافِعِيّ رَضِي اللهعَنْهُم، وَألف مَالك رَضِي الله عَنهُ فِيهِ رِسَالَة قبل أَن يُولد الشَّافِعِي رَضِي الله عَنهُ ....[1]

(1) انظر أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس كتاب: الفتاوى الحديثية دار الفكر دون تاريخ الطبعة.

وكان ظهور علم التوحيد و تدوينه، مع جمع السنة وتدوينها على عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (ت سنة 101 هـ)، بحيث قام الإمام الحافظ ابن شهاب الزهري (ت سنة 124 هـ) بتدوين ما سمعه من أحاديث الصحابة غير مبوب على أبواب العلم، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة والتابعين.ثم شاع التدوين في الجيل الذي يلي جيل الزهري، في النصف الأول من القرن الهجري الثاني، مع ضم الأبواب بعضها إلى بعض في كتاب واحد كما فعله الإمام مالك في الموطأ والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأصحاب السنن في كتبهم. وبعد أن كان أهل الحديث يجمعون الأحاديث المختلفة كما جاءت، أصبحوا يرتبونها على الأبواب مثل: باب الإيمان، باب العلم، باب الطهارة، باب الطلاق..باب التوحيد، باب السنة، وهكذا. فكأن هذا التبويب للأحاديث، كان النواة الأولى في استقلال كل باب – فيما بعد – بالبحث والنظر والعناية والتدقيق وبيان الأحكام، فعن أبواب الوحي والإيمان والسنة والتوحيد.... ونشأبعد ذلك علم العقيدة، واستقل عن العلوم الأخرى المستنبطة من الكتاب والسنة. كضرورة وحتمية لاختلاف طبيعة المنهج الذي سلكه المسلمون بعد عصر الصحابة في التفكير والفهم لمسائل الألوهية والعقيدة بعامة، وظهور كثير من المسائل والقضايا التي شغلت الفكر الإسلامي، وكان لها أثرها في نشوء الفرق والكتابة حيالها.وبدأ هنا طور التدوين في حياة التابعين...

المطلب الأول : التأليف في علم التوحيد

سنقف على أهم المؤلفات التي تناولت أمور العقيدة و مسائل التوحيد، إما حصريا أو إشارة إلى باب خاص من أبوابه، و سنعمل على الوقوف على بعض هذه المؤلفات و سبب تأليفها و المناهج الذي اتبعها أصحابها في ذلك، كما سنعمل على الترجمة لبعض المؤلفين، و سنتتبع التسلسل التاريخي باعتماد تواريخ وفيات المؤلفين و ربما يكون التأليف للبعض متقدما عن الآخر ..

ويمكن اعتبار الإمام أبـو حنيفـة رحمـه الله تعـالى (ت سـنة 150 هــ) أول مدون في علم التوحيد، من خلال كتابه " الفقه الأكبر "[1] حيث تحدث فيـه عـن أصول مسائل الاعتقاد، و قد رواه عنه أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، كمـا رواه حماد بن أبي حنيفة [2]، حدد فيه أبو حنيفة عقائد أهل السنة تحديـدًا منهجيًـا، ورد فيه على المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والشيعة، واشتمل على خمسـة أبـواب في أتم رواياته : الأول في القدر، والثاني والثالث في المشيئة، والرابع في الـرد علـى من يكفر بالذنب، والخامس في الإيمـان، وفيـه حـديث عـن الأسمـاء والصـفات، والفطرة، وعصمة الأنبياء، ومكانة الصحابة، وغير ذلك من مباحث العقيدة. فلـو قال قائل: إن واضع علم التوحيد بمعنى أول من وضع مؤلفًا خاصًا في الفـن مـن أهل السنة هو الإمام أبو حنيفة؛ لكان صادقًا ولم يبعد عن الصواب، "وإن كان قـد قيل: إن واضعه الإمام مالك بن أنس(ت سنة 179 هـ) ، وأنه ألف فيه رسالة "في الرد على القدرية "لكان أصدق .

وقيل أيضًا إنه لما كثرت الفتن أمر المنصـور بوضـع كتـب لإزالتهـا والـرد عليها. كما ثبت أن الإمام ابن وهب رحمه الله (ت 197هـ) وضع كتابـا في القـدر على طريقة المحدثين في جمع الأحاديـث وإن كـان دون تبويـب. كمـا كـان للإمـام الشافعي (ت سنة 204 هـ) رسالة في "إثبات النبوة والرد على البراهمة".

ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة في علم التوحيد ولكن بأسماء مختلفـة لهـذا العلم. فمن أول ذلك كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بـن سـلام (ت 224 هــ)، وتبعه على هذا كثيرون إلى يوم الناس هذا، كما ظهر مصطلح السنة للدلالة علـى

---

(1) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هــ) كتـاب : الفقـه الأكـبر، مع شرح ميسر على الفقهين الأبسط والأكبر لمحمد بن عبد الرحمن الخميس) مكتبة الفرقان – الإمارات العربية الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.

(2) وإن قيل إنه من وضع أبي مطيع البلخي

ما يسلم من الاعتقادات، واشتهر ذلك زمن الإمام أحمد رحمه الله، ومن الكتب المصنفة باسم السنة، كتاب السنة لابن أبي شيبة رحمه الله (ت 235هـ) و كتاب "السنة " للإمام أحمد رحمه الله (ت 240هـ).

و صنف الكناني(ت240هـ) بعد ذلك كتاب " الحيدة والاعتدال في الرد على من قال بخلق القرآن" و بعده ألف محمد بن يحيي بن أبي عمر العدني (ت243 هـ) كتاب" الإيمان "وغيرها من الكتب ..

وعلى من الرغم من أن بعض السلف كره الخوض في محاورة أهل الأهواء والضلالات لما في ذلك من نقل أقوالهم، مما يشوش صفاء القلب وقد يظله، ويشغل عن الأهم من العلوم، لذلك نجدالإمام أحمد بن حنبل ينكر على الإمام الحارث المحاسبي[1] رحمهما الله تعالى خوضه في مسائل الاعتقاد والرد على أهل الضلال، لكن إذا حقت المسألة وتحققت الحاجة فالعلماءالمخلصون يقولون فيها بعقولهم العظيمة من خلال أصول الدين، لأن حفظ العقائد أهم العلوم وأولاها ولذلك سمى الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى علم التوحيد بالفقه الأكبر، كما ألف كتاب" العالم والمتعلم"، و له رسالة إلى عثمان بن مسلم البتي في الإرجاء، و "

---

(1) الزاهِدُ العَارِفُ، شَيْخُ الصُّوْفِيَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَارِثُ بنُ أَسَدٍ البَغْدَادِيُّ، المُحَاسِبِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الزُّهْدِيَّةِ قَالَ الخَطِيْبُ: لَهُ كُتُبٌ كَثِيْرَةٌ فِي الزُّهْدِ، وَأُصُوْلِ الدِّيَانَةِ، وَالرَّدِّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ. و من أقواله " تَرْكُ الدُّنْيَا مَعَ ذِكْرِهَا صِفَةُ الزَّاهِدِيْنَ، وَتَرْكُهَا مَعَ نِسْيَانِهَا صِفَةُ العَارِفِيْنَ".و المُحَاسِبِيُّ كَبِيْرُ القَدْرِ، وَقَدْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ يَسِيْرٍ من الكلام، فَنُقِمَ عَلَيْهِ .وَوَرَدَ: أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ أَثْنَى عَلَى حَالِ الحَارِثِ مِنْ وَجْهٍ، وَحَذَّرَ مِنْهُ.تَفَقَّهَ الحَارِثُ، وَكَتَبَ الحَدِيْثَ، وَعَرَفَ مَذَاهِبَ النُّسَّاكِ، وَكَانَ مِنَ العِلْمِ بِمَوْضِعٍ إِلاَّ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةِ اللَّفْظِ وَمَسْأَلَةِ الإِيْمَانِ .وَقِيْلَ: هَجَرَهُ أَحْمَدُ، فَاخْتَفَى مُدَّةً.وَمَاتَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ. انظر سير أعلام النبلاء الطبقة 23 ج9 ص 488.

الرد على القدرية " [1]، كما أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كتب رسالة في " الرد على الزنادقة والجهمية".

كما ألف الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني (ت:287) كتاباً في الرد على المعتزلة سماه" السنة " حيث جاءت مسائله عن الإيمان بالقدر ورؤية الله تعالى في الآخرة ومسائل أخرى في صفات الله تعالى يقف منها أهل الاعتزال موقف التعطيل .

و في نفس السياق ألف الإمام البخاري (ت سنة 256 هـ) كتاب" خلق أفعال العباد". كما ألف الإمام ابن قتيبة (ت سنة 276 هـ) كتاب " الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة" وله أيضاً كتاب في " تأويل مختلف الحديث" .و صنف الإمام الدارمي (ت سنة 280 هـ) كتابان أحدهما في «الرد على الجهمية»، والآخر في" نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد" ..

وألف أبو عبد الله بن نصر المروزي (ت:294) كتاب "السنة"، و لابن الحداد القيرواني، (ت: 302هـ) كتاب "الاستواء".

كما استعمل مصطلح التوحيد في عدة مؤلفات، مثل كتاب " التوحيد " لابن سريج البغدادي رحمه الله (ت: 306هـ)، وكتاب "التوحيد" لابن خزيمة رحمه الله(ت: 311هـ)...و ألف أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:310) كتاب "صريح السنة " و ألفأب و بكر الخلال (ت:311). كتاب "السنة"...

و لأبي محمد الحسن بن على بن خلف البربهاري (ت:329).كتاب" شرح السنة"، و كل هؤلاء كانوا يتحدثون عن السنة كاصطلاح يرادف معنى التوحيد والعقيدة.

---

(1) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور : كتاب: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية0. دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، 1977.

ويمكن اعتبار هذه الشهادات رداعلى من زعم أن واضعي علم التوحيد هما، أبو الحسن الأشعري(ت: 324هـ) و كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"، وأبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ) و مؤلفه"التوحيد"، حيث سُبقا بتآليف كثيرة كتبت على منهج أهل الحديث، و أهل السنة والجماعة وواكبت ذلك ظهور مصطلح أصول الدين، ثم ظهر التأليف باسم العقيدة أوائل القرن الخامس الهجري، واستقرت حركة التصنيف ومنهج التأليف، واستقل علم التوحيد علما متميزا عن غيره بلقب ومنهج مخصوص[1].

إلا أنه يُلاحّظ أن علم التوحيد قد دخل بعد القرن الثالث ما عده بعض أهل العلم في وقت ما ضرورياً من أساليب عقلية وقضايا منطقية فكرية وفلسفية في بعض مسائل الاعتقاد وأحكامه، مثل إثبات وجوب وجود الخالق، وحدوث ما سواه يواجهون بذلك أساليب أعداء الإسلام ليحاجوهم ويلزموهم الحق ؛ فأضحى علم التوحيد في ذلك العصر عند بعض أهل العلم علماً معقد الأسلوب معقد الفكرة تقلب الصفحات العديدة فيه دون أن تقرأ فيها آية أو حديثاً، وابتعد بذلك عن أسلوب القرآن الذي يخاطب العقل والوجدان معاً ويقيم الحجة، ويدعو إلى الانضواء تحت لواء الإسلام قلباً وقالباً ؛ وكفى ببيان كتاب الله تعالى بياناً. وتوسع العلماء في هذا العلم تبعاً للحاجة في شرح ما يستوجب شرحه، وإضافة ما يغني..

و يعتبر القرن الرابع أهم محطة في التأليف و التدوين في علم التوحيد و اشتهرت إلى جانب ما ذكر كتب يمكن اعتبارها مرجعية لهذا العلم، و أهمها:

كتاب (أوائل الأدلة في أصول الدين)لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي (ت:319ه) و هوأول من عرف عنه هذا الاصطلاح، وهذا كان في نهاية

---

(1) اهـ الموسوعة العقدية موقع الدرر السنية..

عصر المعتزلة وظهور المذهب الأشعري، وقام بشرحه أبو بكر بن فورك الأصبهاني (ت:406هـ)، وكلاهما ضليعان في المذهب الأشعري..

و كتاب " التوحيد وإثبات صفات الرب " لابن خزيمة (ت سنة 311هـ). وكتاب "الشريعة".للآجري (ت سنة 360 هـ)، و"السنة" للطبراني، (ت:360هـ).

كما ألف الدار قطني (ت سنة 385هـ) كتاب" الصفات" ، ولابن بطة العكبري (ت سنة 387هـ) كتاب " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ". ولابن مندة (ت سنة 395 هـ) كتاب «التوحيد» وكتاب " الإيمان".

و زبدة التآليف أبدعها أبو جعفر الطحاوي (ت سنة 321هـ) في رسالته المعروفة بـ «العقيدة الطحاوية»، وفيها ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة. و سنفصل فيها في ما يأتي.

ثم هناك رسالة أخرى تنسب إلى أبي منصور الماتريدي (ت سنة 333هـ) وتسمى «عقيدة أبي منصور»، وشرحها فيما بعد التاج السبكي وسماها «السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور» .. و كذا كتب أبو القاسم بن إسحاق الحكيم السمرقندي صاحب أبي منصور الماتريدي، (ت سنة 342هـ)؛ وألف ابن خفيف الشيرازي (ت سنة 371هـ) كتابا بعنوان «اعتقاد التوحيد بإثبات صفات الرب»؛ ولأبي الحسن العامري الفيلسوف (ت سنة 381هـ) كتابا بعنوان «الإرشاد لتصحيح الاعتقاد».

و في القرن الخامس الهجري زادت و ثيرة التأليف في هذا العلم:

حيث كتب أبو بكر الباقلاني (ت سنة 403هـ)" الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به " وللقابسي (ت سنة 403هـ) أيضا كتاب تحت اسم «الاعتقادات»

ولأبي إسحاق الإسفراييني (ت سنة 418هـ) «رسالة في العقيدة».ولأبي القاسم اللالكائي (ت سنة 418 هـ) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»

كتاب (الإيمان وأصوله) لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت:429).

ولأبي نعيم الأصبهاني (ت سنة 430 هـ) «رسالة في العقيدة»ولأبي محمد الجويني (ت سنة 438 هـ) «عقيدة أصحاب الإمام الشافعي»

وألف أبو عثمان الصابوني (ت سنة 449 هـ) كتابه المعروف «عقيدة السلف»

كما نجد لأبي بكر البيهقي (ت سنة 458 هـ) كتابه المشهور «الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة»،و كتاب (شعب الإيمان)، ولعبد الحق بن هارون الصقلي شيخ المالكيين (ت سنة 466 هـ) «كتاب في العقيدة».

وألف أبو سعد عبد الرحمن بن محمد النيسابوري (ت:478) كتاباً سماه: "الغنية في أصول الدين"، نسجه أيضا على طريقة الأشعرية ومنهجهم ...

وكذا نجد لأبي المعالي الجويني (ت سنة 487 هـ) رسالته في «العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية»، وكتابه «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، و.«لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة»،ولأحمد بن سليمان الباجي (ت سنة 493هـ) «العقيدة في المذاهب السديدة»

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين وجدت مؤلفات كثيرة أيضاً في العقيدة:

ككتابي الغزالي (ت سنة 505 هـ) «الاقتصاد في الاعتقاد» و.«قواعد العقائد»

وكتب النسفي (ت سنة 537هـ) «العقائد النسفية» و«المعتقد» و «معتقد الأوائل ».

و«عقيدة القاضي عياض» (ت سنة 544 هـ).،

كما ألف جمال الدين أحمد بن سعيد (ت:593ه) كتابا أسماه: "أصول الدين" انتهج فيه مذهب المتكلمين من الأشعرية وطريقتهم في الغيبياتوما كتبه ابن رشد الفيلسوف (ت 595 هـ) تحت عنوان «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة. »

ولفخر الدين الرازي (ت سنة 606 هـ) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»،و كتاب (الأربعين في أصول الدين)، وهو أحد أعمدة المذهب الأشعري، و كتاب (تحريم النظر في كتب الكلام) لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت :621 هـ) و كتابه «الاعتقاد» وقد عرف ب «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد».

ولشهاب الدين السهر وردي (ت سنة 632 هـ) كتاب «عقيدة أرباب التقى»

كما نجد لعبد الغني المقدسي (ت سنة 643هـ) كتاب «اعتقاد الشافعي»

ولسلطان العلماء العز ابن عبد السلام (ت سنة 660 هـ) «عقائد الشيخ عز الدين» أو «إفهام الأفهام معاني عقيدة شيخ الإسلام»

ولنصير الدين الطوسي (ت سنة 672 هـ) «قواعد العقائد».، ولحافظ الدين النسفي (ت سنة 701 هـ) «اعتماد الاعتقاد»، كما لابن دقيق العيد (ت سنة 702 هـ) «رسالة في العقيدة».

و غاية الكتب، كتاب (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت:728هـ) و سبب تأليف هذه العقيدة مأخوذٌ من عنوانها، وهو أن أحد قضاة واسط، وهو الشيخ القاضي رضيٌّ الدين الواسطي قَدِم إلى شيخ الإسلام ابن تيمية في سنة 698ه، فذكر له ما أصاب بلادَ العراق من هجمات التتار، وغلبة الجهل، وقلة العلم مع انتشار البدع؛ طلب هذا القاضي الواسطي من شيخ الإسلام أن يكتب له عقيدةً يعتقدها هو وأهل بيته وخواصه، فقال شيخ الإسلام: "إنَّ في اعتقاد الأئمة مُستكفًى"، لكن هذا القاضي الواسطي ألح على شيخ الإسلام رحمه الله، وأظن – والحالةُ تلك – أن شيخ الإسلام رأى أن الأمر متجه

متعيِّن عليه، فقال رحمه الله: "فكتبتُ له أصول اعتقاد الفرقة الناجية في ورقات مِن بعد العصر إلى قبل المغرب."

ولهذا فإنَّ عدَّتها في المخطوطات نحو خمس عشرة ورقة، كتبها رحمه الله ذاكرًا جملة هذا الاعتقاد،، و سنفصل فيها القول إن شاء الله عند الحديث عن مراجع عقائد السلف الصالح .

كما ألف ابن تيمية رحمه الله تعالى كتاباً بعنوان: " شرح العقيدة الأصفهانية"، وداخل الشرح ينقد العقيدة ويرد عليهاوهذا الكتاب – كتاب شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية رحمه الله تعالى- من الكتب التي لها عمق رائع، ومستوىً عالٍ.. كما له كتاب " الإيمان الأوسط"و كتاب" الإيمان الأكبر".

كما ألف تلميذه ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) كتاب " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل " وكتاب " الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة".

و في القرن التاسع اشتهر كتاب " العقيدة الكبرى أو ما يسمى "عقيدة أهل التوحيد، المخرجة بعون الله من ظلمات الجهل وربقة التقليد، المرغمة بفضل الله تعالى أنف كل مبتدع وعنيد "، و تعد من أهم ما صنّف الإمام محمد بن يوسف السنوسي المغربي (ت 895هـ)، في علم التوحيد و العقيدة الإسلامية، و قد حظت باهتمام العلماء، و كان الطلاب يتنافسون على حفظ هذه العقيدة، وهي أول ما صنفه الإمام السنوسي و قام بعد ذلك بشرحها في كتاب سماه "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد" المسمى بشرح السنوسية الكبرى.

و له أيضا كتاب" أم البراهين أو العقيدة السنوسية الصغرى" و هو من الكتب الهامة في علم التوحيد لخص فيه العقيدة على طريقة أبي موسى الأشعري. وله كذلك كتاب العقيدة الوسطى. وهو متن شرحه الإمام السنوسي أيضا شرحا اعتمد عليها العلماء، واستمدوا منه، كسائر كتبه.

و في القرن العاشر نجدكتاب " تنبيه الوسنان إلى شعب الإيمان" للشيخ زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي(ت:936هـ).

و أخيرا في الفن الثالث عشر ألفالشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت:1206ه)كتاب " عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة"و هو من الكتب المعتمدة لدى كثير ممن يطلق عليهم أتباع العقيدة السلفية، أو الوهابية ...

ومن بين السمات الغالبة على جل هذه المؤلفات، أسلوبها التقريري لأصول التوحيد ومباحث العقيدة، كما تصدت بعضها على الرد على البدع والانحرافات العقدية.

و يلاحظمشاركة جميع الاتجاهات والمذاهب الإسلامية في التصدي للتأليف في علم التوحيد مما يعكس العناية البالغة من قبل علماء الأمة بمختلف اهتماماتهم، للإدلاء باجتهاداتهم الفكرية لإغناء حقل يحكمه النقل و ينيره العقل و الوجدان في انسجام غيرمسبوق..

و هذه المؤلفات منذ القرن الرابع تكاد تتكرر في مباحثها و مواضعها، و في فصولها و تصنيفاتها، و لذلك سنركز على أهمها و أشهرها : و هي العقيدة الوسطية و العقيدة الطحاوية و العقيدة الأشعرية..و هذا الاختيار جاء من ضرورة الوقوف على ما يمكن اعتباره أهم ممثل للعلوم العقدية التي تؤطر علم التوحيد كمادة قابلة للتدريس، و هذا لا يعني بالضرورة إقصاء المصادر و المراجع الأخرى، بقدر ما هي عملية ديداكتيكية تمهيدية تسعى لتحديد نسبي لهذه التراكمات التأصيلية لعلم التوحيد، و تجميع و اختزال التكريرات المملة لبعض الكتب و الكتاب الذين يشتتون أكثر الاختيارات الديداكتيكية في مراحلها الأولى ..

سنقف على أهم مباحث ومواضيع كل عقيدة على حدة، ونحلل اختيارات أصحابها مع إمكانية المقارنة للفهم و التفهيم، و لن ندخل في الجدالات العقلية العقيمة، لأنها لا تخدم فرضية البحث في العلوم العقدية عموما و علم التوحيد على وجه الخصوص ...و قد نركز على بعض المواضيع التي يمكن تناولها من

حيث الاستراتيجيات التعليمية و التعلمية الحديثة، حتى تستجيب و التوجهات التربوية لمادة التربية الإسلامية، باعتبارها المادة التعليمية الشاملة للعلوم الإسلامية المختلفة..

ونبدأ بتفصيل و تحليل العقيدة الطحاوية كاختيار ترتيبي ملح بوصفها أظهرها و أجمعها لعقيدة الأمة، و لأنها كانت و لا زالت عنوانا لدى علماء المسلمين في العصور السابقة و اللاحقة، خصوصا عند الحديث عن عقائد السلف الصالح.

المطلب الثاني: مراجع عقائد السلف الصالح

مفهوم السلف عرف قديما مع الإمام أحمد بن حنبل في القرن الثاني الهجري وكرسه محمد بن عبد الوهاب في القرن 19 وكان مفهوما مبهما غير مصرح يعتمد بالأساس الرد على الفرق الكلامية كالمعتزلة والجهمية وغلاة الشيعة وغيرهم. فالسلف على هذا الأساس اقتصر على شؤون العقيدة في ظل المساجلات الكلامية التي كانت تحدث بين علماء السنة وأرباب الفرق الضالة.

أما حديثا وانطلاقا من دعوة الأفغاني فمعنى السلف لم يعد يقتصر على إصلاح العقيدة الدينية بتصفيتها من شوائب البدع وخرافات أصحاب الطرق وضلالات أرباب الفرق والنحل فقط يل تجاوز ذلك إلى إصلاح حياة المسلمين السياسية والاجتماعية عامة .... انطلاقا من إصلاح العقيدة الدينية، وسار بعد الأفغاني الشيخ عيده والأستاذ رشيد رضا على نفس النهج مركزين بالأساس في مقالاتهم ومؤلفاتهم إلى جانب إصلاح العقيدة الدينية على الدعوة إلى التحرير الفكري والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة وربط الدين بقضايا المجتمع الإسلامي.

و يبقى شيخ الإسلام ابن تيمية أحد رواد السلف في القرن السابع الهجري، و الذي أصل لعقيدة السلف بعد الإمام أحمد، و قد ذكرنا سبب تأليفه للعقيدة الواسطية، هاته العقيدة التي نالت من الاهتمام ما لم تنله عقيدة أخرى، فما سبب

ذلك، و ما هي مكونات هاته العقيدة التي امتازت بها عن غيرها ؟ ولماذا عُدَّت من أصول علم التوحيد الذي يتلقاها طالبهذا العلمو لا يعدونه منتسبًا إلى عقيدة السلف؛ حتى يدرس ويحفظ هذه العقيدة الواسطية؟

العقيدة الواسطية

إن المكانة التي تبوأتها العقيدة الواسطية جاءت من شموليتها و من مكانة صاحبها،فقد اشتملت هذه العقيدة على اعتقاد الفرقة الناجية، اعتقاد السلف الصالح المستمد من أصوله، من كلام ربنا القرآن، ومن صحيح حديث نبينا صلى الله عليه وسلم خير البيان، ومن إجماع السلف الصالح، وهذه الثلاثة مصادرُ تلقِّي العقيدة الصحيحة.

و قد تلقاها العلماء بالرضا والقبول؛ لأنها لم تخرج عن اعتقاد السلف، وإنما هي موافِقة ومطابقة تمامًا لاعتقاد السلف الصالح مِن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وتابعيهم بإحسان ومَن سار على نهجهم بعد ذلك. لأنها اشتملَت على أصول اعتقاد أهل السنة؛ فهي لم تختص بتوحيد الأسماء والصفات – وإن كان هذا مضمونها – لكنها اشتملت على هذا الأصلِ وعلى غيره من مسائل الاعتقاد عند أهل السنة؛ فاشتملَت على مسائل: القدر، ووسطية أهل السنة والجماعة، واعتدالهم، واشتملت على أمور الآخرة، ومسائل الصحابة، ومسائل الإيمان، والوعد والوعيد...

كماأن المؤلف وهو شيخ الإسلام لما نوظر عليها في مجالس المناظرة والامتحان، أمهَل خصومه ثلاث سنين أن يَأتوا فيها بحرف واحد خالفَ فيه السلفَ الصالح، ومضَتِ السنونَ الثلاثُ وما بَعدها إلى الآن، ولم يَعثروا على حرف واحد خالف فيه السلف الصالح، وهذا من ثقته بهذا الاعتقاد، ومِن تصديق أهل العلم على ما اشتملَت عليه هذه العقيدة من صحة المبنى، وصحة المعتقد.

فهذه الرسالة خاصة بالاعتقاد في الجملة، لأن فيها أشياء في العمل والسلوك وفي آخر الكتاب تكلم عن منهج أهل السنة والجماعة في مصادر التلقي التي يعتمدون عليها في العقائد، وقد أثنى عليها عدد كبير من أهل العلم،

وقد احتوت الرسالة على عدة مباحث وهي:

1 ـ أصل أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

2 ـ أصل أهل السنة والجماعة في الإيمان.

3 ـ أصل أهل السنة في الأسماء والأحكام وباب وعيد الله.

4 ـ أصل أهل السنة والجماعة في القدر.

5 ـ أصل أهل السنة والجماعة في اليوم الآخر وما فيه وما يقع فيه كالحساب والشفاعة والميزان والجنة والنار.

6 ـ وأصلهم في الكرامات.

7 ـ أصل أهل السنة والجماعة في موقفهم من الولاة والحكام.

8 ـ أصل أهل السنة والجماعة في الصحابة وموقفهم من ذلك.

9 ـ أصل أهل السنة والجماعة في مصادر التلقي.

10 ـ أصل أهل السنة والجماعة في الأخلاق والسلوك والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

11 ـ أصل أهل السنة في الجهاد وإقامة الشعائر الظاهرة.

12 ـ وختم الرسالة بذكر طبقات وأنواع أهل السنة والجماعة.

والمصنف – رحمه الله – لم يستوعب جميع ما يتعلق بأصول أهل السنة والجماعة لكنه ذكر أغلب ما يحتاجه المسلم، والأصول الكبار مع ملاحظة ما يدور في عصره.

"وقد حصل حولها مناظرة بين شيخ الإسلام وعلماء عصره في مجلس نائب السلطنة الأفرم بدمشق سنة (705هـ). وذكر شيخ الإسلام أنه عقد للمناظرة ثلاثة مجالس كتب ما استحضره منها بنفسه، وجمعت على اختصارها ووضوحها

جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة، وذكر فيها شيخ الإسلام مذهب السلف الصالح في العقيدة سليماً من شوائب البدع وآراء أهل الكلام المضلة.

طبعت العقيدة الواسطية عدة مرات، كان أولها في مطبعة المنار بتصحيح صاحبها الشيخ محمد رشيد رضا سنة (1340هـ).و آخرها طبعة دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض سنة (1416هـ) في (39) صفحة.

أما شروح العقيدة الواسطية فكثيرة، أشهرها "الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية" للشيخ زيد بن عبد العزيز ابن فياض المتوفى سنة (1416هـ) - رحمه الله تعالى -، وهو أول شرح طبع لهذه العقيدة، وهو شرح مطول. طبع الطبعة الأولى سنة (1377هـ) في الرياض .

و شرح "التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة" تأليف الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة (1376هـ) - رحمه الله تعالى وعليها منتخبات من تقارير سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى ..

و شرح العلامة الشيخ محمد خليل هراس المتوفي سنة (1415هـ) - رحمه الله تعالى تحث عنوان "الثمار الشهية في شرح الواسطية"، راجعه الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله تعالى -، وهو شرح مختصر واضح.

كما طبع هذا الشرح باعتناء الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف الذي ذيله بملحق الواسطية تضمن أهم مسائل العقيدة التي لم يتطرق لها شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية،وتم نشره بدار الهجرة للنشر والتوزيع في الرياض الطبعة الثانية سنة (1414هـ)، وقد طبع الملحق طبعة مفردة في دار الهجرة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى (1415هـ).

و هناك شرح للشيخ محمد بن صالح العثيمين، وهو عبارة عن مذكرة للمهم من مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية في التوحيد على العقيدة الواسطية، نشرتها دار الوطن للنشر في الرياض سنة (1412هـ).

وشرح ميسر تحث عنوان "مع عقيدة السلف ـ العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية "يقدمها للعالم الإسلامي مصطفى العالم، تناول العقيدة الواسطية بأسلوب مبسط يتناسب مع مدارك الطلاب[1].

وهذا لا يعني أن هذه العقيدة هي الممثل الوحيدلعقيدة السلف الصالح، و لكنها جامعةللأصول الثابتة بالأدلة النقلية الثابتة و البراهين العقلية الصريحة على نقاء العقيدة لإسلامية وقدرتها على إحياء موات الأمة وإيقاظ نوامها، و قد سبقتها عقائد لا زالت مرجعا لكثير من البلدان الإسلامية، و أشهرها العقيدة الأشعرية و العقيدة الطحاوية ...

العقيدة الطحاوية

قبل الحديث عن هذه العقيدة، و التفصيل في مراميها ومواضيعها، لا بد من الوقوف على أهم المحطات العلمية التي طبعت صاحبها..العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، مُحَدِّثُ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ وَفَقِيْهُهَا، أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَلاَمَةَ بنِ سَلَمَةَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ الأَزْدِيُّ، الحَجْرِيُّ المِصْرِيُّ، الطَّحَاوِيُّ، نسبة إلى قرية (طحا) بصعيد مصر، الفقيه الحنفي، صاحب المصنفات المفيدة، والفوائد الغزيرة، وهو أحد الثقات الأثبات، والحفَّاظ الجهابذة. وُلِد الطحاوي – على أصح الأقوال وأرجحها – سنةَ تسعٍ وثلاثين ومائتين.،و نشأ في أسرة معروفة بالعلم والتُّقى والصلاح، كما كانت ذات نفوذ ومنعة وقوة في صعيد مصر. وكان والده من أهل العلم والأدب

---

(1) موقع ألوكة علي بن عبد العزيز الشبل مقالات متعلقة تاريخ الإضافة 4/ 2/ 5015موافق13/ 5/ 1436.

والفضل، أما والدته فهي - على الراجح - أخت المُزَنِيِّ صاحب الإمام الشافعي (رحمهم الله تعالى)، وقد كانت معروفة بالعلم والفقه والصلاح، وقد ذكرها السيوطي فيمن كان في مصر من الفقهاء الشافعية. وبذلك هيَّأ الله للطفل الصغير الأسرة الصالحة، والبيت الصالح، ونشأ في بيئة كلها علم وفضل وصلاح.

تتلمذ الطحاوي على يد والدته الفقيهة العالمة الفاضلة، ثم التحق بحلقة الإمام أبي زكريا يحيى بن محمد بن عمروس، والتي تلقَّى فيها مبادئ القراءة والكتابة، واستظهر القرآن الكريم، ثم جلس في حلقة والده، واستمع منه، وأخذ عنه قسطًا من العلم والأدب، ونهل الطحاوي من معين علم خاله (المُزنيِّ)، فاستمع إلى سنن الإمام الشافعي، وإلى علم الحديث ورجاله.

عاش الطحاوي في القرن الثالث الهجري في العصر العباسي الثاني، والذي يُعَدُّ بدء عصر انحلال الخلافة العباسية، وسمي ذلك العهد (عهد نفوذ الأتراك)؛ لتولِّي الأتراك مقاليد أمور الدولة.

والعصر العباسي الثاني عصر اضطراب وقلق وفوضى من الناحية السياسية في عاصمة الخلافة العباسية بغداد، مما أدى إلى ذهاب هيبتها وتفككها، حتى إنه لم يبقَ من الخلافة إلا اسمها، ولم يبق في يد الخليفة إلا المظاهر وأبهة الخلافة.

وقد عاصر الطحاوي جميع أمراء الدولة الطولونية، وكانت له لدى بعض أمرائها مكانة مرموقة، وكان المجتمع المصري المسلم في ذلك الوقت يتمتع بجانب كبير من التدين والصلاح والتقوى، وذلك لقربه من القرون الفاضلة، ولتوفير أسباب الصلاح، فكان يهتم عامة الناس بالعلم، وتقدير العلماء واحترامهم، وقيام العلماء بواجبهم في الإصلاح، والأمر بالمعروف، ونشر العلم، والإنكار على الطرق المنحرفة في الدين تفريطًا وإفراطًا، كما كان لصلاح الأمراء وتشجيعهم للعلماء الدافع الكبير لعجلة الإصلاح والإرشاد في المجتمع آنذاك.

انتقل الطحاوي إلى مذهب أبي حنيفة. وذكر ابن خَلّكان في الوفَيَات أن سبب انتقاله إلى مذهب أبي حنيفة، ورجوعه عن مذهب خاله المزني أن خاله قال له يومًا: والله لا يجيء منك شيء.فغضب وتركه، واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي حتى برع، وفاق أهل زمانه، وصنَّف كتبًا كثيرة. عُرف عن الإمام الطحاوي منذ بدء طلبه للعلم الحرص الشديد، والسعي الحثيث للاستفادة من علماء عصره، سواءٌ أكانوا من علماء مصر، أم من العلماء الوافدين عليها من مختلف الأقطار الإسلامية. ومن هؤلاء العلماء:

1- أحمد بن شعيب بن علي النسائي، صاحب السنن، كان إمامًا في الحديث (ت303هـ).
2- أحمد بن أبي عمران القاضي، ثقة مكين في العلم (ت280هـ)
3- إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي (ت304هـ)
4- إسماعيل بن يحيى المزني، خال الطحاوي، ثقة صدوق (ت264هـ).
5- بحر بن نصر بن سابق الخولاني، تلميذ الشافعي، ثقة صدوق فاضل مشهور (ت267هـ).

اشتهر الطحاوي بسعة اطِّلاعه في شتى علوم عصره، وذاع صيته بين طلبة العلم في تحقيق المسائل، وتدقيق الدلائل، فتوافد عليه طلاب العلم من شتى أقطار البلاد الإسلامية؛ ليستفيدوا من غزارة علمه، واتِّساع معارفه، وكان موضع إعجابهم وتقديرهم. و من أشهرهمسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، أبو القاسم، صاحب المعاجم (ت360هـ). و عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني أبو أحمد، صاحب كتاب الكامل في الجرح والتعديل (ت365هـ).

و للطحاوي الكثير من المؤلفات النافعة، منها:

1- أحكام القرآن الكريم. وهو تفسير لآيات الأحكام.
2- اختلاف العلماء. وهو كتاب ضخم، ورد في مائة وثلاثين جزءًا، كما ذكر المترجمون للطحاوي، غير أنه لم يعلم عن وجوده شيء. وقد

اختصره أبو بكر الجصاص (ت370هـ). وجزء من هذا المختصر موجود بمكتبة جار الله ولي الدين بإستانبول، وبدار الكتب المصرية.

3- التسوية بين حدثنا وأخبرنا. وهو رسالة صغيرة في مصطلح الحديث.

4- الجامع الكبير في الشروط. القاهرة.

5- شرح معاني الآثار. وهو في أحاديث الأحكام.

6- صحيح الآثار. محفوظ بمكتبة.

7- السنن المأثورة. رواية أبي جعفر الطحاوي عن خاله المزني، عن الإمام الشافعي، وطبع حديثًا.

8- العقيدة الطحاوية. وفيه بيان معتقد أهل السنة والجماعة.

9- مختصر الطحاوي الأوسط.

10-مشكل الآثار في اختلاف الحديث.

أما المفقود من مؤلفات الإمام الطحاوي فهو يصل إلى ثلاثة وعشرين مؤلفًا.

توفي (رحمه الله) ليلة الخميس في مستهلِّ ذي القعدة سنةَ إحدى وعشرين وثلاثمائة، ودُفِن بالقرافة، وقبره مشهور بها، وله من العمر اثنان وثمانون عامًا، وخلَّف من الذرية ابنًا واحدًا، هو علي بن أحمد بن محمد الطحاوي[1].

ورسالته في علم التوحيد موضوع بحثنا أسماها "بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة"، و قد جاءت في صفحاتيسيرة، و جاء من يشرحها بعده بقرون و يفصل في مسائلها ..و هذه العقيدة التي كتبها الطحاوي من عقائد السلف الصالحومن تبعهم من أهل السنة والجماعة، على مذهب أبي حنيفة - وقد بين ذلك في

1- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي الطبقة 18 ج 15/ 27-28-29 مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م، و الوافي بالوفيات للصفدي: دار إحياء التراث – بيروت:1420هـ- 2000م.

المقدمةفقال: " هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء المِلَّة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين ".و بدأفي رسالته بالتطرق لأصول العقيدة، و بلغ ما ذكره مائة و خمسة مسألة من الأمور التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة عامة. ابتدأها ببيان وحدانية الله تعالى وذكر شيء من صفات ربوبيته سبحانه كالحياة والقيومية والخلق والرزق، وإثبات صفات الكمال إثباتا بلا تكييف ولا تشبيه لقوله سبحانه وتعالى "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" الشورى11، ثم أعقبه بذكر وجوب الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم بعثته، ثم التعريف بالقرآن الكريم وأنه كلام الله غير مخلوق، وإثبات رؤية الله في الآخرة، ثم ذكر بعض ما يؤمن به أهل السنة من الغيبيات كالحوض والشفاعة والعرش والكرسي، وبعدها ذكر من أركان الإيمان القضاء والقدر، وما يعتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، ثم انتقل إلى تعريف الإيمان وبيان أركانه وأنه يزيد وينقص ووضح مذهب أهل السنة بين مذاهب الخوارج والمرجئة، كما قرر ما يؤمن به أهل السنة في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأن حبهم من الدين والإيمان والإحسان، وبغضهم من الكفر والنفاق والعصيان، ثم عرج على شيء من أشراط الساعة وما يكون يوم القيامة، ثم ختم رسالته ببيان وسطية هذا الدين، وأنه وسط بين الغلو والتقصير.

والعقيدة الطحاوية سهلة العبارة، واضحة المعنى، تتسم بالجمع والاختصار، وقد اجتمع على مجملها أهل السنة والجماعة، فهي بذلك محل إجماع واتفاق بين أهل العلموقد اهتم كثير من العلماء بشرح هذه العقيدة وتفسير كلماتها ومعانيها، ومن أشهرشراحها ابن أبي العزالحنفي، حيث كتب شرحا

مطولا [1] عليها، و الذي كان سببا في ذيوعها و شهرتها ثم من المتأخرين، وقد استقى معظم شروحها من كتب أهل السنة، لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلميذه ابن القيم رحمه الله ... لكن فيها بعض المخالفات لما عليه السلف ؛ مثل قوله في تعريف الإيمان : "والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان" ؛ فإن الاقتصار على ذلك هو مذهب مرجئة الفقهاء الذين يخرجون أعمال الجوارح من حقيقة الإيمان ·كما وردت بعض العبارات المجملة عن غير قصد تحتمل معاني مبهمة،كثر استعمالها من أهل البدع في مقاصد تخالف ما عليه السلف الصالح ؛ مثل قوله : " وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات كسائر المبتدعات" ؛ فمثل هذه العبارات يستعملها المعطلة في نفي ما ثبت لله تعالى في كتابه وسنة رسوله، من الصفات الحسنى اللائقة بكماله سبحانه، مثل الوجه واليدين والعينين ..، فيسمونها الجوارح والأعضاء، وينزهون الله عنها·

ومثل علوه سبحانه فوق خلقه، واستوائه على عرشه في سمائه، فيسمون هذه "جهة، ومكانا" وينزهون الله تعالى عنها· ولأجل ذلك كان من المهم لطالب العلم أن يعتني بأخذ هذه العقيدة عمن شرحها من أهل السنة، كابن أبي العز قديما، ومن علمائنا المعاصرين من علق عليها تعليقات مختصرة كالشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهما الله.·

وهكذا، ثم توسع وشرح وأفاض في الكتابة في علم التوحيد الإمام الجليل أبو الحسن الأشعري، رحمه الله تعالى ، حتى نسب هذا العلم للأشعري؛ لأنه بيّنَ

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية: لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ) تحقيق: أحمد شاكر الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

مناهج الأولين ولخص موارد البراهين، ولم يحدث فيه بعد السلف إلا مجرد الألقاب والاصطلاحات ....

و اعتبر الأشعري العمدة لمن كتب بعدهفي علم التوحيد مثل الباقلاني، والغزالي، والفخر، وإمام الحرمين، وغيرهم.و لذلك نفصل سنحاول الوقوف على أهم ركائز العقيدة الأشعرية:

العقيدة الأشعرية

و سميت بالعقيدة الأشعرية نسبة إلى واضعها أبي احسن الأشعري، و هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل،و قد اشتهر بالكلام و صنف الكتب والتواليف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة، والجهمية، والخوارج وسائر أصناف المبتدعة.

ولد سنة ستين ومائتين من الهجرة النبوية، دخل بغداد وأخذ الحديث عن الحافظ زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه وعن أبي خليفة الجمحي وسهل بن سرح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف البصريين، وروى عنهم كثيراً في تفسيره (المختزن) وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة.وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته. ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنةولما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغاية كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك.، و اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزالو ثار على المذهب الذي كان ينافح عنه وخط لنفسه منهجاً جديداً يلجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام

العقل، وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب[1] في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل، ووَافِقُ السَّلَفَ وَالْأَئِمَّةَ عَلَى إثْبَاتِ "صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَعُلُوه عَلَى خَلْقِهِ " وَبَيَّنَ أَنَّ "الْعُلُوَّ عَلَى خَلْقِهِ " يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ "واسْتِوَاؤُهُ عَلَى الْعَرْشِ " يُعْلَمُ بِالسَّمْعِ[2]، وهذه هي المرحلة التي ما زال كثير من الأشاعرة عليها..

بعد هذه المرحلة اقترب الأشاعرة من عقيدة أهل السنة و الجماعة خصوصا فيما يتعلق بإثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريفولا تبديل ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب أبو الحسن الأشعري كتاب " الإبانة عن أصول الديانة " الذي عبّر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم. فأضحى بذلك كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل وعقيدته عقيدة واحدة لا شك في ذلك ولا ارتياب، وبذلك صرح في تصانيفه وذكره غير ما مرة ... وَلَمْ تَزَلْ الْحَنَابِلَةُ بِبَغْدَادَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ عَلَى مَمَرِّ الْأَوْقَاتِ تَعْتَضِدُ بِالْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى

---

(1) رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، و على الجهمية،أقرب المتكلمين إلى السنة، وكان يقول بأن القرآن قائم بالذات بلا قدرة ولا مشيئة. وهذا ما سبق إليه أبدا، كتاب " الصفات "، و له كتاب " خلق الأفعال "، و كتاب. الرد على المعتزلة" .توفي حوالي 241 هـ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي :ج 11 الطبقة 12-13.

(2) ا نظر مجموع الفتاوى : لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/ 1995م

أَصْحَابِ الْبِدَعِ لِأَنَّهُمْ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي الرَّدِّ عَلَى مُبْتَدِعٍ فَبِلِسَانِ الْأَشْعَرِيَّةِ يَتَكَلَّمُ، وَمَنْ حَقَّقَ مِنْهُمْ فِي الْأُصُولِ فِي مَسْأَلَةٍ فَمِنْهُمْ يَتَعَلَّمُ.... [1]

ولم يقتصر أبو الحسن الأشعري على كتاب الإبانة بل خلّف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدّر بثمانية وستين مؤلفاً، ومن وقف على تواليفه بعد توبته من الاعتزال رأى أن الله تعالى قد أمده بمواد توفيقه، وأقامه لنصرة الحق والذب عن طريقه.وفضائل أبي الحسن الأشعري ومناقبه أكثر من أن يمكن حصرها، لذلك تنازع فيه أهل المذاهب، فالمالكي يدعي أنه مالكي، والشافعي يزعم أنه شافعي، والحنفي كذلك.

توفي أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى سنة 324هـ. واتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة – سيفاً مسلولاً ومن طعن فيه أو سبه فقد بسط لسان السوء[2].

و قد انتشر المذهب الأشعري في العالم الإسلامي منذ عهد السلاجقة [3]، كما تبناه وعمل على نشره المهدي بن تومرت أمير الموحدين، و لا زالت العقيدة

---

1)) ا نظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية : دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1408هـ

(2) انظر: حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي كتاب أبو الحسن الأشعري: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السادسة – العدد الثالث – رجب 1394هـ – فبراير 1974م.

(3) دولة السّلاجقة العظام واحدة من الدول الكبرى في تاريخ الإسلام توطنت إقليم وسط آسيا، و لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الدولة العباسية والحروب الصليبية والصّراع الإسلامي البيزنطي(421 هـ – 552 هـ).

الأشعرية قائمة في المغرب إلى اليوم، بالإضافة إلى اعتمادها من جلة من العلماء، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين. ولذلك انتشر المذهب في العالم الإسلامي كله، وله جامعاته ومعاهده المتعددة

و تفصيل العقيدة الأشعرية و مباحثها و مضامينها ضروري لكل تحليل ديداكتيكي لعلم التوحيد، خصوصا إذا كانت الدولة تتبناه و تعمل على إدماجه في المقررات الدراسية

و لذلك وقفنا على أهم أصول هذا المذهب العقدي إلى حين تناوله عند تسطير المنهاجوضع البرنامج في مادة التربية الإسلامية بصفتها الإطار التعليمي التعلمي لهذا المكون الديداكتيكي.

ذكرنا هذه العقيدة لقربها من عقيدة أهل السنة و الجماعة عند كثير من علماء المسلمين، و لمحاولة أخذ بعض مقوماته التي قد تفيد في اختيار مضامين علم التوحيد في مرحلة دراسية متقدمة ..

و هناك مجموعة من أصحاب الملة لها مقولات خاصة في علم التوحيد، و لا يمكن تصنيفها بين الفرق الكلامية، و همالصوفية، فكان لزاما الوقوف على أطروحاتها العقدية، لإغناء هذا العلم الروحي الذي هو علم التوحيد ..و هو نور عمل القلوب الذي اجتهد فيه القوم.

فما هي أهم خصوصيات علم التوحيد عند الصوفية؟

المطلب الثالث: الإشكالات العقدية عند الصوفية

جاء التوحيد عند الصوفية أصحاب الذوق و السبحات الروحية،بصيغ إشارية على عادتهم؛ فهو في نهايته حسب قولهم، توحيد الفرق و الجمع، و الفرق شهود القوالب والجمع شهود المظاهر فالقوالب محل الشرائع والمظاهر عين الحقائق .و قال أبو على الدقاق: الفرق ما نسب اليك والجمع ما سلب منك. فالفرق بلا

جمع فسوق وجمود وجهل بالله تعالى والجمع بلا فرق زندقة وكفر[1]، وهو توحيد الحق ذاته بذاته. وصورته في بداية السالك شهادة أن لا اله الا الله، وحده لا شريك له....

وفصلوا في تعريف التوحيد من حيث الأصول والأحوال والولايات والحقائق:

ففي الأصول التوحيد رؤية القصد والعزم والسير لله، وفي الله، وبالله... وفي الأحوال شهود الحق من الحق بالحق للحق ذوقاً. وفي الولايات الفناء عن رسوم الصفات في الحضرة الواحدية،وشهود الحق بأسمائه وصفاته لا غير. وفي الحقائق الفناء في الذات مع بقاء رسوم الخفي المستور بنور الحق، وكل طائفةٍ من الطوائف تكلمت عنالتوحيد؛ فبعضهم بلسان العلم و العبارة، و بعضهم بلسان الذوق والاشارة، و ما قدروه حق قدره، و ما زاد بيانهم غير ستره، إلّا أن أرباب الذوق لّما كانت إشارتهم عن وجدان وبيانهم عن عيان، لاحت إشارتهم لأسرار المحبين لوائح الكشف المبين، وأذابت عباراتهم قلوب المتعطشين لذة برد اليقين...

وللتوحيدعند الصوفية مراتب ثلاثة، علم وعين وحق، فعلمه ما ظهر بالبرهان وعينه ما ثبت بالوجدان وحقه ما اختص بالرحمن. أما التوحيد العلمي، فالتصديق بالدليل النقلي وهو التوحيد العام، ويليه التحقيق إنكان الدليل عقلياً

---

(1) الحافظ المفيد الرحال أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد الأصبهاني الدقاق.ولد بمحلة جرواءان سنة بضع وثلاثين وأربعمائة. وسمع في سنة سبع وأربعين من أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي، وأصحاب ابن المقرئ، والشيخ أبي القاسم ابن منده .و أما الذين كتب عنهم بأصبهان، فأكثر من ألف شيخ، وكتب في الرحلة عن أكثر من ألف أخرى، وسمع بهراة ونيسابور من ستمائة.كان الدقاق محدثا مكثرا، أثريا متبعا، فقيرا متعففا دينا..مات في شوال في سادسه سنة ست عشرة وخمسمائة.انظر سير أعلام النبلاء الطبقة 27 ص 474.

وهو التوحيد الخاص والمصدّق... وأما التوحيد العيني الوجداني، فهو أن يجد صاحبه بطريق الذوق والمشاهدة عين التوحيد... وأما التوحيد الرحماني: فهو أن يشهد الحق سبحانه على توحيد نفسه بإظهار الوجود، إذ كل موجود يختص بخاصيته، لا يشاركه فيها غيره، وإلّا لما تعيّن

وقد اختلفت عبارات الشيوخ عن معنى التوحيد لأنهم عبروا بأحوالهم فقالوا:

قال السلمي [1]": التوحيد _حقيقةً_: معرفته كما عرَّف نفسه إلى عباده؛ ثم الاستغناء به عن كل ما سواه.

و قيل: توحيد الخاصة أَن يَكُون بسره ووجده وقلبه كَأَنَّهُ قائم بَيْنَ يدي اللَّه تَعَالَى يجري عَلَيْهِ تصاريف تدبيره وأحكام قدرته فِي بحار توحيده بالفناء عَن نَفْسه وذهب حسه لقيام الحق سبحانه لَهُ فِي مراده منه فيكون كَمَا هُوَ قبل أَن يَكُون فِي جريان حكمه سبحانه عَلَيْهِ.

قالَ أَبُو سَعِيد الخراز [2].: أول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بِذَلِكَ فناء ذكر الأشياء عَن قلبه وانفراده بالله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(1) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراق، الأزدي، السلمي الأم، الإمام الحافظ المحدث، شيخ خراسان وكبير الصوفية، أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي، ولد في سنة ثلاثين وثلاثمائة، صاحب التصانيف المشهورة العجيبة في علوم القوم و صلت إلى سبعمائة جزء، وفي أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- من جمع الأبواب والمشايخ وغير ذلك ثلاثمائة جزء، وأغلب تصانيفه مقبولة، ورث التصوف من أبيه وجده، وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرس كتبه المائة أو أكثر، حدث أكثر من أربعين سنة قراءة وإملاء،مات السلمي في شهر شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وقيل: في رجب بنيسابور، وكانت جنازته مشهودة.

(2) الخراز أبو سعيدأحمد بن عيسى، والخراز: نسبة إلى خرز الجلود الزاهد الكبير شيخ الصوفية أحد المشاهير بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقب،و له في ذلك التصانيف منها كتاب

قال الجنيد[1]":التوحيد إفراد للقدم من الحدث."وسئل عَن التوحيد الخاص فَقَالَ: أَن يَكُون العبد شبحا بَيْنَ يدي اللَّه سبحانه تجري عَلَيْهِ تصاريف تدبيره فِي مجاري أحكام قدرته فِي لجج بحار توحيده بالفناء عَن نَفْسه وعن دعوة الخلق لَهُ وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته فِي حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته لقيام الحق سبحانه لَهُ فيما أراد منه وَهُوَ أَن يرجع آخر العبد إِلَى أوله فيكون كَمَا كَانَ قبل أَن يَكُون.

وأشرف كلمة قيلت في التوحيد: ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه:" سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته."

وإذا عرف أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب، كما تقدمت إليه الإشارة، فلا يلتفت إِلَى قول منجعل هذا النوع توحيد العامة، والنوع الثاني: توحيد الخاصة، وهو الذي يَثبُت بالحقائق، والنوع الثالث: توحيد قائم بالقِدم، وهو توحيد خاصة الخاصة، لإن أكمل النَّاس توحيداً الأَنْبِيَاء

الصدق أو الطريق إلى الله وكتاب الصيام.له كرامات وأحوال وصبر على الشدائد.روى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم.ومن أجود كلامه: (إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم)وقال: (العافية تستر البر والفاجر فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال).توفي رحمه الله تعالى سنة: 277 وقيل: سنة 286 هـ ـ 899

(1) الجنيد بن محمد رحمه الله : سيد الطائفة ومقدم القوم، كان على حال من العبادة والزهد والتأله، مستقيما على طريقة السلف في الجملة، يعظم الكتاب والسنة، وينهى عن الإحداث والبدعةكان أبوه قواريريا، وكان هو خزازا، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد. "سمع بها الحديث، ولقي العلماء، ودرس الفقه عَلَى أَبِي ثور، وصحب جماعة من الصالحين، منهم الحارث المحاسبي، وسري السقطي.ثم اشتغل بالعبادة ولازمها حتى علت سنه، وصار شيخ وقته، وفريد عصره فِي علم الأحوال والكلام عَلَى لسان الصوفية، وطريقة الوعظ.وله أخبار مشهورة، توفي الإمام الجنيد سنة 298هـ يوم الجمعة في بغداد انظرتاريخ بغداد(8/ 168) "

- صلوات الله عليهم- والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً وهم: "نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومُحَمَّد، صلى الله وسلم عليهم أجمعين."و هذا توحيدهم، و ما التوحيد الذي جاؤوا للدعوة إليه ..

هذه أهم العقائد التي تقترب من صواب عقيدة السلف، و التوحيد الصافيللأمة، و قد فصلنا في سرد مقومات كل عقيدة على حدة، و عرضنا للنفي و الإثبات في إظهار ما لأصحابها و ما عليهم حتى نبقى في طبيعة كلمة التوحيد، و حاول كل من ألف في علم التوحيد أن يصنف مباحثه في أقسامو أنواع ليسهل تناولها، و هكذا تطور تصنيف هذا العلم من الحديث عن الأمور الشائكة من الحديث عن القدر و الاختيار و الجبر إلى بدعة خلق القرءان، حتى وصل التقسيم مداه بالحديث عن الأصول الثلاث لعلم التوحيد...

المبحث الثالث

أقسام العقيدة وأنواع التوحيد

قبل التناول إشكالية التقسيم و التصنيف في علم التوحيد،لا بأس بالوقوف عن الفرق بين القسم و النوع، فالقَسْمُ: مصدر قَسَمَ الشيءَ يَقْسِمُه قَسْماً فانْقَسَم، والموضع مَقْسِم مثال مجلس. وقَسَّمَه: جزَّأه، وهي القِسمةُ.

والقِسْم، بالكسر: النصيب والحَظُّ، والجمع أَقْسام، وهو القَسِيم، والجمع أَقْسِماء وأَقاسِيمُ، الأَخيرة جمع الجمع. يقال: هذا قِسْمُك وهذا قِسْمِي.

أما النَّوْعُ فهو أَخَصُّ من الجِنس، وهو أَيضاً الضرْبُ من الشيء، قال ابن سيده[1]: وله تَحْديدٌ مَنْطِقيّ لا يليق بهذا المكان، والجمع أَنواعٌ، قلّ أَو كثُر. قال الليث: النوْعُ والأَنواعُ جماعة، وهو كل ضرب من الشيء وكل صِنْفٍ من الثياب والثمار وغير ذلك حتى الكلام؛ وقد تَنَوَّعَ الشيء أَنواعاً.[2]

يظهر إذن أنه من ناحية المعنى اللغوي فهي متقاربة المعنى مع فروق يسيرة، فالنوع جزء مما هو أشمل منه، أو مما تفرع عنه،أما القسم فقد يكون الشيء قسيماً

---

(1) إِمَامُ اللُّغَةِ أَبُو الحَسَنِ؛ عَلِيُّ بنُ إِسْمَاعِيْلَ المُرسِيُّ، الضَّرِيرُ صَاحِبُ كِتَابِ "المُحْكَم "فِي لِسَانِ العَرَبِ وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بذكَائِهِ المَثَل. إمام في اللغة والعربية حافظ لَهُمَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ ضرِيراً وَقَدْ جمع فِي ذَلِكَ جُمُوْعاً وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ حظٌّ فِي الشّعر وَتَصرُّف. هُوَ حُجَّةٌ فِي نَقل اللُّغَة وَلَهُ كِتَاب العَالَم فِي اللُّغَة؛ نَحْو مائة سفر بدَأَ بِالفَلَكِ وَختم بِالدَّرَّة. وَلَهُ شَوَاذ اللُّغَة خَمْسَة أَسفَار.

و كان مَوْتُه فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ وَأَرْبَعِ مائة،انظر سير أعلام النبلاء الطبقة24ج13 ص 353.

(2) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2000 م حرف العين مقلوبة (و.ع.ن)ج 2 ص371.

لشيء وليس متفرعاً عنه،فيقال هذا قسم وهذا قسم، وليس كل منهما متفرعاً عن الآخر، أو يرتبط به في مفهوم عام كالجنس.وعموماً فالمصطلحان يجتمعان في بعض المعاني، ويختلفان في بعضها،فيقال لجذع الشجرة هذا قسم من الشجرة ولا يقال نوعاً منها، ويقال للميراث هذا قسمك، ولا يقال نوعك، لكن يقال هذا النقد نوع من أنواع المال، والنوع لابد أن يكون متفرعاً عن شيء منفصلاً عنه[1]..

والنوع يطلق على المعاني والأعيان،يقال هذا الضرب نوع من أنواع البلاغة القرآنية، وكذلك الأقسام.

ومن ناحية الاستعمال فيظهر أن القسم أشمل من النوع فهو مرادف للجنس، والنوع يتفرع عنه في استعمالهم، وهو ظاهر تصرف ابن حبان في صحيحه حيث فرع الأنواع عن الأقسام.وقد استعمله على هذا النحو عدد من العلماء...). [2]

من خلال ما سبق يطرح تصنيف علم التوحيد إلىأقسام و أنواع إشكالا إيتيمولوجيا وابستمولوجيا ؛ لأن الأصل في التوحيد عدم التقسيم، وما قسم العلماء التوحيد هذه التقسيمات و ما كتبوا في التوحيد إلا ليحافظوا على اعتقاد الصحابةو من أجل ضرورة التعليم و التعلم،و هذه الاجتهادات في تقسيم التوحيدمأخوذة أساسا من استقراءالنصوص القرآنية و الحديثية، ولم ينص عليها باللفظ مباشرة،و سنلحظ ذلك عندتتبعنا لأهم التقسيمات في هذا الباب.

---

(1) أيوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي، أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري: مؤسسة الرسالة ص 339.

(2) انظر كتاب التقاسيم والأنواع والجوامعالفقهية في فروع الفقه الحنبلي في باب المياه للدكتور.عبدالله بن مبارك آل سيف الأستاذ المساعد في قسم الفقه بكلية الشريعة بالرياض العام الجامعي 1427.

جمهور العلماء قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1- توحيد الربوبية.

2- توحيد الألوهية.

3- توحيد الأسماء والصفات.

و من المتأخرين من زاد قسماً رابعاً أسماه:

4- توحيد الاتباع أو توحيد الحاكمية (أي التحاكم إلى الكتاب والسنة)، ولكن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية؛ لأن العبادة لا تقبل شرعاً إلا بشرطين هما:الإخلاص و الإتباع.

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين لأنهم يجمعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم باللهومعرفته عزوجل، بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله.فجاء القسمان بأسماء مختلفة :

توحيد المعرفة والإثبات/ توحيد القصد والطلب...

التوحيد العلمي الخبري / التوحيد الإرادي الطلبي .

التوحيد القولي:/ التوحيد العملي...

توحيد السيادة/ توحيد العبادة.

التوحيد في المعرفة والإثبات/ التوحيد في المطلب والقصد.

فتقسيم التوحيد إلى قسمين راجع إلى اعتبار ما يجب على الموحد، وتقسيمه إلى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلق التوحيد ....

ومن خلال التتبع والاستقراء والنظر في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، تبين أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة.وقد جاء هذا التقسيم في عباراتالمتقدمين من أئمة الحديث والأثر، فجاءذلك عن أبي جعفر

الطبري [1] في تفسيره وفي غيره من كتبه، وفي كلام ابن بطة[2]، وفي كلام ابن منده[3]، وفي كلام ابن عبد البر[1].

---

(1) محمد بت جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبي جعفر الطبري (224 ه- 310 هـ) مفسر و مؤرخ و فقيه، لقب بإمام المفسرين، كان رحمه الله حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها ناسخها و منسوخها ، ومسائل الحلال والحرام، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، له العديد من التصانيف، منها: اختلاف علماء الأمصار، وألف جامع البيان في تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري وتاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري وتهذيب الآثار، وذيل المذيل، ولطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، وكتاب القراءات، وصريح السنة، والتبصير في معالم الدين، وتوفي في شهر شوال سنة 310هـ، ودفن ببغداد....انظر الأعلام ج6 ص69.. لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م..

(2) ابن بطة: عبيد الله بن محمد بن محمد العكبري، وُلِد سنة أربع وثلاثمائة، طلب العلم وهو صغير بتوجيه أبيه الذي أوفَده إلى بغداد و لم يُناهز العاشرة من عمره إلا قليلًا؛ ليتعلم على شيوخها. فأخذ من فقهاء الحنابلة وحُفَّاظها، وصار من مُحدِّثي بغداد وعلمائها، وبعد رجوعه من رحلته في طلب العلم، لازَم بيته وتفرَّغ للتصنيف والتدريس مؤثِرًا العُزلة، وكان أمَّارًا بالمعروف، ولم يبلغه خبر منكر إلا غيَّره؛وكان مستجاب الدعوة؛ ثم ارتحل في كهولته إلى دمشق وحمص وغيرها يسمع على شيوخها. ومن جملة مصنفاته وهي تزيد على مائة: "الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة"، و"التفرد والعزلة"، و"السنن"، و"المناسك"، و"صلاة الجماعة"، و"إبطال الحيل." وقد توفِّي رحمه الله سنة 387 ه. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي الطبقة 21 ج 12 ص464-465.

(3) الإِمَامُ الحَافِظُ الجوَّال، محدِّث الإِسْلاَم، أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ ابْنُ الْمُحَدِّثِ أَبِي يَعْقُوْبَ إِسْحَاقَ بن الحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى بنِ مَنْدَةَ مَوْلِدهفي سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ، أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ كَانَ أَوسعَ رِحلةً. كان كثير التأليف، صنَّف كتاب: "الإيمان" في مجلد كبير، وكتاب في النفس والروح، وكتاب "التوحيد"، و"معرفة الصحابة"، و"التاريخ"، و"فتح الباب في

وغيرهم من أهل العلم،خلافاً لمن زعم من المبتدعة أنَّ هذا التقسيم أحدثه ابن تيمية، فهذا التقسيم قديم يعرفه من طالع كتب علماء التوحيد في عصور ما قبل شيخ الإسلام.

الكنى والألقاب"، و"جزء من روى هو وولده وولد ولده"، و"فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار : شروط الأئمة"، و"أسامي مشايخ البخاري"، و"أمالي ابن منده – رواية البزاني"، و"مجالس من أمالي أبي عبدالله بن منده"، و"فوائد ابن منده من عقائد السلف (الرد على الجهمية)" مَاتَ ابْنُ مَنْدَةَ فِي سَلْخِ ذِي القَعْدَةِ سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِيْنَ وَثلاَثِ مائَةٍ، انظر سير أعلام النبلاء الطبقة 22 ج12 من ص499إلى ص 505..

(1) الإِمَامُ العَلاَّمَةُ حَافظُ المَغْرِبِ شَيْخُ الإِسْلاَمِ أَبُو عُمَرَ يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عَاصِمٍ النَّمَرِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ القرطبي المالكي صاحب التصانيف الفائقة، فَقِيْهٌ حَافظٌ، مَام ديِّن ثِقَة مُتْقِن علاَمَة مُتَبَحِّر صَاحِبَ سُنَّةٍ وَاتِّبَاع مُكْثِرٌ عَالِم بِالقِرَاءات، وَبَالخلاَف وَبعلُوْم الحَدِيْث وَالرِّجَال قَدِيْمُ السَّمَاع، مَوْلِدهفِي سَنَةِ ثَمَان وَسِتِّيْنَ وَثلاَثِ مائَة فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الآخِرِ.... أَلَّف كتباً مُفِيْدَة مِنْهَا: كِتَاب التّمهيد لَمَا فِي المُوَطَّأِ مِنَ المَعَانِي وَالأَسَانِيْد فَرتَّبَهُ عَلَى أَسْمَاء شُيُوْخ مَالِك عَلَى حُرُوف المُعْجَم وَهُوَ كِتَابٌ لَمْ يَتَقَدَّمه أَحَدٌ إِلَى مِثْلِهِ وَهُوَ سَبْعُوْنَ جُزْءاً. ثُمَّ صَنَعَ كِتَاب "الاسْتذكَار لمَذْهَب عُلَمَاء الأَمصَار فِيمَا تَضَمَّنَهُ المُوَطَّأ مِنْ معَانِي الرَّأْي وَالآثار "شرح فِيْهِ المُوَطَّأ عَلَى وَجهه وَجَمَعَ كِتَاباً جَلِيْلاً مُفِيْداً وَهُوَ الاسْتيعَاب فِي أَسْمَاء الصَّحَابَة وَلَهُ كِتَاب جَامِع بيَان العِلْم وَفضله وَمَا يَنْبَغِي فِي روَايَته، وَكَانَ مُوَفَّقاً فِي التَّأْلِيف، مُعَاناً عَلَيْهِ، وَك له ِتَاب المَغَازِي، وَكِتَاب الْقَصْد وَالأُمَم فِي نسب العَرَب وَالعجم، وَكِتَاب الشوَاهد فِي إِثْبَات خَبَر الوَاحِد، وَكِتَاب الإِنصَاف فِي أَسْمَاء الله وَكِتَاب الفَرَائِض وَكِتَاب أَشعَار أَبِي العتَاهية وَعَاشَ خَمْسَةً وَتِسْعِيْنَ عَاماً. توفي لَيْلَة الجُمُعَة سلخ ربيع الآخر سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسِتِّيْنَ وَأَرْبَع مائَة وَاسْتكمل خَمْساً وَتِسْعِيْنَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَيَّام رَحِمَهُ اللهُ. انظر سير أعلام النبلاء الطبقة 24 ج13 من ص 357إلى ص 600..

و من العلماء من يتحدث عن الأركان أو الأصول عوض الأقسام و الأنواع، و يبقى التوحيد جامعو موحد للربوبية و الألوهية و الأسماء و الصفات، و نفصل القول في هذه الأقسام:

*توحيدالربوبية

و الربوبية مشتقة من الرب، وتعني إفراد الله- تعالى -بالخلق والملك والتدبير، فلاخالق إلا الله تعالى، ولا مالك للك ونسواه، ولا مُصرّ فلشؤون الخلق والك ونسواه، فهو مقسّم الأرزاق، وهو المحيي والمميت، ومن الجدير بالذكر أنّ الكفار أقرّوا بهذا النوع من التوحيد، قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّه﴾ العنكبوت 61، فالكافر مُقرّب أنّ الله- تعالى -هو الخالق والمالك للكون، ولكن هذا الإقرار لايكفي للنجاة من النار، و صاحبه لايعتبرمسلماً، لأن هذا النوع من التوحيد يتعلق بالأُمور الكونية . و لا عمل يصدق ذلك، و هو توجيه العبادة لخالق الكون و المتصرف فيه، وهو القسم الثاني من التوحيد ..

* توحيدالأُلوهية

والألوهية مشتقة من الإله، ويتحقق هذا النوع من التوحيد بإفراد الله- تعالى - وحده لاشريك له بالدعاء والتوكل والاستعانة وغيرها من العبادات، ويعبر بعض أهل العلم بالتعبد بدل العبادة، ولا فرق، إذ المراد بالعبادة معناها المصدري هو التعبد. والتعبد له ركنان وشرطان لصحته، أما الركنان، فغاية الخضوع والتذلل لله، وكمال المحبة له. وأما الشرطان، فمعرفة المعبود – وهو الله سبحانه وتعالى –، ومعرفة دينه الشرعي الجزائي، والمقصود بالعبادات، ما يتعبد به لله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولها شرطان، المتابعة فيها و تكون وفق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والصدق والإخلاص لله جل

وعلا فيها.وهذاالنوع من التوحيد هو خاصية دعوة الرسل أجمعين و هو التوحيد الذي أنكره الكفار في كل زمان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ وهذاالنوع من التوحيد يشملال أوامرو النواهي التي شرعها الله لعباده .

فأغلب الناس قد يقر بربوبية الله ولكن لا يقف عند حدود ما أمر وما نهى، ولا يمتثل و يسلم لحكم الله، فلا يكون مومنا، ولذلك قال تعالى ﴿**فلاوربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. .**﴾النساء 65.

و لذلك فتوحيد الربوبية مرتبط لا محال بتوحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ فلا يعقل أن يخلق و يعبد غيره، فالخالق الرازق من له الأسماء الحسنى و الصفات العلى هو الواجب عبادته، و من هنا كان توحيد الألوهية والربوبية حلقة لا يمكن فكها عن توحيد الأسماء والصفات:

* توحيد الأسماء والصفات

هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ويكونب الإيمان بجميع ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من أسماء الله، أوصفاته التي اتصف بها أووصفه ابها رسوله صلى الله عليه وسلم، والتصديق بمعانيها وأحكامها. ويتضمن هذا الإيمان إثبات الكم اللله في جميع هذه الأسماء والصفات، و نفصل الآن في معنى الأسماء و الصفات:

* الأسماء الحسنى

الأسماء في اللغة جمع اسم و هو اللفظ الموضوع لمعنًى تعيينًا أو تمييزًا، وقيل فِي اشتقاق اسْم قَولَانِ: إِنَّه مُشْتَقّ من السُّمُوّ، وَالثَّانِي من السِّمة وَالْأول

الصَّحِيح من قبل أَن جمعه أسماءٌ على ردِّ لَام الْفِعْل وَكَذَلِكَ تصغيره سُمَّيٌّ وَلِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ شَيْءٌ إِذا حذفت فاؤه دخله ألف الْوَصْل إِنَّمَا تدخله تَاء التَّأْنِيث كالزِّنَة والعِدَةِ والصِّفَةِ وَمَا أشبه ذَلِك وَيُقَال سَمَا يَسْمُو سُمُوًّا إِذا علا وَمِنْه السماءُ والسَّمَاوَةُ وَكَأَنَّهُ قيل اسْم أَي مَا علا وظهَرَ فَصَارَ عَلَماً للدلالة على مَا تَحْتَهُ من الْمَعْنى وَنَظِير الاسْمِ السِّمَةُ والعلامةُ وكل مَا يَصح أَن يُذْكَرُ فَلهُ اسْم فِي الْجُمْلَة لِأَن لَفظه شيءٌ يلْحقهُ وَأما فِي التَّفْصِيل كزيد وَعَمْرو وَمِنْهَا مَا لَا اسْم لَهُ فِي التَّفْصِيل وَهُوَ بِالْجُمْلَةِ كل مَا لم يكن لَهُ اسْم عَلَمٌ يخْتَص بِهِ كالهَواء وَالْمَاء وَمَا أشبه ذَلِك والاسْمُ - كلمة تدل على الْمُسَمّى دلَالَة الإشارةِ دون الإفادةِ وَذَلِكَ أَنَّك إِذا قلتَ زيد فكأنك قلت هَذَا وَإِذا قلت الرجل فكأنك قلت ذَاك فَأَما دلالةَ الإفادة فَهُوَ مَا كَانَ الْغَرَض أَن تفِيد السَّامع بِهِ معنى أَو أخرجته ذَلِك الْمخْرج كَقَوْلِك قَامَ وَذهب فَأَما الأول فَإِنَّمَا الْغَرَض فِيهِ أَن تُشِير إِلَيْهِ ليتنبه عَلَيْهِ أَو تُخْرجَه ذَلِك الْمخْرج وَأَنا أكره أَن أُطِيلَ الكتابَ بِذكر مَا قد أُولِعَتْ بِهِ عامَّةٌ الْمُتَكَلِّمين من رسم الِاسْم أَو حِدِّةِ والتكلم على الْمُسَمَّى هُوَ الاسمُ أم غير الِاسْم والفعلُ الْمُصَرَّفُ من الِاسْم قولُكَ أَسْمَيْتُ وسَمَّيْتُ مُتَعَدٍّ بِحرف الْجَرّ وَبِغير حرف جر تَقول سَمَّيْتُهُ زيدا وسميته بزيد قَالَ سِيبَوَيْهِ: هُوَ كَمَا تَقول عَرَّفْتُه بِهَذِهِ الْعَلامَة وأوضحتُه بهَا وَحكى أَبُو زيد اِسْمٌ وأُسْمٌ وسِمٌ وسُمٌ[1].

والاسمما يدل على الذات وما قام بها من الصفات.ومن أسماء الله تعالى، الله- الرحمن- الرحيم- الغفور- العزيز- القدير- السميع- البصير- الباري.

أما لفظ حُسنَى فهو على وزن "فُعلَى" تأنيث أفعل التفضيل، فحسنى تأنيث أحسن، ككبرى تأنيث أكبر،و ليست تأنيث حسن، لأن تأنيث "حسن" "حسنة"، ومعنى حسنى على هذا الوجه المفضلة على الحسنة، أي البالغة في الحسن غايته.و

---

(1) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي كتاب المخصص تحقيق: خليلإبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.ج 5 ص 215.

يصير المعنى العام للآية ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾أي لله أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها ويجب إذن الإيمانبهذا الوصف الذي أخبر الله به عن أسمائه وذلك بالاعتقاد الجازم أن أسماء الله هي أحسن الأسماء وأتمها وأكملها معنى، و قد أشار الرسول صلى الله عليه و سلم إلى عددها حين قال : "إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة"[1]،و معنى أحصاها، أي حفظها ألفاظًا، وفهم معانيها ومدلولاتها، وعمل بمقتضياتها وأحكامها.

أما الصفات فهي جمع صفة والصفة هي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتيةأو معنوية أو فعلية؛ ومن صفات الله عز وجلال ذاتية، اليدان- الوجه- العينان- الأصابع؛ ومن صفاته المعنوية، العلم- القدرة- الحياة- الإرادة؛ و من صفته الفعلية، النزول- الاستواء- الخلقو الرزق.

ويجب الإيمان بها كما أخبر الله به عن نفسه وذلك بالاعتقاد الجازم بأن كل جاء في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات هي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فهو سبحانه المستحق للكمال المطلق من جميع الوجوه. قال الإمام أحمد (ت 241) رحمه الله: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث"[2]

فأهل السنة يؤمنون بأن كل اسم من أسماء الله يدل على معنى الذي نسميه "الصفة"، فيجب الإيمان بثبوت الاسم كما أثبته الله عز وجل. والإيمان بما دل

---

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه. 13/ 377، ح 7392، وأخرجه مسلم في صحيحه(8/63) .

(2) شيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب : الفتوى الحموية الكبرى تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية 1425هـ / 2004م. 1/ 265 .

عليه الاسم من المعنى أي "الصفة."والإيمان بما يتعلق به من الآثار والحكم والمقتضى.

فاسم "السميع "يستدعي الإيمان به وإثباته باعتباره اسمًا من أسماء الله الحسنى. وإثبات "السمع" صفة له، وإثبات كذلك الحكم "أي الفعل" وهو أن الله يسمع السر والنجوى. وأخيرا إثبات المقتضى والأثر، وهو وجوب خشية الله ومراقبته وخوفه والحياءمنه عز وجل.

فتوحيد الأسماء والصفات على هذه الأساس يمثل شطر التوحيد المطلوب من العبد أويزيد؛ والعلم به أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق. لأنه يتعلقبأجل معلوم وأعظمه وأكبره وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيومالسمواتوالأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبة ذلك إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾محمد 19؛ فالعلم بوحدانيته تعالى وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما.الأمر الأول، أن يعرف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله وأحكامه.

والأمر الثاني، أن يعبد بموجبها ومقتضاها.فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها، فكذلك العلم به ومعرفته أيضا،فالعلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أصل كل العلوم، وكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل.

و العلم بأسماء الله وصفاته يفتح للعبد باب معرفة الله لإن محبة الشيء فرع عن الشعور به، وأعرف الخلق بالله أشدهم حبا له، وكل من عرف الله أحبه، ولا سبيل للحصول على هذه المعرفة إلا من باب العلم بأسماء الله وصفاته، فلا تستقر

للعبد قدم في معرفة الله إلا بالتعرف على أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة، فالله عز وجل لم يجعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته، فهذا الباب موصود إلى قيام الساعة، كما أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"[1].لذلك اقتضت رحمة العزيز الحكيم أن يبعث الرسل به معرفين وإليه داعين، وجعل معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته، وأفعاله هي مفتاح دعوتهم وغاية رسالتهم؛ فهذه المعرفة بأسماء الله وصفاته وأفعاله توجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يليق به ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام. وذلكيتم بتدبر كلام الله تعالى وما تعرف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله وما نزه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه. فهذا العلم بالله وأسمائهوصفاته إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله، لأن لكل اسم من أسماء الله تأثير معين في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه.ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، فالأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية على القلب والجوارح، فمثلا، علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا.

---

(1) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن الصياد رقم الحديث 169.ج 4 ص 254.

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها. وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها.

وبهذا يتبين أن معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر الله عز وجل به في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم توجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، إذ كل اسم من أسمائه عز وجل له تعبد مختص به، علما ومعرفة وحالا[1].

وتُشكّل هذه الأقسام أو الأنواع الثلاثة من علم التوحيد، أهم مرتكزات الإيمان بالله تعالى، والعلاقة بين هذه الأقسام تكامليّة، ولايُجزئ الإيمان ببعضها عن الآخر، فلا يصحت وحيد الربوبية من دون توحيد الأُلوهية، كما أنّه لا

---

(1) محمد بن خليفة بن علي التميمي: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى 1419هـ/ 1999م.بتصرف.

يصحت وحيد الأُلوهية من غير توحيد الربوبية، فأي خلل في أي قسم من هذه الأقسام يؤدي إلى خلل في التوحيد كله، فمن آمن بتوحيد الربوبية، وأنّا لله هو واحدٌ ومنزهٌ عن الشريك والولد، لَزمه من هذا الإيمان إفراد الله- تعالى -وحده بالعبادة، فمادام هو الإله فلا يَصح أن يُعبد غيره أبداً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾البقرة 21.

أمّا توحيد الأسماء والصفات فهو شامل لتوحيد الربوبية والأُلوهية، ويقوم على إفراد الله بأسمائه وصفاته التي لا تنبغي لأحدٍ غيه، وكلما زاد تمعرفة العبد بالله كان تعبادته أكمل، ولاتكون العبادة مندون التوحيد، فالتوحيد فطرة الله- تعالى -التي فطر الناس عليها، ولايخالف هذه الفطرة إلا من عرض لفطرته عارض فأفسدها، يقول النبي– صلى الله عليه وسلم:" كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ، فأبواهيُهَ وّدانِه، أويُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه، كمثلِ البَهيمَةِ تُنْتِجُ البَهِيمَةَ، هل ترى فيها جَدْعَاءَ"[1]؛ فالتوحيد أصلٌ، والشرك طارئ ظاهر البطلان بالفطرة السليمة والعقل الصحيح، والتوحيد شرط في النصر والتمكين والأمنو الاهتداء، ويُقسّم الناس إلى مؤمن وكافر، وهو شرط في دخول الجنة والنجاة من عذاب النار .

فإذا تعددت تصنيفات علم التوحيد فإن مخرجاتها لا تكاد تتعدى ما ورد في حديث جبريل : " .... قال فأخبرني عن الإيمان، قال، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره... "[2].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة الحديث 2658 ج 4 ص48.

(2) المصدر نفسه، كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام،والقدر وعلامة الساعة، ج 1ص 36.

في هذا الحديث بيان أركان الإيمان الستة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكُتُبه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِرِ، والإيمان بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِه، ونذكر المراد بهذه الأركان على وجه الاختصار:

المبحث الرابع

أركان الإيمان الستة

*الإيمان بالله تعالى

و نفصل في اسم الله في اللغة، " والأَصْل فِي قَوْلك الله الأَلَهُ حذفت الْهمزَة وَجعلت الْألف وَاللَّام عوضا لَازِما وَصَارَ الِاسْم بذلك كالعَلَم هَذَا مَذْهَب سِيبَوَيْهِ وحُذَّاقُ النَّحْوِيين وَقيل الاله هُوَ الْمُسْتَحق لِلْعِبَادَةِ وَقيل هُوَ الْقَادِر على مَا تَحِقُّ بِهِ العبادةُ وَمن زعم أَن معنى إِلَه معنى معبود فقد أَخطَأ وَشهد بخطئه الْقُرْآن وشريعةُ الْإِسْلَام لِأَن جَمِيع دَلِك مُقِرٌ بِأَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ وَلَا شكّ أَن الْأَصْنَام كَانَت معبودةً فِي الْجَاهِلِيَّة على الْحَقِيقَة إِذا عبدوه وَلَيْسَ بإلهٍ لَهُم فقد تبين أَن الاِلَهَ هُوَ الَّذِي تِحِقُّ لَهُ العبادةُ وَتجب وَقيل فِي اسْم الله أَنه علم لَيْسَ أصلُه الاله، قَالَ سِيبَوَيْهِ سألتُ الْخَلِيل عَن هَذَا الِاسْم فَقَالَ إِلَـهٌ فأُدْخِلَتْ عَلَيْهِ الأَلِفُ وَاللَّام ... فَهَذَا مُنْتَهى نَقله وحكايته، و لم يحك سِيبَوَيْهِ عَن الْخَلِيل فِي هَذَا الِاسْم إِن إلهٌ وَلَا قَالَ إِنَّه سَأَلَهُ عَنهُ لَكِن قَالَ إِن الْألف وَاللَّام بدل من الْهمزَة فِي حد النداء فِي الْبَاب المترجم، و هَذَا بابُ مَا ينْتَصب على الْمَدْح والتعظيم أَو الذَّم والشتم لِأَنَّهُ لَا يكون وَصفا للأوَّل وَلَا عطفا عَلَيْهِ، قَالَ وأوَّلُ الْفَصْل اعْلَم أَنه لَا يجوز لَك أَن تُنَادِي اسْما فِيهِ الْألف وَاللَّام البتةَ إِلَّا أَنهم قَالُوا يَا اللهُ اغْفِر لي وَهُوَ فصل طَوِيل، وتأَلَّهَ الرجلُ إِذا تَنَسَّكَ ..[1]"

والخلاصة أنالإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو الربُّ المعبود، ويتضمَّن ذلك اعتقادَ أنه ربُّ كلِّ شيء ومليكه، وأنه الخالق الرازق، المدبِّر للكون كله، والذي بيده مقادير كلِّ شيء، له الخلق والأمر سبحانه وتعالى، وأنه هو الذي

---

(1) بتصرف عن كتاب المخصص لابن سيده..ج 5 ص 216

يستحقُّ العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطلٌ، وعبادتُه باطلةٌ، وأنه سبحانه مُتَّصِفٌ بصفات الكمال، ونُعُوتِ الجلال، مُنزه عن كلِّ نَقْصٍ وعيبٍ.

*الإيمان بالملائكة

هو الإيمان بوجودهم إيمانًا جازمًا لا يتطرق إليه شك ولا ريب، قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ البقرة 285، فمن يُنكِر وجود الملائكة، فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء: 136.

فأهل السنة والجماعةيؤمنون بهم إجمالاً، وأمَّا تفصيلاً، فيؤمنون بما صح به الدليل، ومَن سماه الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم؛ كجبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالمطر، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وملَك الموت الموكل بقبض الأرواح، ومالك خازن النار، ورضوان خازن الجنة، وملكَي القبر منكر ونكير.

والمسلم يُؤمِن بوجودِ الملائكة، وأنهم عباد مخلوقون، خلقهم الله من نورٍ، وهم ذوات محسوسة، وليسوا أمورًا معنوية، ولا قوى خفية، وهم خلق من خلق الله، يسكنون السماء، والملائكة خِلقتُهم عظيمة، منهم من له جناحانِ، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، وثبت أن جبريل عليه السلام له ستُّمائة جناح[1].

---

(1) رأى رسولُ اللَّهِ - صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ - جبريلَ في صورتِه على السِّدرةِ لهُ ستُّمائةِ جَناحٍ، أخرجه البخاري (3232)، ومسلم (174) مختصراً، وأحمد (3862)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11542)، وابن أبي شيبة في ((مسنده)) (358) واللفظ له.

وهم جندٌ من جنود الله، قادرون على التمثل بأمثال الأشياء، والتشكل بأشكال الأجسام، حسبما تقتضيها الحالات التي يأذن بها الله سبحانه وتعالى، وهم مقرَّبون من الله ومُكرَمون، لا يُوصَفون بالذكورة والأنوثة، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون.

والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وإنما طعامُهم التسبيح والتهليل، ولا يملون، ولا يفترون، ولا يتعبون، ويتَّصِفون بالحسن والجمال، والحياء والنظام.

والملائكة يختلفون عن البشر، بأنهم جُبِلوا على الطاعة وعدم العصيان، خلَقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره، قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ *لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ الأنبياء: 26 – 28، والملائكة يُسبِّحون الله ليلاً ونهارًا، ويطوفون بالبيت المعمور في السماء، وهم يخشون الله تعالى ويخافونه.

والملائكة أصناف كثيرة:

- منهم الموكَّلون بحمل العرش، ومنهم الموكَّلون بالوحي، ومنهم الموكَّل بالجبال، ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار.
- ومنهم الموكَّلون بحفظ أعمال العباد، ومنهم الموكَّلون بقبض أرواح المؤمنين، ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين، ومنهم الموكلون بسؤال العبد في القبر.
- ومنهم مَن يستغفرُ للمؤمنين، ويُصلُّون عليهم، ويُحبُّونهم، ومنهم مَن يشهد مجالس العلم وحلقات الذِّكر، فيحفُّونهم بأجنحتِهم، ومنهم مَن هو قرين للإنسان لا يُفارِقه، ومنهم من يدعو العباد إلى فعل الخير، ومنهم مَن يشهد جنائز الصالحين، ويقاتلون مع المؤمنين ويثبِّتونهم في جهادهم مع أعداء الله.
- ومنهم الموكلون بحماية الصالحين، وتفريج كربهم، ومنهم الموكَّلون بالعذاب.

والملائكة لا يدخلون بيتًا فيه تمثال، ولا صورة، ولا كلب، ولا جرس، ويتأذَّون مما يتأذى منه بنو آدم.

والملائكة كثيرون لا يعلم عددَهم إلا اللهُ عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ المدثر 31، وقد حجَبهم الله تعالى عنا، فلا نراهم في صورهم التي خُلِقوا عليها، ولكن كشَفهم لبعض عباده، كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريلَ على صورته التي خلقه الله عليها مرتين، قال الله - تبارك وتعالى- : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى *عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ النجم: 13، 14، وقال: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ *وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ التكوير: 22، 23.

ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال، والإرادات والأعمال، ما لا يحصيه إلا ذو الجلال، ووصفُهم في القرآن بالتسبيح والعبادة لله، كما ذكر تعالى في خطابه للملائكة، وأمره لهم بالسجود لآدم [1].

وكل هذه الأوصاف جاءت مفصلة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن الكريم، كما أشارت إليها جميع الكتب السماوية.

*الإيمان بالكتب

و هو التصديق الجازم و الاعتقاد بأن كلَّها منزلة من عند الله، بالحق والهدى على رسله عليهم السلام و لا يصح إسلام عبدٍ ولا يصح توحيده ؛ حتى يؤمن أن هذه الكتب نزلت من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، على الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون

---

(1) انظر كتاب: اتباع مناهج أهل السنن والآثار، شرح سواطع الأنوار لمعرفة عقيدة سيد الأبرار لمؤلفه علي محمد سليمان لعبيدي.

واسطة، ومنها ما يسمعه رسول من الملائكة ويؤمر بتبليغه إلى المرسل من البشر؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ الشورى: 51. وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾]النساء164.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾]الأعراف: 143.

وجميع الكتب السماوية يصدِّق بعضُها بعضًا لا يكذبه؛ كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المائدة 48.

ويؤمن كذلك بأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حقٌّ؛ كما نُسِخ بعضُ شرائع التوراة بالإنجيل؛ قال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ آل عمران 50.

وكما نُسِخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل بالقرآن الكريم؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾]الأعراف 157.

و يجب الإيمان بكتب الله عز وجل يكون إجمالًا فيما أجمل، وتفصيلًا فيما فصل؛ فما أخبر الله به منها يجب الإيمان به على و جه التعيين، وهي الكتب التي ثبتت تسميتها في القرآن الكريم:

- التوراة المنزلة على موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ المائدة: 44.

- الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة: 46.

-الزبور المنزل على داود عليه السلام. قال المولى عز وجل: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ النساء163.

- صحف إبراهيم عليه السلام. قال تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ الأعلى 18-19.

-القرآن الكريم الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾طه 1-2.

كما يجب الإيمانبأن هناك كتباً أنزلها الله عز وجل على أنبيائه؛ لا يعلم أسماءها وعددها إلا هو سبحانه وتعالى، كما أخبر بذلك في كتابه الكريم فقال عز وجل:﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ البقرة: 213 .وقال تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد25 ؛ والمراد بالكتاب هنا جنس الكتاب؛ وهي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إجماع المسلمين على وجوب الإيمان بالكتب المنزلة... قال ابن أبي العز رحمه الله:" وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين؛ فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها

وعددها إلا الله تعالى "[1]؛وأن ما تضمنته من وحي الله لأنبيائه حق لا مرية فيه ؛ وقد أخبر الله تعالى عن التنزيل على رسله مجملًا في قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ النساء136، ولا يجب الإيمان بما في تلك الكتب السابقةوالمتقدمة على القرآن من التفصيلات والأخبار؛ويكفي الإيمان بأصولها التي أنزلها الله تعالى، بخلاف ما يوجد منها الآن في أيدي الناس؛ لما وقع فيها من التحريف والتبديل،فقد حرّف اليهود التوراة، وبدّلوها وغيرّوها، وتلاعبوا بأحكامها، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾النساء 46.

كما حرفّ النصارى الإنجيل، وبدّلوا أحكامه، قال تعالى عن النصارى: ﴿إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾آلعمران 78.

فليست التوراة الموجودة الآن هي التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام، ولا الإنجيل الموجود الآن هو الإنجيل الذي أُنزل على عيسى عليه السلام؛ فما في أيدي أهل الكتاب مما يدعونه أنه من التوراة والإنجيل يشمل عقائد فاسدة، وأخبار باطلة، وحكايات كاذبة، فلا يجب التصديق من هذه الكتب إلا ما أثبته الله ورسوله من ذلك، و لا يجوز نفي إلا ما نفاه الله ورسوله، وما سكت عنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يصدق منه ما صدّقه القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة، ويكذب منه ما كذّبه القرآن والسنة.

---

(1) صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي، كتاب :شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى - 1418 هـ.ج1 ص 291 .

ولا يجوز للمسلم أن يقرأ من هذه الكتب المحرفة؛ فعن جابر " أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال، يا رسول الله، إني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب، قال، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟! فوالذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني[1]."

ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: " كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شيء وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَحْدَثُ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً، أَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلاً يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ ".[2] ثم إن الاشتغال بالتوراة والإنجيل اشتغال بما لا ينفع المسلم في آخرته.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: "وإذا كان لقا ء ربه بكلّ حرف عشر حسنات فأكثر، على ما ذكرناه في مقدّمة الكتاب، فالرّغبة عنه إلى غيره : ضلال وخسران،

---

(1) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبدالله: تحقيقشعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 ج 23 ص349.

(2) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ، كتاب التوحيد باب "كل يوم هو في شأن "الرحمن 29 ج 9 ص 153 الحديث 7522.

وغبن ونقصان"[1]..و قد فصل العلماء في جواز قراءة التوراة و الإنجيل ، فعامة الناس و عوامهم؛ ومن ليس له علم، وكذا ضعاف الإيمان فلا ينبغي لهم مطالعتهما حتى لا يفتنوا بما أدخل فيهما من الباطل، وحتى لا يشتغلوا بما لا ينفع؛ أما الراسخون في العلم الذين يستعملون هذه الكتب في مجادلة اليهود والنصارى، وإقامة الحجة عليهمفلا خوف عليهم من الفتنة، لأن عند الراسخ في العلم من المقدرة ما يؤهله إلى معرفة الباطل الذي أدخل في هذه الكتب، والحذر منه، ورده والتحذير منه أيضا، مع ما في مجادلته لأهل الكتاب ورد باطلهم من المصلحة الشرعية المطلوب تحصيلها. ولهذا تتابع أهل العلم على استعمال هذه الكتب في محاججة اليهود والنصارى، ومن أشهر من رد على اليهود والنصارى من خلال كتبهم ابن تيمية في كتابه " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "[2]، و ابن القيم في كتابه " هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى "، وابن حزم في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل "، والقرطبي في كتابه " الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام "، وغيرهم كثير.

و أما جاء في هاته الكتب على سبيل الحكاية مما ما لم يرد تصديقه ولا تكذيبه؛ فالأرجح جوازه لما أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال:"كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ، فَقَالَ

---

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي" الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعةالثانية، 1384هـ – 1964م.سورة العنكبوت الآيات من 50 إلى 52. ج16 ص 378.

(2) حققه علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان ونشرته دار العاصمة الرياض، سنة 1419 -1999 في 7مجلدات وهي الطبعة 2.

رَسُولُ اللَّه: " لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ" [1] المائدة 59.

فالقرآن الكريم أفضل الكتب وأعظمها، وأعلاها منزلة وأشرفها، و هو المهيمن عليها المصدق لها، وأن الله قد تكفل بحفظه من التغيير والتبديل والتحريف، كما قال عز وجل :﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 9 . وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت 41-42.

ولا يستقيم إيمان بالكتب المنزلة حتى يصدق بمن أنزل عليهم من الرسل:

الإيمان بالأنبياء والرسل

والنبي في اللغة مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عمَّ. يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ النبأ1.2. وإنّماسمّي النبيُّ نبيّاً لأنه مُخْبِرٌ مُخْبَر، فهو مُخْبَر، أي أنَّالله أخبره، وأوحى إليه ﴿قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير﴾ التحريم3، وهو مُخْبِرٌعن الله تعالى أمره ووحيَه ﴿نبِّئْ عبادي أنّي أنا الغفور الرَّحيم﴾ الحجر 49﴿ونبِّئْهُمْ عن ضيف إبراهيم﴾ الحجر51.

وقيل النبوة مشتقة من النَّبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبيّ على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، أنَّ النبيَّ ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا،الحديث 4215.

واصطلاحًا، النبي مَنْ أُوحِي إليه؛ ليعملَ بِشَرْعِ مَنْ قبله، ويحكُم به؛ مثلا لأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ المائدة: 44، وسُمِّي النبي نبيًّا؛ لأنه مُنْبِئ، ومُخْبِر عن الله؛ أي: مُبلِّغ عنه أمرَه وَوَحْيَهُ.

أما الرسول فهو من الإرسال و معناه التوجيه والبعث، قال تعالى حاكياً قول ملكة سبأ:﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ النمل 35، وقد يُرادبالرسول ذلك الشخص الذي يتابعخبر الذي بعثه، أخذاً من قول العرب:" جاءت الإبلُ رَسَلاً " أي متتابعة.

وعلى ذلك فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنَّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى:﴿ثُمَّ أرسلنا رسلنا تترا ﴾المؤمنون 44، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

و هناك فرق إن لم نقل فروق بين الرسول والنبيّ، فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ عدة الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، وعدَّة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً، كماورد في كتاب الله عطف النبيِّ على الرسول ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاَّ إذا تمَنَّى ألقى الشَّيطان في أُمنيَّته ﴾الحج 52، ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدُل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حقِّ موسى عليه السلام: ﴿واذكر في الكتاب موسى إنَّه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيًّا﴾ مريم 51.

والشائع عند العلماء أنَّ النبي أعم من الرسول، فالرسول هو من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، والنبيُّ من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً؛ و لكن قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾الحج52، يقتضي من النبيّ البلاغ لأن الله أرسله كما أرسل الرسول ... و

ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته.و يؤيد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابن عباس: "عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد"[1] فدلّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

والتعريف المختار أنَّ "الرسولَ مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، والنبيَّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وقد "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ...".كما ثبت في الحديث[2].

وأنبياء بني إسرائيل كلّهم مبعوثون بشريعة موسى: التوراة وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم ﴿**ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لَّهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألاَّ تقاتلوا**﴾البقرة 246.

فالنبي كما يظهر من الآية يُوحَى إليه شيء يوجب على قومه أمراً، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، ج7 ص 134، الحديث 5444.

(2) واه مسلم في كتاب الإمارة باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، ج 3 ص 471 الحديث 1842.

(3) عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي: كتاب الرسل والرسالات.مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة 1410 هـ - 1989،ص 13-14-15.

والإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿قل آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنّبيّون من ربّهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾ آل عمران 84.

ومن لم يؤمن بالرسل ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً:﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾ النساء 60. وجميع الرسل والأنبياء دعوا قومهم إلى عبادة الله وحده والإيمان باليوم الآخر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 62.

وجميع الرسل أنذروا وبشروا أقوامهم بما ينتظرهم في اليوم الآخر.

* الإيمان باليوم الآخر

و اليوم في اللغة أَوَّلُهُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَالْعَرَبُ قَدْ تُطْلِقُ الْيَوْمَ وَتُرِيدُ الْوَقْتَ وَالْحِينَ نَهَارًا كَانَ أَوْ لَيْلًا[1]، أما آخر: الأخير، وَالْأَخِيرُ مِثَالُ كَرِيمٍ وَالْآخِرُ عَلَى فَاعِلٍ خِلَافُ الْأَوَّلِ وَلِهَذَا يَنْصَرِفُ وَيُطَابِقُ فِي الْإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ والآخر بالفتح: الواحد[2] و آخر الشَّيْء خلاف أَوله و الْفرق بَين الآخر وَالْآخر أَن الآخر يعنى ثَان وكل شَيْء يجوز أَن يكون لَهُ ثالث وَمَا فَوق ذَلِك يُقَال فِيهِ آخر وَيُقَال للمؤنث آخر وَمَا

---

(1) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المكتبة العلميةج2ص682.

(2) المصدر نفسه ج1ص 7.

لم يكن لَهُ ثَالِث فَمَا فَوق ذَلِك قيل الأول وَالْآخر وَمن هَذَا ربيع الأول وربيع الآخر..[1]

أما معنى اليوم الآخر اصطلاحًا،فهو اليوم النهائي الأبدي الذي لا يوم بعده، وهو يوم القيامة الكبرى[2].وهو اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين للجزاء والحساب ...

فالإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان العبد بدونها، وهو ما يكون بعد الموت مما أخبر به الله تعالى في كتابه، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم من أهوال الموت، والقبر والموقف، والجنة والنار.

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر؛ لأن الإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان إلى الامتثال لأوامر الله، وبمعرفة ما يكون في اليوم الآخر من الجنة والنار والحساب والجزاء – يجعل العبد دائمًا مستعدًّا لهذا اليوم بالأعمال الصالحة، طمعًا في الجنة وخوفًا من النار.

وهو ركن من أركان الإيمان الأساسية؛ لإن قضية البعث في الدار الآخرة هي التي يقوم عليها بناء العقيدة بعد قضية وحدانية الله تعالى؛ ذلك بأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بخالق الكونوالوجود، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود.

---

(1) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري:كتاب الفروق اللغوية: حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.ص293-294.

(2) القول محمد بن صالح بن محمد العثيمين: كتاب المفيد على كتاب التوحيد دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعةالثانيةمحرم 1424ه.ج2ص 412.

و مفهوم اليوم الآخرمفهوم شامل يمتد في الزمان و المكان يبدأ في الدنيا و ينتهي في الآخرة، و الإيمان باليوم الآخر يلزم أولاالتصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك و الاعتقاد بكل ما أخبر به الله جل وعلا في كتابه، واخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت، من فتنة القبر ونعيمه وعذابه، وما يكون بين يدي الساعة، وأشراطها و علاماتها؛و ما يتبعها من بعث وحشر و صعقو حساب و ميزان و حوض و صراط، و شفاعة، و يشمل الإيمان باليوم الآخر الإيمان بوجود الجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله والنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجل، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعا. وسمي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا فلا يوم بعده، وقد دل عليه العقل والفطرة كما صرحت به جميع الكتب السماوية ونادى به الأنبياء والمرسلون.

و يبقى الركن السادس من أركان الإيمان و هو الإيمان بالقدر خيره و شره، من المواضيع التي طرحت إشكالات عديدة لدى الفرق الكلامية في العصور المتقدمة، و لازالت تثير كثيرا من الجدل إلى يومنا هذا، فكيف تناول القرآن الكريم و السنة المطهرة هذا الركن العقدي الشديد ؟

* الإيمان بالقدر خيره وشره

والقَدَر في اللغة الحُكْم والتقدير، من قدر القدر وهو مبلغ الشيء، وكذلك القدْر.وقدرت الشيء أَقْدُرهُ وأقدِرهُ.

والقدر، القضاء الذي يقدره الله عز وجل[1]، ويُقَالُ قَدَّرَ الإِله كَذَا تَقْدِيرًا، وإِذا وَافَقَ الشيءُ الشيءَ،جَاءهُ قَدَره.

---

(1) مجمل اللغة لابن فارس المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م.

قال ابْنُ سِيدهْ: " القَدْرُ والقَدَرُ الْقَضَاءُ والحُكْم، وَهُوَ مَا يُقَدِّره اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ الْقَضَاءِ وَيَحْكُمُ بِهِ مِنَ الأُمور، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أَي الحُكْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾؛ والقَدَرُكالقَدْرِ، وجَمْعُهما جَمِيعًا أَقْدار.وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: القَدَرُ الِاسْمُ، والقَدْرُ الْمَصْدَر. ُوالقَدَرِيَّةُ: قَوْمٌ يَجْحَدُون القَدَرَ ...[1]

أما القضاءفمن قضى يقضي قضاء،وأصله قَضايٌ لأَنه مَنْ قَضَيْت، إلا أَنَّ الْيَاءَ لَمَّا جَاءَتْ بَعْدَ الأَلف هُمِزَت؛ والقضاءالْحُكْمُ والفصل، وقَضاء الشَّيْءِإِحْكامُه وإِمْضاؤه وَالْفَرَاغُ مِنْهُ فَيَكُونُ بِمَعْنَى الخَلْق . وكلُّ مَا أُحْكِم عَمَلُهُ أَو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ فَقَدْ قُضِيَ .

وَالْقَضَاءُ: الحَتْم والأَمْرُ. وقَضَى أي حَكَمَ، وَمِنْهُ القَضَاء والقَدر .وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾؛ أَي أَمَر رَبُّكَ وحَتم، وَهُوَ أَمر قَاطِعٌ حَتْم .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾؛ وقَضى عَلَيْهِ عَهْداً، أَوصاه وأَنفذه، وَمَعْنَاهُ الْوَصِيَّةُ، وَبِهِ يُفَسَّرُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ﴾؛ أَي عَهِدْنا وَهُوَ بِمَعْنَى الأَداء والإِنْهاء؛وقَضَى نَحْبَه قَضاءً مَاتَ، وضَرَبَه فَقَضَى عَلَيْهِ أَي قَتَلَهُ كأَنه فَرَغَ مِنْهُ. وسَمٌّ قَاضٍ أَي قَاتِلٌوقَضَى فِي اللُّغَةِ عَلَى ضُروب كلُّها تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى انْقِطاعِ الشَّيْءِ وتَمامِه؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ قَضى أَجَلًا..[2]

---

(1) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي - ت: 458هـ- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيقعبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م، ج 6 ص 300-301.

(2) انظر بن سيده المرسي - ت: 458هـ- المحكم والمحيط الأعظم،ج 6 ص 482....

وَقَدْ جَاءَتْ هَذهِ الْوُجُوهُ مـن القَضـاء الْمَقْـرُونُ بالقَـدَر كُلُّهَـا فِـي القـرآن والْحَدِيثِ، وَالْمُرَادُ بالقَدَر التَّقْدِيرُ، وبالقَضاء الخَلق كَقَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ﴾ أي خَلَقَهُنَّ، فالقَضاء والقَدَرُ أمران مُتَلازمان لَا يَنْفك أحدهما عَنِ الْآخَرِ، لأَن أَحدهما بِمَنْزِلَةِ الأَساس وَهُوَ القَدر، وَالْآخَرُ بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ وَهُوَ القَضاء، فَمَـنْ رَامَ الفَصْل بَيْنَهُمَا فَقَدْ رَامَ هَدْمَ الْبِنَاءِ ونَقْضه .

ومراتب القضاء والقدر عنـد أهـل السـنة والجماعـة أربـع مراتـب و هـي العلم،الكتابةوالمشيئة و الخلق [1]:

المرتبة الأولى هي مرتبة العلم، و وجوب الإيمان بأن علم الله لا منتهى له، و يعني إحاطة الله -سبحانه وتعـالى- بكـل شـيءٍ في السـماوات وفي الأرض، فهـو سبحانه يعلم ما كان ويعلم ما سيكون ومـا لم يكـن كيـف كـان يمكـن أن يكـون، وعلِم أهـل الجنـة قبـل أن يخلـق الجنـة، وعلِـم أهـل النـار قبـل أن يخلـق النـار، قالتعالى:﴿هُوَاللَّـهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ﴾ الحشـر 22. 23،وقد روى أبيّ بن كعب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إنّ الغُلَامَ الذي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، ولو عَاشَ لأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا "،[2]كذلك علم الله -سبحانه وتعالى- بأرزاق العباد وآجالهم ومن هو شقي ومن هو سعيد، وعلم بأحوال العباد وسرّهم وعلانيّتهم وكبار الأمور وصغائرها ودقيقها وجليلها، قـال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾الجـن 28 .

---

(1) محمد بن صالح بن محمـد العثـيمين (المتـوفى: 1421هــ) رسـالة في القضـاء والقـدر، دار الوطن الطبعة: 1423هـ ص 21.22.23.

(2) صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكـم أطفـال الكفـار وأطفال المسلمين.ج 4 ص 50، الحديث 2661.

والإيمان بعلم الله الشامل لا يكتمل إلا بالإيمان بكتابة المقادير، و هي المرتبة الثانية من القضاء و القدر.

مرتبة الكتابة، وتوجب على كل مسلم الإيمان بأن الله - عز وجل- قد كتب المقادير كلها، في اللوح هو المحفوظ، المذكور في قوله تعالى: ﴿في لوح محفوظ﴾ البروج 22. وهو أم الكتاب: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ الزخرف 4.وفيهذاالكتاب،كتبكلشيءيكونفيهذا العالم.وقبل أن يكتب في الكتاب كل شيء كائن، فصورته في علم الله تعالى أزلية كائنة، ولم يفرّط منذلك في شيء، قال تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه كتابا﴾ النبأ 29، وقال عليه الصلاة والسلام: "ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعدة من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له" متفق عليه[1]، ويدخل في كتابة المقادير خمسة أمور:

-التقدير الأزلي،وهو تقدير الله -عز وجل- الأمور قبل خلق السماوات والأرض؛ و كتابة الميثاق، قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين* أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ الأعراف 172.

- تقدير الأعمار والأرزاق في الرحم، وتقدير النطفة قبل الخلق هل هو ذكر أم أنثى، وهل هو شقي أم سعيد، لا يزيد عن ذلك ولا ينقصكما جاء في الحديث: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ،

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب"فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى "الليل:10،رقم (4949)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: .(2647)

ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ...[1]

- التقدير السنوي في ليلة القدر، حيث تقدّر فيها الأمور إلى السنة التي تليها، قال النووي: " قَالَ الْعُلَمَاءُ وَسُمِّيَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ لِمَا يُكْتَبُ فِيهَا لِلْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ الَّتِي تَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ كَقَوْلِهِ تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وَقَوْلِهِ تَعَالَى تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ ربهم من كل أمر وَمَعْنَاهُ يُظْهِرُ لِلْمَلَائِكَةِ مَا سَيَكُونُ فِيهَا وَيَأْمُرُهُمْ بِفِعْلِ مَا هُوَ مِنْ وَظِيفَتِهِمْ وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا سَبَقَ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ وَتَقْدِيرُهُ لَهُ...[2]

- التقدير اليومي، وهو جعل الله الأمور في وقتها الذي قدّر لها في وقتها، كإفراج الكرب، وغفران الذنب، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الرحمن 29.و ما قدره الله لا يقع إلا بعلمه و مشيئته، و هي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقضاء و القدر..

والمشيئة،و لله تعالى المشيئةُ الكاملةُ الشاملةُ لكلِّ شيء،فعلى المسلم يجب عليه الإيمان بمشيئة الله النافذة التي لا رادّ لها، فما شاء الله له أن يكون كان، أما عدم حصول الشيء فهو لأن الله لم يشأ لهذا الشيء أن يكون، وليس لعجز منه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ فاطر 44.

---

(1) كتب أحاديث الأنبياء ن باب الأرواح جنود مجندة ج 4 ص133 الحديث 3332.

(2) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392 ج 8 ص 57.

و المُتأمِّل لآيات المَشيئة في كِتاب الله عزَّ وجل يَلفاها مُنقَسمة إلى ثلاثة أقسام:

*مشيئة واضِح نسبتُها لله تعالى؛ كقوله تعالى: (يخلُق ما يشاء)، و (يهب لمن يشاء)، و (يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) وما شاكَل ذلك من الآيات.

*مشيئة واضِح نسبتُها إلى العَبد كقوله تعالى: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليَكفُر)، وقوله: (لمن شاء منكم أن يستَقيم).

*مشيئة يُمكِن نسبتُها لله تعالى، ونسبتُها إلى العبد بنَفس الدَّرجَة؛ كقَوله تعالى: (يغفر لمن يشاء)، و (يضل من يشاء)، و (يهدي من يشاء)؛ فيُمكِن أن تفهَم على وَجهين: يَغفِر الباري لِمَن يشاء مِن عباده؛ أو يَغفِر لمن يشاءُ المَغفِرَة مِن عبادِه وسَعى لَها سَعيَها؛ وفي كِلتا الحالَتين لابُدَّ مِن فَهم دَقيق لِمَشيئة الباري، ومَشيئة العَبدحتَّى تُحمَل الآيات القُرآنيَّة على مَحامِل صَحيحَة لا مَدخَل فيها لأُمنية ولا شُبهَة[1].

و قد طرحت مسألة المشيئة في مقابل الإرادة، والمحققون من أهل السنة يقولون:الإرادة في كتاب الله نوعان:إرادة قدرية خلقية، وإرادة دينية شرعية.فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، و الإرادة الكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.

فالإرادة الشرعية كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة185، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾]المائدة 6، وقوله:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(1) موقع أهل القرآن نسيم يسالم : مفهوم المشيئة في القرآن الكريم، الأربعاء 29 فبراير 2012.

تَطْهِيرًا الأحزاب﴾ 33. فهذا النوع من الإرادة لا تستلزم وقوع المراد، إلا إذا تعلق به النوع الثاني من الإرادة، وهذه الإرادة تدل دلالة واضحة على أنه لا يحب الذنوب والمعاصي والضلال والكفر، ولا يأمر بها ولا يرضاها، وإنكان شاءَها خلقاً وإيجاداً.

وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات حدثت أو لم تحدث.والإرادة الكونية القدرية هي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات، التي يقال فيها، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَه لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾الأنعام125 .وقوله: ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ هود34.وهذه الإرادة إرادة شاملة لا يخرج عنها أحد من الكائنات، فكل الحوادث الكونية داخلة في مراد الله ومشيئته هذه، وهذه يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه، ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم اللاعنون. وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث منه[1]. وهذا يوصل إلى مسألة خلق الأفعال و خلق كل شيء ابتداء و انتهاء و هي المرتبة الرابعة من القضاء و القدر عند أهل السنة و الجماعة ..

و مرتبةالخلق، و الإيمان بأن الله هو الخالق يدخل كما مر بنا في توحيد الربوبية، لكن هنا يتعلق الإيمان بأن الله – سبحانه وتعالى- خلق كل شيء، حيث

---

(1) موقع الدرر السنية، الموسوعة العقدية، الكتاب السابع: الإيمان بالقضاء و القدر، الباب الثامن: قواعد في باب القضاء و القدر، و حدود نظر العقل في القدر. الفصل الأول: قواعد في باب القضاء والقدر، المبحث الخامس:الفرق بين المشيئة والإرادة (الإرادة الكونية والإرادة الشرعية).

خلقه من العدم، ولم يشاركه في ذلك أحد، فهو خالق العباد وأفعالهم، وخالق السماوات والأرض، ولا صغيرة ولا كبيرة ولا متحرك ولا ساكن إلا هو خالقه ومقدّره -سبحانه وتعالى- علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الزمر 62.

و هذه المراتب الأربعة من القضاء و القدر ليست مدارج للإيمان، بل على المسلم أن يؤمن بها كلها حتى يستقيم توحيده، و ترتيبها للتعلم و الفهم..

و عدم الخوض بالعقل في مسائل القدر هو مقياس حقيقي لقوة ثبوت الإيمان ورسوخه، فمتى ثبت هذا الأساس ثبتت باقي أمور العقيدة، ولا شك أن موضوع القدر تم التساؤل والخوض فيه ما ليس في غيره، وتطاوَلت عليه العقول القاصرة والآراء الناقصة؛ من تأويلٍ خاطئٍ للآيات، ووضع بعض النصوص في غير محلّها في سبيل توفيقٍ ليس في محلّه، والأمر الصواب في هذا الأمر هو الإيمان والتصديق بأن الله -تعالى- كما بيّن من الغيبيّات في كتابه وسنة نبيّه ما لم نكن لنعلمه لولاه سبحانه، فهو أيضاً أخفى علينا أموراً استأثر عليها في علم الغيب عنده، فلا سبيل لمعرفة هذه الأمور إلا من خلال عالم الغيب والشهادة، ولا يسع المسلم إلا الإيمان بها والتسليم؛ لينتج عن ذلك قلباً ثابتاً مطمئناً بعيداً عن الاضطراب والشك، وبهذا تبرز أهمية هذا الركن في ثبات المؤمن في وجه أعداء الدين والمبلبلين بغير علم، فهو ثابتٌ لا يتأثّر بأي موجة عدوانية صدرت من كافرين أو منافقين.

والناس في القدر على أنواع؛ فمنهم شرهم الذي يجعل القدر حجة لمعاصيه وذنوبه، ومدعاة لسخطه عند وقوع المصائب، وفي المقابل نجد خير الخلق الصابر على المصائب، والمستغفر من الذنوب، والمؤمن يعلم أن كل ما يصيبه هو من عند الله فيرضى، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد 22. وللبُعد من التقوُّل على الله بحجَّة

القضاء والقدر كَرِهَتِ الشريعة الإسلاميَّة البحث في القدر؛ لأنها من الأمور التي لا يُدْرِكُ العقلُ حقيقتَها. فقد روى الإمام الترمذي أنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - غَضِب غضبًا شديدًا عندما خَرَج على أصحابه يومًا وهم يتنازَعُون في القَدَر، حتى احمرَّ وجهُه، حتى كأنما فُقِئ في وجْنَتَيه الرُّمَّان، فقال: "أبهذا أُمِرتُم، أم بهذا أُرسِلتُ إليكم؟ إنَّما هَلَك مَن كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمتُ عليكم ألاَّ تنازعوا فيه"[1].

واستجابَ الصحابة - رضوان الله عليهم - لعزيمة نبيِّهم وتوجيهه، فلم يُعرَف عن أحدٍ منهم أنَّه نازَع في القَدَر في حياة الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - أو بعد وفاته.

ولَمَّا سُئِل الإمام علي - رضِي الله عنه – عن القدر، فقال: بحر عميق فلا تَلِجْه، ثم سأله مرَّة أخرى فقال: طريق مُظلم، فلا تَسْلُكه، ثم سأله مرَّة أخرى فقال: سِرُّ الله، فلا تكلفه.

بل شدَّد الإمام الطحاوي في هذه المسألة أيَّما تشديدٍ، فقال: العلمُ عِلْمان؛ عِلْم في الْخَلق موجود، وعِلْم في الْخَلق مفقود، فإنكارُ العلم الموجود كُفْرٌ، وادِّعاء العلم المفقود كُفْرٌ، ولا يَثبتُ الإيمانُ إلا بقَبول العلمِ الموجود، وتَرْكِ طلب العلم المفقود.

ومن الذين غَالَوا في القَدَر المتواكِلُون الذين يقولون: إنَّ أعمالنا كلَّها مقدرة، ولا حاجة لنا بالقَدَر.

---

(1) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى: كتاب سنن الترمذي أبواب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975 م . ج 4 ص 443.

وأمَّا المؤمن فيعلم أنَّه مأمورٌ بالأخْذ بالأسباب مع التوكُّل على الله - تعالى - والآيات في الأخْذ بالأسباب كثيرة، كذلك الأحاديث النبويَّة، وحتى أفعال الصحابة؛ فهذا أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح - رضِي الله عنه - اعْتَرَض على رجوعمر رضي الله عنه بالناس عن دخول الشام عندما انتشر بها الطاعون، وقال لعمر بن الخطَّاب: "يا أمير المؤمنين، أفِرارًا من قدَر الله؟"، فقال عمر: "لو غيرُك قالَها يا أبا عبيدة، نعم، نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله، أرأيتَ إنْ كان لك إبلٌ هبطتْ واديًا له عُدْوتان؛ إحداهما خَصيبة، والأخرى جَدْبة، أليس إنْ رعيت الخصبة بقَدَر الله، وإنْ رعيت الْجَدبة رعيْتها بقدَر الله؟"[1]

ولَمَّا سُئِل نبيُّنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - عن الرُّقَى والأدوية: هل تَرُدُّ من قَدَر الله شيئًا؟ فأخبرهم أنها من قَدَر الله، فتَرْك الأخْذِ بالأسباب قَدْحٌ في الشريعة.

فالنبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - ما خرَجَ مهاجرًا خوفًا من القتْل؛ لأنَّ الله قال له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة 67. فأعْلَمَه بعصْمَته من كُلِّ مكروه وسُوءٍ، لكنَّ هِجرتَه إثباتٌ لأمَّته وتعليمٌ لها بالأخْذِ بالأسباب، وأنها جزءٌ من الدِّين.

فكما أنَّ الإيمان بالقَدَر مأمور به، فالأخذ بالأسباب مأمورٌ به كذلك، بل هو من قَدَر الله - عز وجل - وهذا ما كان نبيُّنا وحبيبُنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - يعلِّمه أصحابَه؛ لئلاَّ يتَّكِلوا؛ حيث روى مسلم في صحيحه عن علي - رضي الله عنه - قال: "كُنَّا في جنازةٍ في بقيع الغَرقَد، فأتانا رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقَعَد وقعدْنا حوله، ومعه مِخْصَرةٌ - عصًا صغيرة - فنكَّس - خفَضَ رأْسَه - فجعل ينكتُ بمِخْصَرته، ثم قال: " ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منفوسة، إلا وقد

---

(1) صحيح البخار كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون ج 7 ص 130. حديث رقم: 5729.

كتَبَ الله مكانها من الجنَّة أو النار، وإلا قد كُتِبتْ شقيَّة أو سعيدة"، قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله، أفلا نمكثُ على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: "مَن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهلِ السعادة، ومَن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة"، فقال: " اعملوا؛ فكلٌّ مُيَسَّر؛ أمَّا أهل السعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السعادة، وأمَّا أهل الشقاوة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة"، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى *وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى *وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ الليل 5 - 10.

وفي آخر حديث جبريل لفظ خيره و شره،و لابدَّ هنا من البيان أن تقسيم القدر إلى خير وشر، إنما هو بإضافته إلى ما تعارف عليه الناس، لا بالنسبة لله عز وجل، قدره سبحانه كله خير وحكمة وعدل ورحمة، و ما قضى وقدر من المصائب والبلايا وكل ما قد يكرهه الإنسان فلحِكم كثيرة منها:

* ابتلاء العبدواختبارهوتمحيص الإيمان في قلبه وزيادة درجاته وثوابه إذا صبر، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء 35.
* تنبيه المؤمنلكي يثوب من ذنبه ويرجع عن خطئه و يعود إلى رشده، قال تعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾الروم 4 ؛ وما يصيب المؤمن من سرور فهو نعمة ظاهرة، وإن يصيبه سوء فهو نعمة باطنة، لأنهاتكفر الخطايا، ويثاب عليها بالصبر. وما خفي من حكمة ورحمة لا يعلمها العبد، قال تعالى:﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لكم﴾البقرة: 216.

وأي كانت النعمة فهي تحتاج مع الشكر إلى صبر وفي بيان قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾النساء 79. وقد فرّق الله سبحانه وتعالى هنا بين الحسنة واعتبرها من النعم، وبين السيئة واحتسبها من المصائب، فجعل هذه من الله وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه.. أما السيئة فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه فإن الرب لا يفعل سيئة قط بل فعله كله حسن وخير.

لو تمت عقيدة الإيمان بالقدر، فالقلب في راحة من العنت والمشقة؛ بالتعلق بالمخلوق ذلة له وخضوعا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ:يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ"[1].

ومسألة الإيمان بالقدر طرحت -كما مر- عدة إشكالات لدى علماء المسلكين في العصور الأولى وشكلت مجالا فلسفيا خاض فيه الجميع بعلم أو بغيرعلم، كما أن مباحث علم التوحيد على مر الزمن كانت دائما تطرح نفسها كموجه للتفريق بين العلوم العقدية القابلة للتعليم والتعلم في مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وخصوصا المؤسسة التعليمية والتي ستجد نفسها أمام

---

(1) رواه الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ج 4 ص 667 رقم الحديث 2516. حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

استعدادات ومكتسبات متشعبة يصعب احتواءها بين كفايات البحث والتفكير وتعلمات الإيمان والتفويض.

وبين التفكير والتفويض يطرح علم الكلام نفسه كأحد روافد المعرفة العلمية المؤهلة للاستئناس الديداكتيكي، ولخلق التوازن المطلوب في اختيار مضامين علم التوحيد..

المبحث الخامس

الإشكاليات العقدية في علم الكلام

قبل الحديث عن هذه الإشكاليات، لا بد من الوقوف على ماهية هذا العلم، فعلم الكلام" علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام "[1] قال ابن خلدون "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقليةوالرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب أهل السلف، وأهل السنة"[2].وسمي علم الكلام بهذا الاسم لعدة أسباب منها:

-أن مسألة الكلام هي من أشهر مباحثه التي وقع فيها نزاع وجدل بين المتكلمين، والمقصود من مسألة الكلام هي مسائل العقيدة و علم التوحيد و الإلهيات، و أشهر مواضيعه إشكالية خلق القرآن التي تبنتها المعتزلة، ونفوا صفة الكلام عن الله تعالى وأكثروا الجدال و الحجاج.

وقيل سمي بعلم الكلام لأن العادة جرت عند المتكلمين الباحثين في أصول الدين أن يعنونوا لأبحاثهم بـ"الكلام في كذا... إلخ."

وقيل لأن الكلام والمجادلة والقيل، والقال قد كثر فيه وأصبح سمة لأهله. ولكنكيف نشأ هذا العلم وتطور حتى وصل ما وصل إليه؟ سنحاول الإجابة عن هذا السؤال دون الغوص المطرد للأحداث التاريخية، و تقصيها، و الاكتفاء بالإشارة إلى أهم المحطات التي سطرت تأصيل هذا العلم الغريب عن مقومات الحضارة الإسلامية ..

---

(1) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني " كتاب التعريفات"، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983مص 185.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر "تحقيق: خليل شحادة دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988م ج1 ص 580.

المطلب الأول: نشأة و تطور علم الكلام

ظهر الكلام في العقيدة أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكن علما قد اتضحت معالمه، و لم يشكل في هذه الفترة أصلا من الأصول التي تحكم في تقرير أصول العقيدة الإسلامية، و ظل الكلام في هذه الحقبة مقتصرا على بعض جوانب التوحيد، مع موافقة أغلب المتكلمين لأهل السنة في سائر أبواب العقيدة، إلى حين اجتماع هذه الأصول التي تكلم فيها المتكلمون فظهر علم الكلام الذي يمثل الشق والطرف المخالف لأهل السنة في إثبات وتقرير العقائد ؛ و قد وقع ذلك ابتداء على أيدي المعتزلة.

وحدثت الاختلافات العقدية في آخر أيام الصحابة مع بدعة معبد الجهني في القول بالقدر، وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر. ثمظهر القول بخلق القرآن ونفي الصفاتعلى يد الجعد بن درهم[1]،

---

(1) هو أول من قال بخلق القرآن، أصله من خراسان، وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر الرسول ﷺ عن يهودي باليمن. وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه، وأنه كان كلما راح إلى وهب يغتسل ويقول: اجمع للعقل، وكان يسأل وهبا عن صفات الله عز وجل.فقال له وهب يوما: ويلك يا جعد، اقصر المسألة عن ذلك، إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يدا ما قلنا ذلك، وأن له عينا ما قلنا ذلك، وأن له نفسا ما قلنا ذلك، وأن له سمعا ما قلنا ذلك، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك، وقد أقام ببلخ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران، حتى نفي إلى ترمذ.ثم إن خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك أن خالدا خطب الناس فقال في خطبته تلك: أيها الناس ! ضحوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي.كتاب: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م.ج 9 ص 382ا.

وهو شيخ الجهم بن صفوان[1]، الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون أن الله في كل مكان بذاته.

وفي مقابل غلو الخوارج برز قرن المرجئة والكلام في الإيمان، وظهر الكلام في الإرجاء، وإخراج العمل عن مسمى الإيمان، و أول من أحدث ذلك حماد بن أبي سليمان[2]، شيخ أبي حنيفة، ثم تبعه أهل الكوفة وغيرهم ...

و وقع الخلاف في القدر وفي مسألة المنزلة بين المنزلتين فانبرى لذلك واصل بن عطاء الغزالي، و خالف الحسن البصري في مرتكب الكبيرة فترك حلقته و قيل طرده من مجلسه؛ وانضم إليه عمر بن عبيد بن باب في بدعته فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة،فقال الحسن "اعتزلنا و اصل" فقيل لهما ولأتباع

---

(1) هو حامل لواء الجهمية، من أهل خراسان، ويكنى بأبي محرز، وهو من الجبرية الخالصة، وأول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته.كثير الجدال والخصومات والمناظرات، لم يكن له بصر بعلم الحديث، وقد نبذه علماء السلف، وافق المعتزلة في نفي صفات الله الأزليّة وزاد عليهم بأشياء في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام وإيجاب المعارف بالعقل .وقتله سالم بن أحوز المازني، في آخر ملك بني أمية سنة 128 هـ...انظر كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لمؤلفه أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري تحقيق: نعيم زرزور: المكتبة العصرية الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م

(2) العَلاَّمَةُ، الإِمَامُ، فَقِيْهُ العِرَاقِ، أَبُو إِسْمَاعِيْلَ بنُ مُسْلِمٍ الكُوْفِيّ.رَوَى عَنْ: أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، وَتَفَقَّهَ: بِإِبْرَاهِيْمَ النَّخَعِيِّ، وَهُوَ أَنْبَلُ أَصْحَابِهِ وَأَفْقَهُهُم، وَأَقْيَسُهُم، وَأَبْصَرُهُم بِالْمُنَاظَرَةِ، وَالرَّأْيِ، وَحَدَّثَ أَيْضاً عَنْ: أَبِي وَائِلٍ، وَزَيْدِ بنِ وَهْبٍ، وَسَعِيْدِ بنِ الْمُسَيِّبِ، وَعَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، وَجَمَاعَةٍ. وَلَيْسَ هُوَ بِالْكَثِيْرِ مِنَ الرِّوَايَةِ؛ لأَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَوَانِ الرِّوَايَةِ وَأَكْبَرُ شَيْخٍ لَهُ: أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، فَهُوَ في عداد صغار التابعين. رَوَى عَنْهُ: تِلْمِيْذُهُ؛ الإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ، وَابْنُهُ؛ إِسْمَاعِيْلُ بنُ حَمَّادٍ،وَالأَعْمَشُ، وَحَمْزَةُ الزَّيَّاتُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَشُعْبَةُ بنُ الحَجَّاجِ، وَخَلْقٌ. وَكَانَ أَحَدَ العُلَمَاءِ الأَذْكِيَاءِ، وَالكِرَامِ الأَسْخِيَاءِ، لَهُ ثَرْوَةٌ، وَحِشْمَةٌ، وَتَجَمُّلٌ. إِلَى أَنَّهُ تَحَوَّلَ مُرْجِئاً إِرْجَاءَ الفُقَهَاءِ، وَهُوَ أَنَّهُم لاَ يَعُدُّوْنَ الصَّلاَةَ وَالزَّكَاةَ مِنَ الإِيْمَانِ، وَيَقُوْلُوْنَ: الإِيْمَانُ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَيَقِيْنٌ فِي القَلْبِ، وَالنِّزَاعُ عَلَى هَذَا لَفْظِي -إِنْ شَاءَ اللهُ -وَإِنَّمَا غُلُوُّ الإِرْجَاءِ مَنْ قَالَ: لاَ يَضُرُّ مَعَ التَّوْحِيْدِ تَرْكُ الفَرَائِضِ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي الطبقة الثانية من التابعين ج 5 ص 529-530.

هما "معتزلة"، و لاعتزالهم قول الأمة في دعـواهم أن الفاسـق مـن أمـة الإسـلام لا مؤمن ولا كافر .

وهكذا بدأ الكلام في مسائل الاعتقاد على يد الجهم بن صفوان الذي جمـع شتات الأقوال السابقة، وأخرجها من مخرج واحد، و ألبسها ثوب العلم فأضـحى أكثر تطوراً وأكثروضوحا عند أصحابه و المشتغلين به،و تحول علم الكـلام بـذلك من طور الإنشاء ليلامس بقوة طور الظاهرة، و شكلت هذه المرحلة منعطفاً خطيراً في عقيدة الأمة، وذلك لتبني الخلافة الإسلامية لأطروحاتها، وهو سبق خطير ليس له نظير قبله في تاريخ خلفاء الأمة، وكان ذلك في زمن المأمون العباسي، و شـكل ذلك مرحلـة الاسـتقرار الأول لعلـم الكـلام.حيـث آثـار المصـطلحات اليونانيـة كانتطاغية، وخاصة عند المتأخرين مـنهم كـالعلاف[1]، و طغـت الثقافـة اليونانيـة بركوب موجةحركة التعريب و الترجمة لكتب الفلسفة والمنطق، وهي من أعظـم أبواب الشر التي فتحـت في زمـن المـأمون، فكثـر تعريـب كتـب فلاسـفة اليونـان الأوائل، مما كان له أسوأ الأثر في تكدير صـفو العقيـدة، وبلبلـة النـاس وشـغلهم بالمنطق الإغريقي عن الكتاب والسنة، حيث ترجمت العديد من الكتب مثل كتـاب (الطبيعة)، وكتاب (ما بعد الطبيعة) لأرسطو، و كثير من كتب الفلسفة اليونانية.

وكان الأشاعرة قد دخلوا معترك الكلام في مقابل المعتزلة، وتشـكلتبذلك قواعـد علم الكلام ومقدماته التي يحتاج إليها الدارس مثل إثبات الجوهر – الفرد وغيره.

---

(1) أبو الهذيل العلاَّف، محمد بن الهذيل بن عبد الله بـن مكحـول العبـدي 135-235) هــ850-753/م)، مـولى عبـد القيس، من علماء الكلام، وشيخ المعتزلة البصريين في القـرن الثـاني الهجـري (والمعتزلـة اثنتـا عشـرة فرقـة) ومقدم الطائفة، ومقرر الطريقة، والمناظر عليها، ولد في البصرة، وكـان حسـن الجـدل، قـوي الحجـة، سـريع الخاطر، كفّ بصره في آخر عمره، وتوفي في أول خلافة المتوكل بسامراء، لـه كتب كثيرة، منهـا كتـاب سـماه «ميلاس» على اسم مجوسي أسلم على يده.وكان يقول: «إرادة الله غير مراده، وغير أمره، وإرادتـه لمفعولاتـه ليست بمخلوقة على الحقيقة، بل هي مخلوقة مع قوله لها «كن»، وإرادته للإيمان ليست بمخلـق لـه، وهـي غـير الأمر به، وإرادة الله قائمة لا في مكان.«

تلىذلك مرحلة تميزت بمناقشة كلام الفلاسفة وإدخال ذلك في علم الكلام و استعمال المنطق الأرسطي ودراسة أدلته وبراهينه.وجاءت مرحلة حرجة خلطت بين مذاهب الفلسفة والكلام واشتبه الأمر فيها على الكاتب والقارئ جميعاً. و شجع ذلك على التقليد المحض للآراء المريبة دون تمحيص و لا الوقوف على الأصول. ولعل السر يكمن في أن أغلب المترجمين كانوا من غير المسلمين.

و أدى ذلك إلى طغيان أهلالبدع، وتنفذوا على البلاد والعباد، وصارت المنابر والحلق والقضاءحكراًعليهم، وضيق على أهل السنة، ونالهم العنت الشديد.

و صارعلم الكلام و مباحثه مختلطة بالمباحث الفلسفية البحتة، وصار هو الطريق المعبر عن عقيدة المسلمين على ما فيه من غموض وتعقيد وتكلف يصعب على العلماء أنفسهم فهم أغلب مباحثه ومصطلحاته، و هو ما عابه عنهم السلف. و كان موقفهم حازماً بالمنع من تعاطي هذا العلم والاشتغال به ومجالسة أصحابه أو حتى الرد عليهم، وذلك أنهم نظروا إلى منهج الرسالة من الكتاب والسنة، فوجدوه قد انتهج منهجاً خاصاً في تقرير العقيدة الإسلامية، فاتجه إلى العقل الإنساني والفطرة البشرية يخاطب ما جبلت عليه من حقائق تجعل الإيمان بوجود الخالق وضرورة عبادته وحده أمراً بديهياً، لا حاجة فيه إلى الجدل والسفسطة، وأن الإسلام مبناه على الخضوع والاستسلام.

ثم نظروا إلى الأصول والمحاضن التي نشأ فيها علم الكلام، فوجدوا أن علم الكلام ترعرع في بيئة وثنية خالية من التوحيد، أساسه الفلسفة اليونانية، وبيئة المجتمع الإغريقي الإباحي المنحل، فأطلقوا صيحات الإنذار إشفاقاً على هذه الأمة من أن تأخذ مأخذ الأمم السابقة فكثرت أقوالهم في التحذير من علم الكلام. وتضاربت أحكامه بين الحرام المنبوذ و الفرض المحمود..

يقول أبو حامد الغزالي: "...فإن قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هومباح أو مندوب إليه؟ فاعلم أن للناس في هذا غلواً وإسرافاً في أطراف فمن قائل إنه بدعة أو حرام، وأن العبد إن يلقى الله بكل ذنب سوى

الشرك خير له من أن يلقاهبالكلام، و ذهب بعض أهل العلم إلى أنعلم الكلام فرض إما على الكفاية، وإما على الأعيان، وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله، وإلى التحريم ذهب الشافعيومالك وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وجميع أئمة الحديث من السلف.. "[1]

أما كبير علماء الكلام المتكلمين و علامة زمانه في المعقول والمنقول، أبو عبدالله الفخر الرازي[2]، فقد أوصى عند موته كما في كتاب "عيون الأنباء" فقال: "وكنت أكتب في كل شيء شيئاً، لا أقف على كميه وكيفيه سواء كان حقاً أو باطلاً، غثاً أو سميناً.. ولقد اختبرت الطرق الكلامية،والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات

---

(1) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) : كتاب إحياء علوم الدين، دار المعرفة، ج 1ص 95.

(2) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي، المعروف بفخر الدين الرازي أو ابن خطيب الري544) هـ606 - هـ، هو إمام مفسر شافعي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. ولد في الريّ .قرشي النسب، أصله من طبرستان .رحل إلى خوارزم وماوراء النهر وخراسان. وأقبل الناس على كتبه يدرسونها، وكان يحسن الفارسية.كان قائما لنصرة أهل السنة والجماعة، ويرد على الفلاسفة والمعتزلة، وكان إذا ركب يمشى حوله ثلاث مئة تلميذ من الفقهاء، ولقب بشيخ الإسلام.له تصانيف كثيرة ومفيدة في كل فن من أهمها: التفسير الكبير الذى سماه "مفاتيح الغيب"، وقد جمع فيه ما لا يوجد في غيره من التفاسير، وله "المحصول" في علم الأصول، و"المطالب العالية" في علم الكلام، "ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" في البلاغة، و"الأربعون في أصول الدين"، وكتاب الهندسة. توفي الرازي في مدينة سنة 606هـ.انظر موقع المعرفة..

والمناقصات، وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشي، وتضمحل في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية.. وأقول ديني متابعة محمد سيد المرسلين، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما[1] ؛ هذه المواقف المعرفية لعلم الكلام في علاقته بعلم التوحيد تخلق نوعا من التردد في التعامل التربوي لهذا العلم؛ ذلك أن علم الكلام لا يمكن بحال اعتباره من العلوم المؤسسة لعلم التوحيد، و لا يجوزأن ندخله في بنيته مهما كانت انتماءات أصحابه، لذلك وجب التعامل معه في حدود الوسيلة أكثر من المضمون، لأن مباحث علم الكلام نشأت في سياقات مختلفة عن علم التوحيد، و تبنيها كمورد من الموارد العقدية قد يشتت أذهان المنظرين التربويين و يزيد من صعوبة اختيار المضامين .

لذلك يبقى التوجه نحو تعرفالحدود المعرفية العقدية لهذا الفرع من المعرفة ضروري لكل محاولة للتأصيل لديداكتيك علم التوحيد في عصرنا الحالي.فماهي طبيعة هذه الحدود، و إلى أي حد يمكن الوقوف على أهدافها لتسطير برامج تعليمية للعقيدة الإسلامية؟

المطلب الثاني: الحدود العقدية لعلم الكلام المعاصر

قبل الوقوف عن طبيعة و ماهية هذه الحدود، يبقى السؤال الذي يطرح نفسه بقوة:

هل يمكن اعتبار الجانب التحليلي المعاصر لعلم الكلام أهم وسيلة دفاعية عن العقيدة الإسلامية، أو أنه سيبقى مشروعًا فضوليًا داخل متاهات الفلسفة والفكر الإسلامي؟

---

(1) أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق: الدكتور نزار رضا الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت.ص 467.

للإجابة عن مثل هذه الأسئلةلابد من بلورة تصور جديد متحرك لممارسة معاصرة لعلم الكلام، و إخراجه من تموقعه التراثي و تقوقعه الدفاعي الصِرف إلى فضاء الهدوء العلمي، و تقبل النقد دون ردود انفعالية تفقد القضية الكبرى للإسلام قوتها الأصلية. فعلم الكلام الإسلامي المعاصر ليس استمرارًا وتابعا لكلام الفرق الإسلامية القديمة، لأن غرض علم الكلام الإسلامي المعاصر وسياقه مختلف ولا ينحصرهدفهأن يكون فلسفيا وفضوليا لفهم ومعرفة الله وعلاقته بخلقه، بقدر ما يكون ذلك ممكنًا من خلال التحليل الموضوعي لأهم مباحث علم التوحيد.

ويرجع ذلك بالأساس أنا صرنا نشاهد من سيل للكتابات الداعية لتجديد علم الكلام الإسلامي بأدوات غير إسلامية، وبمناهج لا صلة لها بتربة الإسلام، وبأنظار استنبتت في بيئات غير إسلامية، وبنظريات نحتتها عقول تؤله الإنسان لا الله[1].

والدفاع عن العقيدة في الله وعلاقته سبحانه بالخلق ليسا هدفين مختلفين في الواقع، بل هي قضية موحدةترمي في نهاية المطاف إلى محاولة فهم المعرفة التي يتم الكشف عنها بأكبر قدر ممكن.

أمّا المعنى المقصود الذي يمكن أن نسلم به ونفهمه هو أن المصدر الإلاهي مصدر متعال يفوق العقل، ويكون هذا المصدر ربانيًا. ونتيجة ذلك فالنموذج الديني ليس تحليليًا تمامًا بطبيعته، بل إنه – في جذوره – روحيًا وشخصيًا. وهذا ما كرس التحذير التقليدي من علم الكلام جزئيًا عند علماء السنة، ولا ينبغي أن يكون للتحليل هيمنة على الحياة التعبدية. لأن حياة المسلم المثلى حياة باللهومع الله، ذلك أن العبد يتحدث إلى الله في الصلاة، والله يصف نفسه بصفاته العليا من

---

(1) موقع منار الإسلام.مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية، العدد 5 دجنبر 2019 شوال 1440: في التأصيل القرآني للعقيدة دراسة في دواعي الاشتغال ومسوغاته (رؤية في تجديد الدرس الكلامي المعاصر وتطويره)، الجزء الأول من دراسة للدكتور عبد العظيم صغيري من كلية الشريعة والدراسات بجامعة قطر.

خلال الوحي، وعلينا أن نستمع إلى ذلك وندركه بأقصى ما بوسعنا.

إن علم الكلام الإسلامي في إطار الواقع المعاصر يبقى مع ذلك كلامًا، ولا يمكن أن يتحاشى الممارسة الفلسفية في ظل استفسارات حقيقية مختلفة، وذلك لتشابه الأسبابواختلاف الأطروحات والإشكالات الحديثة التي لا يستطيع علم الكلام التقليدي القديم الدفاع عنها بأسلوبه القديم المعقد. وذلك من أجل مواجهة التحديات الفكرية التي تواجه العقيدة الإسلامية، والتي أثارتها شعارات توصم بالعقلانية وتقمع معارضيها بتبني مواثيق مبتدلة كحقوق الإنسان وحرية الاعتقاد، فأضحى من الضروري توضيح الثغرات المعرفية والرؤى الفلسفية المستحدثة، والتي لم تُطرح صراحة في المصادر الإسلامية القديمة والحديثة على حد سواء.

لذلك، تواترت الشهادات وتعددت الدعوات الحاثة على ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم من قبل المتكلمين والفلاسفة، لتشييد معالم فلسفة إسلامية قرآنية المصدر، ولتنقية تراث المسلمين على هدي من إطارهم المرجعي المؤسس، فـ« القرآن العظيم لم يدرس حتى اليوم من الناحية الفلسفية دراسة كافية، أو بعبارة أخرى إن المفكرين المسلمين من متكلمين وفلاسفة لم يعرفوا كيف يفيدون من القرآن الفائدة الكاملة، ولذلك فالقرآن الكريم بحاجة إلى معالجة ميتافيزيقية أكثر عمقا من النظرات العجلى التي قدمها لنا الفلاسفة الإسلاميون حول بعض آياته، والتي لم تبلغ منه بعد قشرته الخارجية، إن الفلاسفة الإسلاميين وعلماء الكلام لم يهتدوا بهدي الأصول الإسلامية ولم يبذلوا قصارى جهودهم لتعميقها، ولو فعلوا ذلك لكان لدينا اليوم فلسفة إسلامية أصيلة تغاير تلك الفلسفة الإسلامية التي وصلتنا عبر التاريخ، إذ لا يقبل من الفلسفة الإسلامية الجديرة بهذا الاسم، أن تظل ضائعة وسط التيارات الفلسفية اليونانية والغنوصية التي اقتبست عنها أصولها، بل كان يجدر بها أن تخط وسط ذلك خطا واضحا تتميز به الفلسفة

الإسلامية في جميع المشكلات التي أثيرت من حولها، يكون لبه قرآنيا ويستفيد من التراث الذي لا يتعارض مع هذا اللب[1]، كما أن الأمة الإسلامية إذا أرادت " أن تعيد دورها في التاريخ، فعليها أن تقوم بمراجعة التراث وتنقيته من كل دخيل باستخدام الإطار المرجعي، القرآن الكريم والرسول الأسوة" [2]وذلك عبر: " تجديد علم الكلام في ضوء من الكتاب والسنة، بحيث نعالج قضايانا التي نعيشها بمنهج جديد لا ينقطع عن منهج المتكلمين القدماء، وإنما نستفيد من عطاء هذا العصر العلمي في معالجة هذه المشكلات، تقديسا لكتاب ربنا وسنة نبينا، وليس ثورة عليهم، دون خيانة للموروث أو تنصل منه، وإنما كما تأسس علم الكلام للدفاع عن العقائد ومشكلات عاشوها هم، فنحن أمناء على نفس الوظيفة، نفعل كما فعل القدماء، عالجوا المشاكل بمنطق علمهم، فنعالج مشاكلنا نحن بمنطق عصرنا وما يمكن أن نستفيده من منهج القدماء[3].

إذن فمسألة فهمنا لله وتوحيده أو قابلية هذا المسألة للتعديل شيء، وقضية علاقتنا بالله أو وجوده شيء آخر. ولا بأس أن يظل إيمان المؤمن بهذا الأمر مرناً لينًا من خلال إدخال تعديلات أساسية نسبياً في الإطار التحليلي الذي ينظمه ذهنه عن طريق فهمه لهذه العلاقة.

إن طبيعة تحليل علم التوحيدأمر مختلف كليًا عن أساس التوحيدوالإيمان ذاته، ذلك أن الأخير يرتبط ارتباطًا روحانيًا ونفسيا داخليًا بالله، في حين أن الأول هو مجرد أساس فكري لفهم المرء لهذا الارتباط، فلا ينبغي الجمع بين الأمرين.

---

(1) نحو فلسفة إسلامية معاصرة«، الدكتور عبد اللطيف عبادة/ ص 302.

(2) عوامل ظهور الفرق في الفكر الإسلامي«، أ.د، مسعود عبد الله خليفة الوزاني/ ص 328.

(3) لا بد من بعث الحياة في علم الكلام«، حوار لمجلة »مدارك« مع الدكتور محمد السيد الجليند، أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار العلوم، جامعة القاهرة،

لأنهمن الناحية المنهجية لا تمتد لتشمل الحدود المعرفية للتحليل فتلامس أصول الإيمان والوحي الإلهي.

إذن في خضم الطفرات العلمية الحديثة، ما هي معايير وحدود علم الكلام فيتحليله لعلم التوحيد؟

والإجابات عن مثل هذه الإشكاليات تقع ضمن معايير التحاليل التي تم استخلاصها تاريخياً من المصادر الإسلامية المُنزّلة.

فالحدود العقدية لعلم الكلام المعاصر، يجب ألا تتجاوز ما عرفه النبي صلى الله عليه وسلم وكشف عنهوأخبر به، وما فهِم ضمنيامن هذا الوحي وهذه المعرفة الغيبية، بما في ذلك جميع التفسيرات والتطبيقات الصحيحة لهذه المعرفة.

إن توسع أو تغير فهم المرء للوحي، يقترن بالسياقات الحياتية التي يجد المرء فيها نفسه، والهدف وراء هذا الفهم ليس معرفة ذات الله وطبيعته، بل معرفةكيف يكون العبد قريبا من الله ويخضع له، ومناط الأمر أن فهم الظروفالخاصة لا يتم بشكل جيد بما فيه الكفاية. لأن من يعرف نفسه يعرف ربه، وهذا يتعلق بالظروف التي تتغير وكذلك الظروف التي لا تتغير، وهنا يمكن الحديث مجددًا عن الخط الفاصل بين علم التوحيد و علم الكلام و الفلسفية.

إذن فما هي الخصائص التي تميز الظروف التي قد تقتضي تغييراً في دور وشكل علم الكلام بين الحاضر و الماضي؟

كان الكلام وغيره من أشكال الخطاب العلمي يقتصر إلى حد كبير على النخبة العلمية. لكن المعلومة اليوم صارت مشتركة و سهلة الولوج،فهل يجب أن يقتصر على قلة مختارة فقط، من أجل تجنب إزعاج العامة بالأسئلة غير الضرورية التي قد تربك النظام المعرفي؟

يواجه أفراد المجتمع الإسلامي اليوم تحديات كانت في الماضي تقتصر على العلماء، فقد أضحتالتوترات بين العلم الطبيعي والمعتقدات الدينية تطرح كثيرا من

التحديات المعرفية والأخلاقية التي يفرضها التنوع الأخلاقي والديني، وضرورة المشاركة الحديثة في الجدال العام.

إدماج التراثالروحي والفكري في مجموعة القضايا التي تواجه الطبقة الفكرية المسلمة الوسطى، و ليس فقط التخلي عنها لصالح اجتهادات القرون الوسطى. لا بد إذن من إيجاد طرق متعددة لجعل هذا العمل مفيدًا ومتاحًا للجميع، وإيجاد طرق فعالة لتحليل ما قام به الغزالي والرومي في القرون المتقدمةومن خلال ذلك بلورة أفكار سليمة مجردة بأشكال تصورية، وإنتاج مصادر وموارد علمية قد تشكل الأساس لتكييف مضامين تتوافق وقدرات المتعلمين في مختلف أسلاك الدراسة.

ولن يتم ذلك إلا بتحليل شمولي لعلم الكلام في علاقته بالتراث القديم، والوقوف على الأبعاد الأخلاقية للفلسفة المتعلقة بنظرية المعرفة. خصوصا فيما يخص الحدود المعرفية بين العقلوالنقل، وإلى أي حد يمكن لنطاق العقل الخالص أن يمتد إلى ما وراء نطاق الحواس والتصور؟

نفس الطرح يشمل العلوم الاجتماعية التي أضحت تبسطهيمنة أساليبها في علم الكلام، و تعطي تصورا جديدا مختلفًا للعقيدة الإسلامية،و بالتاليلعلم كلام مختلف، الذي لم يعدموضوعه هو توحيد اللهو علاقته بالخلق، بل تبني طائفة ما من الظواهر الاجتماعية التي تتكون من بُنى اجتماعية هجينة غريبة عن حقل العقيدة الإسلامية الصحيحة ..

ومع تغير الظروف التاريخية، فرضتالتحديات الفكرية الجديدة والفريدة من نوعها، مواجهة عقلانية متزنة تسخر موارد القرآن والسنة والآثار الفكريةالنقية بطرق أصلية مناسبة. وهذا يقتضي عملية تعاونية من النقاش والتصحيح الذاتي،

والسعي إلى الحفاظ على الصلة الصحيحة بالمصادر النبوية أثناء تطبيقها عند التنقل بين الواقع الجديد والمتغير الذي يضعه الله بحكمته باستمرار[1].

في انتظار ذلك، لا بد للمشتغلين بتربية النشء أن يختاروا للمتعلمين مضامين تستجيب وحاجياتهم الروحية وقدراتهم التصورية والعقلية، وعرضنا لعلم الكلام في أصوله التاريخية وتطور تحليليه في سياق المضاربات الفكرية الحديثة، جاء ليلقي الضوء على موارد علمية أساسية تمشي بتوازي و توازن مع الموارد و المصادر الإسلامية الأصلية..

وهذا أهم مطلب في التحليل الديداكتيكي لعلم التوحيد.

(1) بتصرف واستئناس من مقال لعمر إدوارد معاد تحث عنوان " ماهية علم الكلام الإسلامي التحليلي" https://yaqeeninstitute.org/

الفصل الثالث

ديداكتيك علم التوحيد

قبل الحديث عن ديداكتيك علم التوحيد،لابد من الوقوف على تعرف ماهية الديداكتيك، و علاقتها بالعلوم الشرعية عامة وعلم التوحيد على و جه الخصوص :

المبحث الأول

مفهوم الديداكتيك

يطرح مصطلح الديداكتيك إشكالات إيتيمولوجية،لكونهيشترك في المعنى والأهداف مع مجموعة من المصطلحات التربوية، كما يتداخل حقله الدلالي مع مساحات سيميائية غير محددة في مجالات علوم التربية.

والديداكتيكا يرجع أصلها إلىDidaktikos باليونانية، وتعني كل ما له علاقة بالتعليم والتدريس، و قدظهر مصطلح الديداكتيك–didactique–في النصف الثاني من القرن العشرين، وكان معناه، فن التدريس أو فن التعليم.

ومنذ ذلك الوقت أصبح مصطلح الديداكتيك مرتبطا بالتعليم، دون تحديد دقيق لوظيفته [1].

وفي سنة 1988 اعتبره لا لاند–A.Laland–فرعا من فروع البيداغوجيا، موضوعه التدريس [2]. وعلى العموم يعرف الباحثون الديداكتيك بأنه "استراتيجية تعليمية، تواجه مشكلات كثيرة: مشكلات المتعلم، مشكلات المادة، أو المواد، وبنيتها المعرفية، مشكلات الطرائق، ومشكلات الوضعيات التعليمية التعلمية"[3]؛ والهدف تسهيل عملية التعلم، الشيء الذي لا يمكن أن يتم إلا باستحضار حاجيات التلميذ، وتحديد الطرق المناسبة، وتحضير الوسائل الناجعة، و يتطلب ذلك الاستعانة بمصادر معرفية متعددة و متنوعة، كالسيكولوجيا والبيداغوجيا ؛ ويرمي هذا التنظيم المنهجي للعملية التعليمية التعلمية إلى تحقيق أهداف، تراعي

---

(1) أحمد أوزي: المعجم الموسوعي لعلوم التربية. الرباط. مجلة علوم التربية. 2006 .ص140

(2) عبد اللطيف الفارابي وآخرون: معجم علوم التربية ـ مصطلحات البيداغوجيا الديداكتيك. سلسلة علوم التربية. عدد 9 و10. مطبعة النجاح الجديدة. طبعة1994.ص68.

(3) محمد مكسي: الدليل البيداغوجي ـ مفاهيم مقاربات. منشورات صدى التضامن .ط 2003 .ص35.

شمولية السلوك الإنساني. أي أن نتائجالتعلم ينبغي أن تتجلى على مستوى المعارف العقلية، والمواقف الوجدانية، والمهارات الحس- حركية للمتعلم[1].

بالإضافة إلى أن الديداكتيك تهدف إلى الإجابة عن سؤال: كيف ندرس؟ حيث إن "أهم مشكل يعترض المربين، وخاصة المبتدئين منهم هو قضية طرائق التدريس، وما هي الطرق التي تؤمن أكثر نجاعة للعملية التدريسية؟" [2] .

ويجب التمييز في تعريف الديداكتيك،بين ثلاث مستويات:

المستوى الأول ويتعلق بالديداكتيك العامة، وهي التي تسعى إلى تطبيق مبادئها وخلاصة نتائجها على مجموع المواد التعليمية وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول ويهتم بالوضعية البيداغوجية، حيث تقدم المعطيات القاعدية التي تعتبر أساسية لتخطيط كل موضوع وكل وسيلة تعليمية لمجموع التلاميذ.

والقسم الثاني يهتم بالديداكتيك التي تدرس القواعد العامة للتدريس، بغض النظر عن محتوى مختلف مواد التدريس.

المستوى الثاني هو مستوى الديداكتيك الأساسية، وتتضمن مجموع النقط النظرية والأسس العامة، التي تتعلق بتخطيط الوضعيات البيداغوجية، دون أي اعتبار ضروري أو هام لممارسات تطبيقية خاصة، وتقابلها الديداكتيك النظرية.

وأخيرا المستوى الثالث من الديداكتيك أو ما يعرف بالديداكتيك الخاصة، وهي التي تهتم بتخطيط عملية التدريس أو التعلم لمادة دراسية معينة[3]..

وارتباطا بهذه الديداكتيك الخاصة،لابدمن الوقوف على مفهوم يؤطر المفعول المضاميني لكل مادة دراسية، ويتعلقالأمر بعملية النقل الديداكتيكي:

---

(1) عبد اللطيف الفارابي وآخرون: معجم علوم التربية ـ مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك. ص69.

(2) أحمد شبشوب: مدخل إلى الديداكتيك ـ الديداكتيك العامة. دفاتر التربية .عدد .4رمسيس ـ الرباط. يونيو1997. ص11.

(3) LEGENDRE, R. (1988). Dictionnaire actuel de l'Éducation, Paris : Éditions Larousse.

المبحث الثاني

النقل الديداكتيكي والمواد الشرعية

استُعمل مفهوم النقل الديداكتيكي لأول مـرة في ديـداكتيك الرياضـيات من قبل -إيف شفلار- ثم استثمر في باقي المواد التعليمية.

و النقل الديداكتيكي" هو مجموعة التحولات التي تطرأ على معرفة معينـة في مجالها العالم، من أجل تحويلها إلى معرفة تعليمية قابلة للتدريس."فهونقل المعرفة من فضائها العلمي الخالص الى فضاء الممارسة التربوية لتناسب خصوصيات المتعلمين وتستجيب لحاجاتهم عن طريق تكيُّفها وفق الوضعيات التعليميـة–التعلميـة.ويتم التخطيط لعبور المعرفة من مجال التخصص الى مجال التعليم كالآتي:

موضوع المعرفة ← الموضوع الواجب تعليمه ← موضوع التعليم.

- موضوع المعرفة يحيل على بيئتها العلمية الخالصة حيث التجريد والتعقيد والتحول المستمر، إنها معرفة مفتوحة.
- الموضوع الواجب تعليمه ويوسم بالمعرفة المغلقـة لان المنهـاج الدراسـي يسيج حدوده.
- موضوع التعليم ويتمثل في المعرفة المتداولة داخـل فضـاء القسـم حيـث مضامينها مستوحاة من المعرفة الواجب تعليمها.

وتتم عملية النقل عـبر ثـلاث إجـراءات أساسـية يلـزم المـدرس ايلاءهـا الأهمية اللازمة عندما يواجه موضوعا دراسيا معينا:

أ- انتقاء المعرفة وتبسيطها لجعلـها قابلـة للتـداول بـين المـتعلمين ومناسـبة لمستواهم الادراكي.

ب-اختيار لغة واصفة مفهومة من لدن المتعلمين.

ج- عرض المحتوى التعلمي على المتعلمين، والذي ينبغي ان يراعي مبـدأين اثنين:

* المبدأ الاول: الانتقال بالمتعلم من المعلوم الى المجهول.
* المبدأ الثاني: اعتماد مبدأ التدرج في الصعوبة مرورا بالمعرفة البسيطة فالمركبة ثم المعقدة.

إن هذه المعالجة الديداكتيكية تنبني على تدرج محكم لعملية التعلم وعلى تبسيط مناسب يوفر للمتعلم فرصة إثراء خبرته وهيكلتها مع امتلاك جرأة الاجتهاد والابتكار، مما يؤسس للتكوين الذاتي والاستقلالية في اكتشاف المعرفة.فماخصائص هذهالمراحل في المعالجة الديداكتيكيةلعلم التوحيد ؟

المحورالأول : المعالجة الديداكتيكية لعلم التوحيد

لا بد من الإشارة في البداية إلى أن التوحيد كمادة دراسية مستقلة قائمة بذاتها، لا تجد لها مكانا في المنهاج الدراسي المغربي، لا على مستوى التعليم الأساسي والإعداديو التأهيلي؛ اللهم إذا استثنينا بعض المحطات اللا ديداكتيكيةفي التعليم العتيق، حيث نجد ها مبرمجة في السنة الأولى و الثانية إعدادي.

أما المسالك الدراسية الغالبة على التعليم بالمغرب [1]، فدراسة و تعلم التوحيد فيها لا يظهر إلا عن استحياء في مادة التربية الإسلامية، و نجده بالأساس في مدخلالتزكية، و يأتي تناوله عبر ثيمات و مواضع تحاول ملامسة المقاربة بالكفايات من خلال وضعيات مصطنعة، هذه الوضعيات التي قد توصم تكلفا بالوضعيات – مسألة، لا يمكن بحال تصنيفها إلا خارج الإطار الديداكتيكي. و المداخل في مادة التربية الإسلامية تجانب إشكالية المضامين المعينة و الملائمة، لتجعل من حل الوضعية التعليمية سببا في البحث في المعارف و المراجع العلمية للعلوم الدينية عموما، و العلوم الشرعية على وجه الخصوص، ليس باعتبارها مصدرا من المصادر أو علم من العلوم العارفة، ولكن في أقصى حالاتها موارد مساعدة و مكملة .. هكذا نجد مثلا في مدخل التزكية في السنة الأولى إعدادي درسا في

---

(1) المسالك: علوم تجريبية، رياضية، تقنية – آداب عصرية..

العقيدة، العقيدة الصحيحة و العقائد الفاسدة، يثير تعلم العقيدة الصحيحة من خلال المقارنة مع العقائد الأخرى .فالمنطلق ليس من داخل مكونات علم التوحيد و مباحث العقيدة، و هذا الاختيار بعيد عن طبيعة المناولة الديداكتيكية و التي تأخذ بعين الاعتبار قدرات المتعلم في استيعاب المضامين المختارة ..

أما في التعليم العتيق فدراسة هذا العلم لا يخضع لقوانين الديداكتيك ، حيث يعتمد بالأساس المقاربات التقليدية في تدريس علم التوحيد ؛ و ذلك بالرجوع إلى ترديد نظم من النظوم المشهورة في العقيدة الأشعرية كمصدر أساس، و بعض المراجع المساعدة لشرحها و تقريبها للمتعلم .. فجاءت مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في أصول العقيدة ملائمة لاعتماد مذهب الإمام مالك في المغرب الأقصى.. و متن العقيدة السنوسية المعروفة بأم البراهين و مكمل و كتاب الرائد في علم العقائد للعربي اللوه، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ، المختصر المفيد على جوهرة التوحيد للدكتور نوح علي سليمان القضاة، و شرح الشيخ الطيب بن كيران لتوحيد المرشد المعين كمراجع مساعدة..وهذا في السنة الأولى إعدادي. و المضامين المدرسة هي مواضيع النظم مع شرحه، و حتى تبقى آثار المقاربة بالكفايات بارزة جاءت التعلمات متسلسلة في الزمن.

أما في السنة الثانية فقد تم الاقتصار على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر، بشرح مختصر الدر الثمين و المورد المعين لميارة، كما تم الاحتفاظ بمقدمة ابن أبي زيد القيرواني بشرح أبي الحسن كمرجع مساعد، مع اعتماد شرح الخريدة البهية لناظمها أبي البركات الدردير المالكي ..لكن يلاحظ بعض التطور في تناول المضامين العقدية في هذه السنة، حيث لم يتم اعتماد التتبع الصارم لمواضيع النظم، بل جاءت العناوين المرحلية لتعلم علم التوحيد أكثر تعليمية، كما ركزت على التسلسل التدريجي في تدريس أمور العقيدة ' و ركزت بالأساس على توحيد الأسماء و الصفات، و فصلت في ذلك، و هذا الترتيب في دراسة الصفات جاء من منطلق أن دراسة توحيد الربوبية و توحيد الألوهية قد تم تعلمه في السنة الأولى ..إلا أنه يلاحظ أن الحديث عن -تيمة اندراج العقائد في لا إلاه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم في نهاية المقرر مع تيمة بيان معنى

الإسلام و أركانه و تيمة الإيمان و أركانه و حقيقة الإحسان و الدين، يطرح تساؤلات وجيهة :

هل بالفعل لابد من دراسة وتعلم توحيد الأسماء والصفات للحديث عن أركان الإسلام والإيمان في النهاية؟ أم يتعلق الأمر بمحاولة لتجميع ما تمت دراسته والوقوف على خلاصاته؟

لا يمكنني الخوض في مثل هذه الإشكاليات لأن الغرض من البحث هو الوقوف على مصوغات ديداكتيكية لتدريس علم التوحيد، والتي غابت في هذه البرمجة القديمة الحديثة من خلال تغييب قدراتالمتعلم كمكون لا يمكن الاستغناء عنه في اختيار المضامين المناسبة في هذه السنوات الدراسية الحرجة على مستوى نمو التلميذ:

المحور الثاني: مراحل النمو الديني والتعلماتالعقدية

إن تعلم علم التوحيد و أمور العقيدة لا يخضع لمنطق التعلمات الأخرى، ذلك أن الأمر يتعلق بتعلم أمور باطنية يصعب الكشف عنها، و تزيد الصعوبة عندما تكون مؤشرات التعلمات ظنية، لأن التوحيد من أعمال القلوب و تعلم مسائل التوحيد يكون بالتدريج بحسب نضج الطفل لأن أغلب المضامين غيبية، و لكن الإشكالية المطروحة تتعلق بالأساس حول تحديد أي نوع من النمو يساعد التلميذ أكثر على مثل هذا التعلم، هل هو النمو العقلي، الجسدي، الاجتماعي أو الخلقي .....أم أن جميع أنواع النمو تدخل في تعلمات مسائل علم التوحيد ؟

في حقيقة الأمر و بعد تمحيص في أنواع النمو عند الطفل، تبين أن النمو الخلقي أقرب إلى تعلم أمور العقيدة، لكن بعد الوقوف على أهم مظاهر النمو الخلقي تبين أن مخرجاته مجموعة من السلوكات التي قد ترتبط بتعلم أسس العقيدة؛ و ما قيل عن النمو الخلقي يمكن سحبه على باقي أنواع النمو، لكن يبدو أن أقرب نوع لتعلم مضامين علم التوحيد يبقى النمو الديني، باعتبار العقيدة الأساس الذي يقوم عليه الدين بصفة عامة، و هذا النمو الديني له جوانب مشتركة مع باقي أنواع

النمو لكن ارتباطه بتعلم التوحيد أكثر وضوحا، و لأن الدين شعور ينشأ بالتدريج ، لذلك تنوعت مراحل النمو الديني و أدلى كل باحث بدلوه للوقوف على عتبات نمو الدين لدى الطفل من خلال تصانيف مختلفةاختارت كل واحدة منها تسميات لمراحل هذا النمو .

و قد اختلف العلماء والباحثون حول العمر الذي يبدأ فيه الشعور الديني فمنهم من يرى أنه يبدأ في مراحل الطفولة المبكرة، وان الشخصية الدينية تنمو لدى الطفل في سن الرابعة أو الخامسة ويستمر ويكتمل حتى الخامسة عشرة، ومنهم من يرى إن الطفل لا يقوى على إدراك المفاهيم الدينية إلا بعد الوصول إلى مرحلة متقدمة من النضج العقلي، لأنه لا يستطيع إدراك المفاهيم والمصطلحات المجردة الخاصة بالدين، كالخالق والعدالة والإحسان والمحبة إلا ما بعد السنة الرابعة عشرة، و هذا الموقف الثاني و إن كان فيه بعض الصواب إلا أن الأرجح أن الشعور الديني في التصور الإسلامي يبدأ مبكرا، و ربما قبل الولادة، و يستمر بعد الولادة مباشرة "يولد الإنسان على الفطرة .." الحديث.

وهذه التضارب ألقى بظلاله على مختلف التصنيفات، و لكن يبدو أن أغلبها لا يخرج عن تقسيمات نسبية للمراحل التي يصعب تحديد بداياتها ونهاياتها، و نكتفي هنا بالوقوف على ثلاثة مقاربات تصنيفية تخدم فرضيات البحث:

أولىهذه التصنيفات حاولت تقريب المراحل من التوصيف للشعور الديني دون أن تغفلتصنيفاتالمراحل التقليدية للنمو،و اعتبرت بأن هناك أربعة مراحل للنمو الديني و هي مرحلة : الخيال، مرحلة التقليد، مرحلة الإدراك، و مرحلة الجدل[1]:

---

(1) انظر: كتاب حنان عبد الحميد العناني: تنمية المفاهيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية.

1.مرحلة الخيال:

وتتكون فيما بين (3-6) سنوات، و هي المرحلة ما قبل المدرسي أو ما يطلق عليه اليوم بالتعليم الأولي؛وابتداءمن السنة الثالثة من العمر تبدأ قوة الادراك الديني لدي الطفل بالنمو، و لغاية السنة السادسة في العمر؛ و يسعي من خلال تساؤلاته توسيع دائرة معلوماته عن الغيب؛ فيقوم بطرح الاسئلة حول الله تعالي بحدود السنة الخامسة من العمر ويشعر بالحيرة جراء عدم قدرته رؤية الله تعالي وفي نفس الوقت يبرز تمسكه وتعلقه بالله تعالي.

كما يتصور الله والملائكة والشياطين بصورة خيالية لا صلة لها بالحقيقة، يؤلفها خياله الخصب من عناصر استمدها من واقعه الحسي؛ فقد يتصور الله على سبيل المثال رجلا مسناً وقوراً بلحية طيب القلبويتمثل الملك صورة جميلة، والشيطان ماردا غليظاً تنفر منه الطباع،وقد يصوره حيواناً مفترساً مكشراً عن أنيابها، و غير ذلك من الصور التي تختلف باختلاف مشاعر الطفل نحو الله.

بعد هذه المرحلة والذي يغلب الجانب الحسي والخياليعلى الشعور الديني لدى الطفل تأتي مرحلة التقليد:

2. مرحلة التقليد

وتبدأ من مرحلة الطفولة المبكرة وتلاحظ في مرحلة الطفولة المتوسطة، و هي مرحلةالسنوات الأولى من التعليم الابتدائي، و تبرز لدى الطفل الرغبة في ان يكون فرداً دينياً وان يؤدي نفس الاعمال التي يؤديها أبواه في مجال الدين، فطفل السادسة مثلا يرغب في ان يستيقظ في وقت السحور في شهر رمضان المبارك ويطلب من والده الذهاب للصلاة في محاولته الصادقة والتي يبذلها لمجاراة من حوله واتباع ما هو مطلوب منه بحذافيره، والجدير بالذكر ان تعاليم الدين عند الطفل في هذه المرحلة لا تخرج عن كونها مجموعة عبارات يرددها دون ان تنطوي على دلالة واضحة وتكون العبادة عنده قاصرة على أداء بعض الطقوس تقليداً مسايراً

للجميع دون ان تنطوي على شعور التقوى والورع اللذين يتوفران لدى الكبار عند اداء هذه العبادات، بالإضافة الى ترديد بعض الالفاظ و الأذكار مثلالحمد لله، سبحان الله ....والتي اكتسبها هي الاخرى عن طريق تلقين الكبار له وتقليده لهم، ولهذا تتسم هذه المرحلة (بالشكلية) كما يتميز النمو الديني لدى الصغار في مرحلة الطفولة المتوسطة (بالنفعية) فالصلاة والصوم والزكاة وسائل لتحقيق امانيهم ومنفعتهم الشخصية مثل الحصول على لعبة او النجاح في الامتحان او الحصول على الامن عن طريق الوالدين ويطلق البعض على هذه المرحلة اسم (المرحلة الفردية) لان الطفل يبدأ فيها باختيار العناصر التي ترضي حاجاته من الدين اي ينتقي العناصر الدينية التي تشبع حاجاته الفردية.

3. مرحلة الادراك

و هي مرحلة الطفولة المتأخرة من 9 إلى 12 سنة، و هي السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية،و ذلك أن الطفل في المرحلة السابقة لما يشعر بقصور والديه عن تلبية امانيه وحاجاته يتوجه الى الله ليحققها له؛ وبتقدم السن يدرك الاطفال شيئا فشيئا ان دعواتهم لا تجاب جميعا ولكنهم يدعون بحكم العادة التي تأصلت في نفوسهم.

ومع تقدم السن يدرك الاطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة العلاقة بين الدعاء والعمل كما يدركان الدعاء وسيلة لتغيير السلوك حتى يصبح مقبولاً مجاباً؛ وفي سن العاشرة تقريبا ينمو اعتزاز الطفل بدينه على اساس وحدة المعتقد والثقة برب واحد والتوجه الى قبلة واحدة والاقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ابتغاء مرضاة الله.

وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الاجتماعية لان الطفل هنا يتأثر بالبيئة الاجتماعية فإذا كانت متدينة نشأ على ما تربى عليه. ولأن اداء الفرائض يأخذ شكلا اجتماعيا فإنه يسهم في التوافق الاجتماعي ويتميز النمو في هذه المرحلة

باتساع افاق الطفل وخروجه من ذاته الضيقة فيعرف ان الله ليس ربه وحده، بل هو إله كل الناس وان الدين يجمع جماعة كبيرة اوسع من اسرته وان هناك جماعات اخرى تتبع اديانا اخرى، وتتسع لدى طفل هذه المرحلة المفاهيم الدينية فيفهمالديناكثرمن قبل وينمو ادراكه الديني ويتسم بالاتي:

- معرفة الله بصفة عامة بواسطة التفكير المنطقي.
- معرفة معنى الوجدانية.
- معرفة ان الله موجود في كل مكان.
- معرفة ان في الجنة ما يفرح النفس وانه لا يدخلها الا اصحاب السلوكيات الحسنة.
- معرفة ان النار فيها عذاب شديد ويدخلها اصحاب السلوكيات السيئة.
- معرفة الصلوات المقررة.

بعد هذه المرحلة، ينمو لدى الطفل حب الاستطلاع، و يحاور من هو أكبر منه حتى يبرهن بأنه لم يعد صغيرا، و أنه يفهم أكثر، فيدخل في الجدل بمناسبة أو بغير مناسبة:

4 - مرحلة الجدل

عندما يصل الطفل الى مرحلة الطفولة المتأخرة يستطيع ان يناقش الامور الدينية، ويأخذ في القاء الاسئلة التي تدور حول الخلق والبعث واصل العالم.

وهكذا، وفي أول الامر يقبل الطفل ما يلقى عليه من اجابات ثم بتقدمه في العمر يعيد النظر فيها وفي بداية مرحلة المراهقة ومع طفرة النمو المشاهدة يحدث تغيير وتطور في الشعور الديني و ذلكبإعادة تقييم القيم الدينية لديه، و يميل الى الجدل ومحاورة الاخرين في القيم الدينية التي تعلمها في مرحلة الطفولة وعند بلوغه سن السادسة عشرة تقريبا يتمسك بالمبادئ ويعتز بدينه اعتزازاً كبيراً وتعرف

هذه الفترة بفترة اليقظة الدينية[1]، وقد يشاهد بعد ذلك ازدواج في الشعور الديني،فيظهر عنده مركب مزدوج يحوي عناصر متناقضة مثل حب الله والخوف منه والإيمان بالموت وكراهيته.

كما يشاهد في مرحلة المراهقة الحماس الديني الذي يصل إلى درجة التطرف والذي يحل محل الاتجاه الديني التقليدي، والتحمس المصحوب بالتحرر من البدع وقد يصاحب هذا نقد لاذع، وهناك الاندفاع إلى النشاط الخارجي والاجتماعي والديني والانضمام إلى الجماعات الدينية لإقامة دعائم الفضيلة في المجتمع وتحطيم أماكن اللهو والفساد ومهاجمة الإباحية والاختلاط ؛ و قد يعتري المراهق بعض الانطوائية فيبالغ في العزلة و مظاهر التصوف الموغلة في الرهبانية[2]...

ومن الملاحظ ان هذه المراحل متداخلة وليست هنالك حدود فاصلة بينها شأنها في ذلك شأن مراحل النمو بشكل عام.[3]

هذا أهم ما في المقاربة الأولى، والتي جعلت مراحل النمو الديني أربعة، أما المقاربة التصنيفيةالثانية، فقداختزلت هذه المراحل في ثلاثةمحطات:

1- مرحلة التصورالأسطوري: وهوقريب من المرحلة الخيالية في التصنيف السابق، بحيث تسود لدى الطفل الأفكار الخيالية و المعتقدات الوهمية، و يغلب على تصوراته صورة الأسطورة .

---

(1) انظر كتاب حامد زهران: علم نفس النمو القاهرة عالم الكتب 1999.

(2) وفيق صفوت مختار: سيكولوجية النمو و الارتقاء في المراهقة، دار حرف للنشر و التوزيع.

(3) بتصرف عن : مقال :التربيةالاجتماعية والدينية في رياض الأطفال، د. عبد القادر شريف، بالمرجع الإلكتروني للمعلوميات بتاريخ 19/ 5/ 2017.ص206-208

2-المرحلة الواقعية: و في هذه المرحلة يبتعد الطفل عن الخيالات، و قد يعتقد في التأويلات التي تعتمد الظواهر الطبيعية، و هذا قريب من مرحلة التقليد و يستبق مرحلة الإدراك حسب التصنيف الأول .

المرحلة الفردية: و هي تلامس ملامح مرحلتي الإدراك و الجدل السابقتين، حيث يختار الطفل العناصر التي ترضي حاجاته و دوافعه من خلال ممارساته الدينية.

أما المقاربة الثالثة وهي مقاربة تختلف عن المقاربات السابقة بتطرقهالمرحلة المراهقة،حيث قام هارس HARIS بدراسة تطور الشعور الدينى لدى الأطفال والمراهقين ووجد أنه يمر بثلاث مراحل:

1. مرحلة التصور الخيالي للمفهومات الدينية: وهذه تتكون فيما بين سن (3-6 سنوات) فالطفل في هذه المرحلة يتصور الإله بصورة خيالية لا صلة لها بالواقع، وهنا يتفق مع المقاربتين السابقتين.
2. المرحلةالواقعية:وتبدأ منذ ذهاب الطفل إلى المدرسة حتى بداية فترة المراهقة، ففكرة الطفل في هذه المرحلة عن الآلهة، أو عن الملائكة، أو الجنة، أو النار فكرة مشتقة من الواقع الملموس، ولكن بصورة أكثر تضخماً، فهو يتصور الإله رجلاً ضخماً تبدو فيه القوة الخارقة ويتصف بصفات جسمية جميلة ويتصور الجنة على أنها حديقة من الحدائق الجميلة، وهذه المرحلة أقرب إلى المرحلتين الأوليتين في المقاربتين السابقتين .
3. المرحلة الفردية:وتبدأ من فترة المراهقة، فالمفاهيم الدينية تبدو في نظر الكثيرين متغيرة، وتبدو فكرة الجنة والنار والملائكة والشياطين متنوعة كذلك ...

مهما كانت التصنيفات لأهم المراحل العمرية في علاقتها بنمو الشعور الديني لدى التلميذ، فالأهم هو أن يعطى الطفل منذ البداية المفاهيم الصحيحة

بقدر الإمكان عن هذه الأشياء حتى لا تبدو في ذهنه بصورة قد لا تلائم العقيدة أو الإيمان الصحيح.

بعد الوقوف على أهم مراحل النمو الديني لدى الطفل، و بعد تتبع معطيات أهم العقائد الإسلامية الصحيحة، و مكانة علم الكلام بين العلوم المقاربة للعلوم المعرفة لعلمالتوحيد، يصل البحث إلى مداه العملي، و هو الوقوف على طبيعة الدرس العقدي، و هل يغلب عليه الجانب الديداكتيكي أو البيداغوجي؟ ...

الفصل الرابع

الدرس العقدي بين الديداكتيكي والبيداغوجي

الفصل الرابع

الدرس العقدي بين الديداكتيكي والبيداغوجي

إن تدريس علم التوحيد كما مر بنا يحتل مكانة محتشمة في المنهاج، من خلال بعض المداخل في مادة التربية الإسلامية، و من أهم خصائص هذه المادة ومميزاتها عن باقي المواد؛ أنها تستمد أسسها من القرءان والسنة والسيرة النبوية عموما،فهي تخاطب قلوب و نفوس المتعلمين وتثير عندهم العاطفة الدينية، كما ترغبهم في التعلم.

فالقرءان والسنة تعتبران فوق مصادر المعرفة، لأنها نصوص قدسية غير بشرية، ومن غير اللائق إخضاعها للتحليل والمعالجة الديداكتيكية لتأطير مكونات ومضامين أي مادة تعليمية.

و تبقى العلوم العارفة في مادة التربية الإسلامية و من خلالها المعارف العالمة لعلم التوحيدهي مجموع المصادر ز المراجع فيالمستويات المتقدمة زمنا و علما و التي استمدها العلماء المبرزون مباشرة من القرءان والسنة، ونعني بها أساساالعقائد السنية التي قدمنا لها في البداية، و من خلالها المواضيع و المباحث المتعلقة، دون إغفال علم الكلام كرافد مستفز للمقاربة بالكفايات و التي تعتمد بالأساس على الوضعيات – مسألة لاستثارة روح البحث لدى المتعلم ..

إن النقل الديداكتيكي في أي علم شيء بالغ الخطورة وخصوصا إذا تعلق الأمر بعلم التوحيد، لأن التوحيد يحدد مصير الإنسان في الدنيا إما مسلما أو كافرا، وغدا يوم القيامة إما إلى الجنة أو إلى النار، لذلك وجب التمحيص والتدقيق سواء في طريقة تناول النصوص ونقلهاللمتعلمين، أو في فهم وتبسيط معاني هذه النصوص للتلاميذ.فالمطلب الديداكتيكي الملح هو العمل على ضبط المواضيع والمفاهيم المراد تدريسها، وعلى اختيارها وانتقائها، وهذا يتطلب وعيا تاما بتمحيص خصائص المضامين المناسبة لتعلم التوحيد والاستراتيجياتالملائمة لإيصال هذه المضامين.

المبحث الأول

تعلم التوحيد بين الاستراتيجيات والمضامين المناسبة

لا بد في البداية منتجريد المعرفة الخاصة بعلم التوحيد ونزع الرواسب الذاتيةوالشوائب المضللة عند تقديم دروس العقائد، وتجريدالموضوع المدروس من الأخطاء التي وقع فيها الغير، وتجنب التعامل مع الإشكالات العقدية، انطلاقا من أقوال الفرق الكلامية المضللة، والتعليلات الشخصية، ويجب في هذا المقام التعامل مع مفاهيم دروس العقيدة وفق التطور التاريخي، خصوصا عند الحديث عن الأدلة على وجود الله تعالى.فلا يكفي الإقبال على المصادر والمراجع من أجل تحديد المعرفة التي تعد للتدريس؛ بل يلزم أن تراعى في عمله مجموعة من الخصائص وفق معايير دقيقة، فهذا العمل لا يخضع للارتجال والعشوائية.والتلميذ داخل النظام التعليمي، يتميز بخصوصيات تطبع الفترة العمرية التي يمر بها ومنها مرحلة المراهقة. ودور الديداكتيك في هذه المحطة، توجيه المدرس إلى فهم المتعلم، والتواصل المستمر معه، فالتمثلات التي تكون لدى المراهق، تعبر عن صيغة من المعارف الداخلية التي يعمل المتعلم على تشغيلها ضمن وضعية معينة، وهنا يبرز عمل المدرس، حيث يركز بالأساسعلى فهم تمثلات المتعلمين، وخصوصا عند دروس العقائد، حيث تتمظهر هذه التمثلات بصيغ مختلفة، ومن ذلك الوقوف على مصادر هذه التمثلات التي يحملها المتعلم والتي ترتبط بمستوى تطور ونمو شعوره الديني في علاقته مع نوع التمثلات.ومن هنا يصعب تقويم وتعديل هذه التمثلات،و استثمارها وتوظيفها في توجيه التعليم؛خوفا من طغيانها و طبيعتها المتناثرة والمبعثرة، فتخرج الدرس عن مساره الصحيح...

فقد تكون هذه التمثلاتخاطئة يجب تجنبها.، أو يمكن اعتبارها عوائق وإطار تفسيري للموضوع المطروح تساعد على الفهم والتحليل والاقتراب أكثر من أهداف الحصة التعليمية.

هـذا العـائق الجـوهري يجعـل المـتعلم يحكـم علـى الأشـياء، انطلاقـا مـن الإحساس، وغالبا ما يكون الإحساس بجوهر الشيء فرديا، وصادرا عن انطباعات ذاتية وشخصية، والاعتقاد بصدقية هذا الإحساس؛ إنما يقـف حجـرة عثـرة أمـام الفهم الصحيح، لأن استقاء المعرفة اليقينية إنما يكون من الـوحي أولا ثـم العقـل ثانيا، فالإحساس ثالثا وأخيرا...

لكل ذلك وجب تبني استراتيجيات وطرقمتنوعة لتجاوز هذا العائق، ومـن أهمها:

*الطريقة الاستنباطية: وتعتمد أساسا على الانتقال من العام إلى الخاص، ومن الكل إلىالجزء، وفق قواعد علمية يجب التقيد بها بكـل دقـة، وأهـم هـذه القواعدتجنب التسـرع والأحكـام المسـبقة، وعـدم اسـتنتاج النتـائج إلا إذا كانتواضحة وضوحا يدل على حقيقتها، وعدم تعارضها مـع فكـرة مجـاورة لها.ويتم إنجاز الدرس وفق هذه الطريقة، تبعـا لعلاقـة التفاعـل الـذي يـتم بينالمدرس والمتعلم.

* الطريقـة الاسـتقرائية: مـنهج يعتمـد علـى الانطـلاق مـن الأجـزاء، فيتبـع الأحداث والظواهر المتشتتة، محاولا جمـع مـا تـألف منهـا حتـى ينتهـي إلى خصائص مشتركة، فيقرر حكما عامـا مـا، أو قضـية موحـدة.فهـي طريقـة تعتمد على الانطلاق من الجزء إلى الكل، من أجل الوصول إلى حكم عام.

* الطريقة البنائية: تمكن هذه الطريقة المتعلم من اكتساب معارف وأفكـار مـن خلال سيرورات بانية، تسمح للمتعلم من ممارسة التفكير كفعاليـة نظريـة، وعملية في نفس الوقت، وتعتمد هذه الطريقة علـى منهجيـة محـددة تتبنـى تسلسـلا تدريجيابـدءا مـن نشـوء المشـكلة، وهيمسـألة تـرتبط ديـداكتيكيا، بالأهداف المسطرة في الدرس. بعد نشوء المشكلة، لابد من وضع فرضـيات لحل المسألة و بعد تمحيصها علميا.و الوقوف على أصلحهاو حصـر المجـال والشروط التي تنطبق عليها تفسيراتها والقوانينالمتوصـل إليهـا.حتـى يمكـن

تعميمها ن و هذه الطريقة البنائية أقرب الطـرق الـتي تسـتجيب و أهـداف المقاربة بالكفايات .

و هذا لا يعني بأن الوضعيات الديداكتيكية يجب أن تمر عبر طريقة واحـدة، على أساس أن الطريقة تفرض نفسها حسب اللحظة، و أن المتعلمين لا يحصـلون على الأنشطة والمعارف بنفس الوتيرة، و لذلك فإن المدرس الـذي ينـوع في طـرق تدريسه هو الـذي يعمـل علـى تنويـع الوسـائل الديداكتيكية؛وتكتسـي الوسـائل الديداكتيكية الحديثة أهمية بالغة باعتبارها عنصرا من عناصر النسق الديداكتيكي، وينبني توظيفها في تدريس التوحيد على أمرين:

الأمر الأول يقتضي إعداد المتعلم ومساعدته علـى اكتشـاف مجموعـة مـن القضايا والمفاهيم العقدية. أما الأمر الثاني فيروم توظيـف الوسـائل الديداكتيكيـة كإطار تطبيقي يمكن المدرس من الوقوف على مدى استيعاب وفهمالمتعلمين لهـذه القضايا والمفاهيم الإيمانية.

والوسائل الديداكتيكية التي يمكن توظيفها في تنظيم الوضعيات الديداكتيكية في تعلم التوحيد قد تكون وسائلمادية وقـد تكـون لفظيـة، فالماديـة تتجسـد فيمـا يسمى بالوسائل السمعية – البصرية، حتى تساير العملية التربويـةالتطور والتقـدم في وسائل الاتصال والإعلام. و تتجلى أهميتها في تسميع النصوص القرآنية قصد إتقان قراءتها قراءة سليمة تساعد على فهم النص، وتحليله وتوظيفه في بناء المعرفة الخاصة بموضوع العقيدة.

ويمكن للمدرس أن يستعمل كذلك أشرطة الفيديو و الأقـراص المضـغوطة على الحاسوب،بهدف نقل الواقع العقدي المعيش للتلميذ إلى داخل الفصل بحيـث يعايش المتعلم واقعه داخل الفصل؛ و يحس كأنه يمارس الحياة بصفة عادية:.

أماالوسائل اللفظية، فتتجلى أساسا في الكتاب المدرسي الذي يطغـى علـى سائر الوسائل الأخرى.لكونه وسيلة من وسائل التعلم الواضحة، و الـتي يكتسـي

طابعا جديدا في تنظيم المعارف وترتيبها والعمل على تقريبها من المتعلم، انطلاقامن النصوص، ومرورا بعدة أنشطة تعليمية، ووصولا إلى بناء المعرفة.

و في الغالب يعتمد الكتاب المدرسي نظرية الديداكتيك التي تتطور فيها المعرفة وتتجدد دائما، وتسعى لصياغة مجموعة من المقترحات والاستراتيجيات البيداغوجية المتعلقة بتعليم المادة.

إلا أن تناول علم التوحيد يشكو من نقص إلم نقل غياب هذا المعطى، خصوصا على مستوى النقل الديداكتيكي، لأن الكتاب المقرر و خصوصا في التعليم العتيق،لا يمكِّن الأستاذ من الانتقال بالمادة المعرفية العالمة، إلى معرفة عقدية مكتسبة لدى التلميذ، أكثر دقة.

كما يثير موضوع التقويم جدلا واسعا على مستوى تدريس المواد التعليمية، فهو يشمل كافة مكونات العملية التعليمية بدءا بحاجات التلميذ، ومرورا بالغايات والأهداف العامة والأهداف النوعية، وانتهاء بمهام القياس.فالتقويم يوفر تغذية راجعة مستمرة للأهداف ونظام التعليم، فهو بهذا المعنى قياس للنتائج المحصل عليها اعتمادا على أدوات، قد تكون بواسطة فرد أو مجموعة من الأفراد في وضعية التعلم و التقويم.

إن التقويم في علم التوحيد يعتمد أساسا على الملاحظة المنظمة لفهم مسائل العقيدة،و تجنب العشوائية والارتجال في إصدار الأحكام، لذلك فإن أنشطة التقويم تتحدد عبر توجهين؛ الأول، العمل على التحقق مما حصله التلاميذ واستوعبوه من أمور الغيب، والثاني، اعتبار التقويم وسيلة مساعدة للتعلم، قصد المحافظة على البعد التكويني للتقويم.

ويقتضي الاشتغال الديداكتيكي، بالإضافة إلى تنظيم المحتويات الخاصة بالدروس استنادا إلى الأهداف المحددة تنظيم آليات التقويم، الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في تقنيات التقويم، وبأيأدوات سنقوم عمل التلميذ؟ وكيف سنقومه؟ فالمراقبة المستمرة والتقويم يساويان النقطة الرقمية، وهذه المعادلة قد ثبت قصورها

لأنها تعبر عن فهم جزئي لعملية المراقبة المستمرة، حيث تترك عملية التقويم للاجتهاد الشخصي للأستاذ.هذا الأخير يختارطبيعة السؤال، و يحددمعايير الإتقان، والكفاءات المستهدفة التي تمثل المعارف والمهارات المكتسبة، وأيضا الحد الأدنى للإنجاز الذي يساوي متوسط معايير الإتقان، وتوسط الكفاءات المستهدفة، وكذلك الأخطاء، وعوامل الإخفاق، والحلول والتعديلات.

إن البحث عن الحد الأدنى الأساسي من تعرف علم التوحيد هو الحد الأدنى الأساسي التي تفرضه مقومات التوحيد و المرتبط أساسا بكلياته، دون الخوض في القضايا التي حصل فيها الجدال، والتي تبقى من اهتمامات علماء الكلام المتقدمين و الفلاسفةالجدليين المتأخرين،و لكن لا بد من تدريب المتعلم على التفكير في هذه الكليات، والمشاكل التي تستهدفها لتكون نموذجا،ووسيلة لاقتحام عقبات التفكير و العمل في الحياة[1] ؛ وذلك من أجل أن يُحقِّق التلميذ قيم العقيدة الصحيحة في نفسه وأسرته ومجتمعه، و يكونَ ذلك حافزاً لسلوكه، بتحقيق قيم تديُّنه.

بعد تتبع استراتيجيات التعلم التي تساير الدرس العقدي، ما هي أهم مباحث ومضامين هذا الدرس؟

---

(1) بتصرف كبير عن كتاب "ديداكتيك التربية الإسلامية من الابستيمولوجي إلى البيداغوجي" تأليف: أحمد العمراوي وخالد البقالي.

المبحث الثاني

مضامين الدرس العقدي

تدور مواضيع علم التوحيد حول حقيقة الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يجب له تعالى من صفات الجلال والكمال، مع إفراده وحده بالعبادة دون شريك، والإيمان بالملائكة الأبرار والرسل الأطهار، وما يتعلق باليوم الآخر والقضاء والقدر.

ويمكن حصر مباحث علم التوحيد في ثلاثة محاور:

1-ذات الله وما يتصف به تعالى... وما يتنزه عنه... وحقه على عباده....

2- الرسل الكرام والأنبياء وما يلزم ويجب عليهم...وما يجوز وما يستحيل في حقهم...وما يجب على أتباعهم.

3- الإيمان بالغيب: وهو ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقل في إثباتها أو نفيها كأشراط الساعة وتفاصيل البعث ...فمتى ما صح النقل عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فإن الواجب اعتقاد ذلك والإقرار به، ودفع كل تعارض موهوم بين شرع الله وهو الوحي وبين خلقه وهو العقل،... والقاعدة الذهبية هو أنه لا يتعارض وحي صحيح مع عقل صريح عند التحقيق.

ومن موضوعات علم التوحيد أيضا الإيمان بالقدر، و الرد في ذلك على أهل الأهواء والبدع وسائر الملل والنحل الضالة، والموقف منهم ...

والإيمان بكل ما سبق يجب على كلمسلم، ولكن تأكيده بالقول وتبليغه بالكلام طرح ويطرح إشكالات لا يسعها الاجتهاد، لأن النسبي المحدود من الكلام لا يمكنه أن يحيط وصفا وعلما بالمطلق غير المحدود. ومن هنا كان التوقيف في مجال التعبير العقدي في الإسلام.وأضحى من الواجب اختيار المضامين واختيار طريقة تبليغها بحسب مراحل النمو الديني للتلاميذ.

جميع هذه العوامل أدت عند تدريس مادة علم التوحيد أن يختلط ما هو بيداغوجي وما هو ديداكتيكي. ودفع بالمهتمين بتدريس العقيدة إلى التفكير جليا في تخطيط التعلمات العقدية في مختلف المراحل العمرية، و المستويات الدراسية .

المبحث الثالث

الدرس العقدي في المراحل الدراسية

كان الدرس العقدي كما رأينا في بدايته، يقوم به المعلم الأول صلى الله عليه وسلمو الصحابة يتلقون ذلك بالتسليم و التفويض دون الخوض في المسائل الكلامية الخلافية. هذه الأخيرة تركزت بالأساس حول الكفر والإيمان والقدر والإمامة؛ لكن الانشقاق الواضح، الذي دشن للسجال الكلامي؛ كان يدور حول الصفات.

أما الدرس العقديالنظامي؛ قد بدأ في الظهور من منتصف القرن الرابع، وبلغ تمامه في القرن الخامس، واستمر من ساعتها لقرون، مع تنوعات منهجية مختلفة. حتى وصل وقد فقد بريقه في المدرسة الحديثة، وأصبح تدريس علم التوحيد يظهر بشكل مفاجئ لكل التوقعات التربوية.

والدرسالعقدي وتعلم التوحيد والإيمان بالله يقوم على ركنين: ركن هدمي في الشطر الأوللكلمة التوحيد " لا إلاه.."الذي يفيد النفي المطلق وركن بنائي "إلا الله "، وهو الشطر الثاني المثبت للتوحيد، مع الانتظام في ترتيب معين، صالح للنقل، والتعليم، بمناهج مختلفة، وفق المدارس الاعتقادية المختلفة. لأن العقيدة الإسلامية حياة يومية للمؤمن لا تعتمد على نص كلامي أو فلسفي، لكن تستمد مقوماتها من آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، و تمامها التوحيد،والإيمان بما أمر الل به كله، وتصديقه، والعمل بتوجيهاته.

و قد مر الدرس العقدي كما مر بنا بمراحل حتى تبلور في صوره الأخيرة في المؤسسات التعليمية.

المطلب الأول: خصائص الدرس العقدي في التعليم الأولي

هذه المرحلة لها تسميات متعددة فنجد مثلا التعليم الأولي و تعرف بمرحلة الروضة في المشرق أو روض الأطفال في البلدان التي تتبع المناهج الفرنسي في التعليم؛و تسمى كذلك برياض الأطفال و هي المرحلة الدراسية التي تبتدئ في التعليم الحديث المعاصر في سن الثالثة، و يطلق عليها ما قبل المدرسي إشارة إلى أن المدرسة تكون مع السنة الأولى من التعليم الابتدائي، و الصواب أن الروض من المدرسي، لأن التربية والتعليم داخل فصل أو قسم مع مجموعة من الأطفال في نفس المستوى ووفق مناهج و برامج دراسية محددة الأهداف مسبقا، ومؤطرة بمربيين ومدرسين و إداريين، يجعل من الروض مدرسة تربوية تعليمية مستقلة.

والبرنامج اليومي في رياض الأطفال يتكون من مكونات ثابتة وهي : الحلقة- اللعب الحر بالخارج الوجبة - العمل الحر داخل الاركان - اللقاء الاخير.

وغرفة التعلم في الروضة تقسم إلى سبعة أركان تعليمية أساسية وهي:ركن التعبير الفني.- ركن الألعاب الإدراكية أي الرياضيات - ركن البحث والاكتشاف أي العلوم - ركن المنزل أي للعب الإيهامي.- ركن المكعبات البناء والهدم. - ركن المطالعة المكتبة - ركن اللغة.

كما يوجد في بعض غرف التعليم ببعض رياض الأطفال في بعض الدول الغربية ركنللعبادة.

ويشمل المنهج الدراسي عدة مجالات ويعمل المجالالبدنيّ على تطوير الحركات الأساسيّة، ويروم ذلك تطوير الشعور بالتواجد في الحيّز، وتطوير الإحساسب الوقت، وتنمية وضَبط القوة، وتطوير سير الحركة .فتنمي كلّ عمليّة من هذه العمليّات القدرة المستقبليّة على الحركة . كما يتناول المنهج موضوعَي التعبير الجسدي والعناية بالصحة.

والطفل هذه المرحلة بين سن الثالثة والسادسة يكتشف عالما جديدا في المدرسة، فهو في أوج أطوار نموه الجسدي والنفسي والعقلي، ويجب أن يجد له مكانا بين أطفال من أسر مختلفة، وطباع غريبة يصعب عليه التأقلم معها في البداية، هذه العوامل تؤثر على تعلماته المختلفة، كما أن تطور أجهزته المختلفة ينعكس على تعلماته العقدية والإيمانية، فما هي أهم خصائص نمو أجهزة طفل الروض وأثرها في الدرس العقدي؟

مرحلة الروض تتأثر بالخصائص البيولوجية والنفسية لما قبل سن الثالثة، ففترة الثانية والنصف فترة هامة في نمو الجهاز العصبي للصغير، يحاول خلالها التنسيق بين رغباته المتعارضة، ولقلة خبراته يتأرجح بين القبول والرفض، وبين الصراخ والسكون ...

إن هذه التعبيرات لا تشير إلى أن الطفل عنيد، وإنما ترجع إلى أن تنظيم الخلايا العصبية التي تحكم عملية المنع ما زالت غير مكتملة النضج.

كما يتصف الطفل في هذا العمر وإلى سن الثالثة بميله إلى التباطؤ عند الانتقال من عمل إلى آخر، وميل إلى التلكؤ في الانتقال من نشاط إلى آخر، وتفسر هذه الخاصية أيضاً بعدم اكتمال نضج جهازه العصبي.

فالعمل على ممارسة الطفل للعمل ونقيضه تكسبه خبرة في الأداء تؤهله فيما بعد للاختيار والتوازن. وفي هذا السن ينمو نشاط الطفل ومهاراته الحركية عموما.

كما يستطيع التحكم في بعض عضلاته الدقيقة مثل عضلات الحبلين الصوتيين، وتنمو قدراته الصوتية ويستطيع نطق أكثر من ألف كلمة.

كما أنَّ المخ عند البنت ينضج أكثر من الولد خاصَّة فيما يتعلق بتمركز وظيفة الكلام في الجانب المسيطر على هذه الوظيفة، ذلك أنَّ النضج اللحائي في هذه الحالة يساعد على الإسراع في إخراج الأصوات.

ونفس الملاحظة بالنسبة للدورة الدموية ودقات القلب التي قد تصل عند الراحة إلى 110 نبضة في الدقيقة.

وأما بالنسبة للنمو الديني- وكما مر بنا - فالطفل في هذه المرحلة يسعي من خلال تساؤلاته توسيع دائرة معلوماته عن الغيب. فيقوم بطرح الاسئلة حول الله تعالي بحدود السنة الخامسة من العمر ويشعر بالحيرة جراء عدم قدرته رؤية الله تعالي وفي نفس الوقت يبرز تمسكه وتعلقه بالله تعالي. كما يتصور الله والملائكة والشياطين بصورة خيالية لا صلة لها بالحقيقة، يؤلفها خياله الخصب من عناصر استمدها من واقعه الحسي؛ فقد يتصور الملك صورة جميلة، ويتمثل الشيطان مارداً غليظاً تنفر منه الطباع، وقد يصوره حيواناً مفترساً مكشراً عن أنيابها، وغير ذلك من الصور التي تختلف باختلاف مشاعر الطفل نحو الله. فهذه المرحلة يغلب عليها الجانب الحسي والخيالي على الشعور الديني لدى الطفل قبل مرحلة التقليد..

فعلى المربي أن يأخذ هذه العوامل والمتغيرات في اختيار مضامين الدرس العقدي، وهذا ليس أمرا تطوعيا بل واجب ديني وتربوي، لأن للطفل حقوقًا تربوية كثيرة وآكد هذه الحقوق الحق في التربية العقدية، وهي من أهم حقوق الطفل التي أقرها الإسلام وعمل على توفيرها بصورة تكاملية وشمولية.

إن مسؤولية التربية العقدية يقع أصالة على الأسرة أولا قبل المربية في الروض، وذلك لأن الأطفال في هذه المرحلة العمرية أمانة في أعناق آبائهم، فهم يولدون على الفطرة، وآباؤهم هم الذين يشكلون عقيدتهم و توحيدهم لله في البداية ثم في الروض، بالتدريج والتبسيط مع استغلال كل فرصة سانحة للتحدث مع الطفل و توجيهه إيمانيا، هذا مع العمل على تطوير مستوى استيعابه للغيبيات و تغيير رقيق لتمثلاته المتحولة بالمقاربات الحسية التي تدل على الله تعالى وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي منه جانب العقيدة، وبوسائل وأساليب تساعد على البناء العقائدي السليم لديه، و ذلك عبر خطوات رصينة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

* تكوين الرغبة في الاعتقاد السليم أولا؛ لأن من لا يرغب في الاعتقاد، لا يعتقد ولو ذكرت له ما ذكرت والطفل في هذه المرحلة يحب تقريب الغيبيات إلى المحسوسات التي تؤطر خياله، ولذلك يستحسن أن يقوم المربي أو المربية ب:

*توجيه أنظار وعقول الأطفال للتأمل في الكون والإيمان بوجود الله، وعظمته. فيفهم الطفل ويزيد اقتناعه بما يسمع ويولد عنده الحافز للتطبيق أكثر من التلقين المبهم.

* وتعداد النعم المحسوسة التي يتمتع بها الإنسان، وإثارة عقله ووجدانه فيها، وحين ذلك يظهر الطفل الرغبة في الاعتقاد بالله خالق هذه النعم.

* وتكوين عاطفة الحب والخشية من الله، ببيان حاجة الطفل الدائمة إلى الله تعالى وتحبيبه له، وذكر الجنة والنار وبيان مضار المعاصي وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة..

و لا يستقيم كل ذلك إلا بالتدريب والتعويد والتكرار نحو العاطفة الدينية و الشعور الإيماني، وذلك لأن الطفل في هذه المرحلة العمرية بحاجة إلى التكرار؛ حتى ترسخ الحقيقة في بنيته العقلية وتصبح صفة راسخة تصدر عنها الأفعال والأقوال بسهولة ويسر، ذلك أن الطفل في هذه المرحلة لا يستطيع أن يميز بين الصح و الخطأ و بين الخبيث و الطيب، وبالتالي ليس عنده من البعد العقلي ما يمكنه أن يتزود من المربي بالمعرفة والإيمان الجاف ويتطلب ذلك أن ترعاه المربية وتزوده بالمعارف والمعلومات البسيطة و المحسوسة، ليكون له عدة في سنواته القابلة، وتغرس في نفسه أسس البناء العقائدي المتمثلة في تلقينه كلمة التوحيد و ترسيخ حب الله و حب الرسول ﷺ في قلبه و كذلك الحرص على تعليمه القرآن الكريم.

فلا يركز في هذه المرحلة على كثرة المعلومات الغيبية المعقدة، ويكتفي بالسور ذات الآيات المعدودة، والتي تحوي آيات التوحيد كسورة الإخلاص

والكافرون والمعوذتين ولا يطيل في ذلك فيجعل طفل الروض يمل وهو – كم رأينا – في هذه المرحلة كثير الحركة وسريع تغير المزاج.

هذا من حيث طول مضامين الدرس العقدي؛ أما من حيث المتغيرات الديداكتيكية التي تحكم تأطير المضمون المقدس فعلى المربية أن تركز بالأساس في هذه المرحلة على التفريق بين الغيبي والمحسوس، فمثلا لما يتصور الطفل الله بالرجل الطيب الجميل القادر على كل شيء، يوجهه بأن الله أجمل وأفضل، ويركز على صفة القدرة الالاهية لأن آثارها بارزة في الكون و فيماحوله.

ويعتمد المربي والمربية على وجه الخصوص على استراتيجيات تعلم مختلفة تركز بالأساس على التَّقليد والمحاكاة من الطفل لألفاظ ذكر الله تعالى من كلمة التوحيد عبر أناشيد وصور تبرز بالأساس مخلوقات الله الجميلة وعظمة قدرته في تدبير الكون، ثم يكون دعم إيجابي لما يصدر عن الأطفال من أقوال إيمانية وسلوكات خلقية إيجابية..

ولدى الطفل قدرة أوليَّة فطريَّة على تعلم مسائل الايمان، فعلى المربي استثمار هذه القدرات الفطرية وتنميتها بحفظ بعض السور القصيرة والأناشيد الإيمانية؛ ويعتمد المربي في تعليم النطق السليم لكلمة التوحيد مثلا أو السور القصيرة على طريقة القراءة التَّرْدِيدية، وهي القراءة التي يردد فيها المتعلمون خلف المعلم مقاطع الآيات التي يسمعونها منه بصوت واضح.

وفائدة هذه الطريقة، أنها تحفز المتعلمين الصغار، وتجعلهم يبتعدون على طرح كثير من الأسئلة حول الله و الغيب، و يساعد ذلك على ما يمكن تسميته بالإيمان الجماعي، لأن كثيرا من الأطفال في هذه المرحلة يعتقدون بأن الله ربهم وحدهم دون غيرهم، فمثل هذه الطرق البيداغوجية تهيئ طفل الروض لتعلم أنه يشترك مع أقرانه في نفس العقيدة .

لذلك كان من أهداف الروض تدريب الطفل على ترديد كلمة التوحيد، والسور القرآنية دون الخوض في المسائل العقدية التفصيلية، ويتعلم الطفل أن

الكلام الذي يحفظه هو كلام مقدس، وأن الله تعالى يعطي الأجر لمن يقرأه ويحفظه، فترسخ في ذهن الطفل وقلبه صورة جميلة وعظيمة لكلام المولى الذي أنزله...

كما أن العمل على تحبيب الطفل في الخير وكراهة الشر وأن الله يحب من يقوم بأعمال الخير، كالإحسان إلى الفقير ومساعدة الضعيف، وعدم إيذاء الآخرين بدءا بأصدقائه، يجعل اهتمامه العقدي يترك الخيال للوقوف على الجميل من المحسوس، كما أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و ما فيها من أحداث تنمي و تربي خيال الطفل و يزيد في إيمانه بنبيه وحبه و الاقتداء به، فكلما قام بفعل جميل يحفزه المربي بأن ذلك العمل كعمل سيدنا محمد عليه الصلاة السلام.

و الخلاصة أن الدرس العقدي في الروض من الأنشطة الضرورية، و لذلك نجد في كثير من أقسام الروض في البلدان المتقدمة ركن العبادة، و الذي لا نجده مع الأسف في البلدان العربية و الإسلامية فتعليم وتعلم التوحيد في هذه المرحلة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار خصائص الطفل و تطور قدراته العقلية والحسية الحركية والخلقية و خصوصا الدينية، كما يجب التركيز على تعلم العقيدة الصحيحة في أبهى صورها، و العمل على تشجيع حفظ كلام الله و تقديسه و حب مُنزله، و عدم الوقوف على مسائل التوحيد التفصيلية، وكذا عدم تكليف الأطفال ما لا يطيق من الاستدلالات الفارغة..

ولتأطير هذه التعلمات العقدية لابد من وضعها في مراحلها الديداكتيكية بحسب نمو قدرات الطفل المختلفة و خصوصا النمو الديني:

* تدبير الأنشطة العقدية في الروض

المرحلة الديداكتيكية	التعلمات	تدخلات التلميذ	تدخلات المدرس
1	- حب الله بنعمه.. - تعلم سورة الإخلاص..	- ترديد كلمة التوحيد - ترديد سورة الإخلاص آية- آية.. - القراءة مع المربية ومع جماعة القسم	- التحفيز على تعلم القرءان. - القراءة بمهل للآيات لعدة مرات. -تثبيت مظاهر حب الله.
2	- تقديس كلام الله.. -حب الخير وكره الشر من حب الله.. تعلم المعوذتين..	- تكريم المصحف وحمله والقراءة فيه بأدب. - حفظ سورة الناس واستظهار سورة الإخلاص. -حفظ سورة الفلق ..	- الترغيب في القرآن والاعتناء بالمصحف. التلقين والتصحيح الجماعي والفردي. -تحفيز التلاميذ وتشجيعهم على القراءة والحفظ.
3	- تعظيم الله بصفاته الحسنى.. - تعلم سورة الفاتحة.. - حب الرسول صلى الله عليه و سلم بسيرته وخلقه.	- ترديد صفات الكمال والجلال، مع أمثلة محسوسة -حفظ سورة الفاتحة واستظهار المعوذات.. - تذكر بعض مواقفه صلى الله عليه وسلم ..	- ذكر كل صفة وموصوفها وآثارها في حياة ومحيط الطفل. -التلقين والتصحيح الفردي. -رواية الحكاية الخيالية التي تقرب من حياته صلى الله عليه وسلم.

قبل الحديث عن هذه الأنشطة لابد للمربية أن تستوعب ملامح الشعور الديني لدى الطفل، وتتعرف على تطورها لتعمل على تطويرها في التشبع بالعقيدة الصحيحة.فطفل الثلاث سنوات كما رأينا لديه شعور ديني فطري .وتثيرالأمور الغيبية اهتمامه فيكثر من الاسئلة الدينية حول صفات الله والخلق والبعث والجنة والنار.ويتقبل ما يقدم إليه من إجابات.ويعتقد أن دعواته ستجاب فورا.

ويكتسب العبادة وآداب السلوك عن طريق ملاحظته للآخرين.كما يقوم بأداء الصلاة من قبيل التقليد دون إدراك لما يقوم به من حركات.كما يمكنه أن يردد أربعا من السور القصيرة دون فهم لمعناها.وقد يصغي للقصص الدينية القصيرة.

وعندما يبلغ الطفل الرابعة من عمره، يقوى لديه حب الاستطلاع في الأمور الدينية فيكثر من الأسئلة عن صفات الله، وخلق الكون والموت والأنبياء ويقتنع بما يقدم إليه من إجابات ويضفي على المفاهيم الغيبية وجودا ملموسا. ويستطيع أن يحفظ سور قصيرة أكثر دون فهم لمعناها. كما يستمتع بسماع القصص الدينية ولا يستطيع أن يقوم بأركان الصلاة كاملة.

في السنة الخامسة من عمره، يستمر الطفل في توجيه الأسئلة الدينية .ولا يناقش الإجابات ولا يجادل فيها إلا في مرحلة الطفولة المتأخرة.يفسر المفاهيم الغيبية تفسيرات حسية واقعية ملموسة. كما يستطيع أن يحفظ سورا أطول من السور السابقة دون فهم معناها.و تكون ممارسة العبادة تقليدا ومسايرة للمجتمع. يستطيع أن يؤدي الصلاة دون ارتباطه بمشاعر الخشوع و الورع[1].

إن الأنشطة العقدية في الروض تبدأ قبل دخول الأطفال إلى القسم، فعند الاستقبال عند باب المؤسسة، لابد من الترحيب بالأطفال و إظهار الاهتمام بهم، حتى يستوعبوا غياب آبائهم و حنان أمهاتهم على وجه الخصوص، فعلى المربية أن تقوم بهذه الاستمرارية الوجدانية، و لا يتحقق ذلك إلا بشرطين، الإخلاص لله في حب هؤلاء الأطفال، و استعمال كلمات طيبة، و هنا أول نشاط عقدي، لأن الكلمة الطيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء كما أخبر سبحانه و تعالى، و لو خص هذا المعنى بكلمة الوحيد، فكل كلمة طيبة تدخل في ذلك، و تحية الإسلام " السلام عليكم و رحمة الله و بركاته " تكون كالبلسم للأطفال فيتعوذون عليها، و تذكرهم المربية برد التحية و بالأجر الذي يأخذه من يرد بمثلها أو أحسن منها، و

(1) aluloomkg.wordpress.com

قد تطلب من الأطفال أن يرددوا ذلك جماعة لزرع بعض الحماس و الشعور بالانتماء للجماعة .

بعد ذلك و أثناء الانتقال إلى القسم، تركز المربية على احترام الصف و اجتناب الازدحام و تجنب التدافع، ليصل الجميع بسلام ..مباشرة بعد الدخول إلى الحجرة الدراسية، يمكن للمربية أن تبدأ بحصة من تلاوة القرآن الكريم بصوتها أو بصوت طفل يجيد ذلك أو من تلاوة مسجلة فيها إحساس تلامس قلوب الأطفال الأبرياء .وتختار المربية السور المقررة وتحاول استظهار ما حفظه الأطفال، وترديد ذلك جماعة وفرادى.

و من بين الأنشطة العقدية التي يمكن أن تثير اهتمام الأطفال الحكي للقصص المشوقة،و التاريخ الإسلامي زاخر بمثل هذه الروايات و البطولات،و أحسن القصص قصص القرءان فهي قصص واقعية، و فيها من التشويق ما يجعل الطفل يؤمن بصدقها لأنها قريبة من خياله و محسوسة تلامس تصوره، فتؤكد المربية أنها من عند الله، و أن الله دائما ينصر الضعيف الصادق كما في قصة يوسف عليه السلام، فتكون مناسبة للإيمان بالرسل، الإيمان بالعاقبة الحسنى للمومنين الذين يحبون الله و يحبونه من عند الله. كما أن تحبيب الرسول صلى الله عليه و سلم من أحسن الطرق للإيمان به و استكمال شطر التوحيد و يرغب في ذلك الحديث عن سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم، و لا بأس بتتبع أهم أحداثها و تيسير استيعابها للأطفال بالصور المحسوسة، أو عبر الرسوم المتحركة، و تقف المربية لتذكر و تبني العقائد الصحيحة في كل مناسبة تراها مناسبة، فالوحي مثلا يشكل فرصة للحديث عن الإيمان بالملائكة و على رأسهم جبريل، و أنهم أطهار و لا يقومون إلا بأفعال الخير، و أن هناك ملكين لا نراهما أحدهما على اليمين يكتب ما نقومبه من الأعمال الصالحة، و ملك عن الشمال يسجل السيئات من الأعمال كعدم طاعة الآباء و الأمهات، و التعدي على الأصدقاء بالشتم و

الضرب، و قد تقوم المربية بوضع علامات النجاح بجانب أسماء التلاميذ الذين يطورون من سلوكهم على السبورة، فيتحفز الأطفال و يسهل تدبير القسم.

و في كل ركن من الأركان السبعة داخل الحجرة، لا بأس من القيام بالتوجيهات العقدية كلما لاحت فرصة لذلك، و يبقى تخصيص ركن للعبادة فرصة ذهبية لغرس العقيدة الصحيحة، و هذا الركن المحسوس لدى الطفل قد يكون فيه شكل محراب يذكر بالمسجد و بالصلاة، و تعمل المربية على زرع حب الصلاة و تعويد الأطفال على سماع الآذان والقيام به أو بعضه، و بإقامة الصلاة كما تيسر دون تدقيق، و أن يتعلم الأطفال أن يدعون من الله جميع ما يتمنون و يحبون.

ومن أبرز الأنشطة العقدية والتي قد تجيء عفوية هي الرد على أسئلة الأطفال عندما يسألون مثلا أين الله ولماذا لا نراه؟ فتجيب المربية بكل ثبات أن الله ربنا في السماء لا نراه لأنه لا أحد يستطيع أن يراه.. ولكن إن عبدنا الله وأطعناه وفعلنا الخير واجتنبنا الشر فإننا سنراه إن شاء الله في الجنة، فتعين الطفل على الإيمان باليوم الآخر، ويذهب اهتمامه إلى فعل الخير أكثر من التصورات والتخيلات الشاردة.

وتتجنب المربية في هذه المرحلة تخويف وترهيب الطفل من النار، بل ترغبه في الجنة والأعمال الصالحة التي تقرب إليها.حتىلا ينفر من الاعتقاد الصحيح، وتبقى صورهجميلة في تصوره.

بعد انتهاء الفترة الصباحية يحين وقت وجبة الغذاء، وغالبا ما يجتمع الأطفال في مطعم المدرسة، وهي فرصة للمربية المرافقة لتذكير الأطفال بآداب الطعام وغرس عقيدة التوحيد، وتوحيد الأسماء والصفات، فعندما يبدأ بالأكل وتذكره المربية بالبدء بسم الله ثم تسأله مثلا من أين لنا يأتينا الطعام؟ فقد يجيب تلقائيا بأن بابا هو الذي يأتي به، ثم تسأل و من أين؟..من السوق والسوق أتى به من أين هكذا حتى ينتهي به الطريق إلى أن الله هو الذي سخر كل ذلك و

وفرهلأنه هو الخالق الذي خلقنا و هو الذي يرزقنا، ويتعلمأن ذلك يستوجب الشكر فيحمد الله على هذه النعمة، و غيرها من النعم..

بعد وجبة الغذاء، في غالب الأحيان يقوم الأطفال بسنة حميدة في الإسلام، و هي القيلولة و هي مناسبة للمربية بأن تعلم الأطفال طريقة النوم النبوية الصحية، و ذلك بالاضطجاع على الشق الأيمن و وضع اليد اليمنى تحث الخد، و تردد معهم بعض أذكار النوم البسيطة التي تجعلهم يشعرون بالأمان و الطمأنينة و نعمة الراحة.

و بعد الانتهاء من جميع الأنشطة، و قبل مغادرة المؤسسة يستحسن من المربية أن تجمع الأطفال و تدعو لهم و معهم، و تستودعهم الله.

هذه بعض الأنشطة العقدية أو ما التي تلامس إيمان الأطفال و تساعدهم في تعزيز إيمانهم الفطري مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى..﴾ الآية 112 من سورة الأعراف، كما تسهم المربية في ترسيخ عقيدة الإسلام الصحيحة التي أشار إليها الحديث الشريف في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه .."[1]

و الأنشطة هاته في الروض قد تدخل في العادات اليومية لغياب المواد النظرية و المفاهيمية، و غياب مادة التربية الدينية أو الإسلامية، و هي المادة التي ستؤطر أكثر تعلم العقيدة و التوحيد في المراحل الدراسية القادمة.

بعد مرحلة الطفولة المبكرة، يزداد النمو الديني لدى طفل الابتدائي، ويكون التقليد السمة الأساسية لهذا النمو، وسيعمل أستاذ اللغة العربية الذي يدرس مادة

---

(1) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الحديث 1385 ج 2 ص100.

التربية الإسلامية على العمل على موازاة الاختيارات الديداكتيكية وخصائص المتعلم الدينية ...

المطلب الثاني: خصائص الدرس العقدي في المرحلة الابتدائية

المرحلة الابتدائية هي مرحلة تعليميةتتكون غالبا من خمس أو ست مستويات دراسية أساسية في كثير من الدول، والمرحلة التي تعقبها هي الإعدادية.

وهي مرحلة تعليمية عامة غايتها تربية الناشئ تربية شاملة لعقله وجسمه وخلقه، ويراعى فيها نموه وخصائص التطور الذي يمر به، وهي تشارك غيرها من المراحل في تحقيق الأهداف العامة من التربية والتعليم،وتمثل هذه المرحلة نقطة تحول اجتماعيهامة في حياة الطفل، إذ ينتقلإلى محيط المدرسة الجدي بمتطلبات جديدة، كما تفرض عليه سلوكاً واستجابات وعلاقاتمعينة، وأخذ وعطاء من نوع جديد فتتسع مجالاته الاجتماعية وتنمو علاقاته

ومن خصائص هذه المرحلة أن التلميذ ينفر من الجنس الآخر ويفضل التعامل معالأطفال من جنسه. وهو في البداية يهتم بمظهره ويميل للخير ومعاونة الضعفاء ولكن ليس حباً بالخير ولكنه وسيلة تمهد له الانتماء خاصة بين أصدقائه حيث يبحث لنفسه عن مكانته وأدوار يؤديها ليشبع حاجتهللانتماء.

وتزداد حاجة الطفل للاطلاع للتعرف على بيئته وكثيرا ما يسبب الضيقللكبار من كثرة سؤاله عن كثير من الأمور وخصوصا ما يتعلق بالإيمان والتوحيد، وفي هذه المرحلة يميل للعبالأشياء التي يمكنه تشكيلها كالصلصال والرمال واللعب الإيهامي مثل الاختباء وغيرها.

وكل هذه التحولات لا بد وأن يأخذها المدرس بعين الاعتبار جيداً ويخطط لتدبيرها فيتسطير البرامج والأنشطة المناسبة التي توائم متطلبات هذه المرحلة.

وفي هذه المرحلة الابتدائيةتشكل خصائص نمو الطفل عامة ونموه الديني خاصة، قاعدة ضرورية وأساسا لا محيد عنه لكل برمجة معقلنة على مستوى جميع

المـواد المدرسـة عمومـا ومادةالتربيـة الإسـلامية والـدرس العقـدي علـى وجـه الخصوص.

ودلت الدراسات النفسية والتربوية على أن أهم خصائص الطفـل في هـذه المرحلة - وهيمرحلة الطفولة المتأخرة – تتمثل في كونـه يصـير محبـا لذاتـه يـدور حولنفسه ويغلب عليهحب التملك والأثرة كما يميل إلى محاكـاة الآخـرين. ويظـل إحساسه بالمسئولية ضئيلا ومحدودا.

وفي هذه المرحلة يبقى تصـور للطفـل للسـلطة متأرجحـا بـين التقـدير لهـا والخوف منها، ويكون بحاجة ماسة إلى الحب والحنان والتقـدير، والشـعور بـالأمن وحب الانتماء، ويجب تشجيعه على أخذ الثقة بالنفس، وعلى قدرته علـى تحقيـق النجاح.كما تتميز هذه المرحلة باتسـاع قـدرات الطفلالعقليـة والمعرفيـة، وقابليتـه لتعلم المهارات المختلفة، كما يُلاحِظ زيادة حجم الجسم أو نقصه وسرعة نمـوه أو بطئه بالنسبة للعمر الزمني، ويـتعين علـى المـدرس أن يأخـذ بعـين الاعتبـار هـذه التطورات في تدخلاته التربوية المختلفة، فلا يتضايق من كثـرة حركـة الأطفـال في الفصل فنشاطهم الحركي زائد بحكم مرحلة النمو.

ويعتمد المعلم في تدخلاته التربويـة علـى تحفيـز حـواس الطفـل وتشـجيع الملاحظة والنشاط اللغوي والقراءة لديه باسـتعمال وسـائل ديداكتيكيـة متنوعـة، والعمل على تشجيعه على الكلام والتحدث والتأمل والـتفكير والتـدبر في آيـات الله الكونية، وهذا أهم مدخل للدرس العقدي.

ويتجنب المدرس مقارنة الطفل برفاقه على مسمع منـه حتـى لا يتولـد لديه الشعور بالنقص، فلا يركز في اختياره للرد على تساؤلات التلاميذ على فـرد أو اثنين، بل يعطي الفرصة لكل التلاميـذ، ويعمـل بـذلك علـى تحبيـب المـدرس وتوقيره وتقبل ما يمكن عرضه مـن الأمـور الغيبيـة، خصوصـا إذا كـان السـلوك والعمل يوافق القول...

و في السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية، بخلاف المرحلة السابقة لما كان الطفل يشعر بقصور والديه عن تلبية امانيه وحاجاته، يتوجه الطفل الى الله بالدعاء ليحقق له كل ما يطلبه، وبتقدمه في السن يدرك شيئا فشيئا ان دعواته و دعوات آبائه لا تجاب جميعا ولكنهم يدعون بحكم العادة التي تأصلت في نفوسهم؛ كما يدرك العلاقة بين الدعاء والعمل وأن الدعاء وسيلة لتغيير السلوك حتى يصبح مقبولاً مجاباً.

وفي سن العاشرة تقريبا ينمو اعتزاز الطفل بدينه على اساس وحدة المعتقد والثقة برب واحد والتوجه الى قبلة واحدة والاقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ابتغاء مرضاة الله، وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة الاجتماعية لان الطفل هنا يتأثر بالبيئة الاجتماعية فإذا كانت متدينة نشأ على ما تربى عليه. ولأن اداء الشعائرالدينية يأخذ شكلا اجتماعيا.

ويتميز نمو الطفل الديني في هذه المرحلة باتساع افاقه التصورية وخروجه من ذاته الضيقة فيعرف أن الله ليس ربه وحده، بل هو إله كل الناس وأن هناكأديانا اخرى، وتتسع لدى طفل في هذه المرحلة المفاهيم الدينية فيستوعبها أكثر، وينمو إدراكه الديني حيثيعرف بان الله موجود في كلمكان؛ وأن في الجنة ما يفرح النفس وأنه لا يدخلها إلا اصحاب السلوكيات الحسنة. وأن النار فيها عذاب شديد ويدخلها أصحاب السلوكيات السيئة.كما يؤمنبان الصلوات الخمس مفروضة.

والدرس العقدي في هذه المرحلة يستثمر بالتدريج جميع هذهالمكتسبات العقدية والمكاسب الإيمانية التي راكمها الطفل في الروض،ويعمل المدرس على تتبيث ذلك، مع تصحيح التصورات والتمثلات الخاطئة.

فإذا تكونت لدى الأطفال معرفة أولويات التوحيد، لابأسمنالوقوف على بعض مباحث التوحيد بالتفصيل، و يقتصر المدرس على شرح ما ورد في حديث جبريل لما سأل الرسول صلى الله عليه و سلم على الإسلام و عن أركان الإيمان

الستة وهي الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و عدم التركيز على مسائل القدر.

و تكون فرائض الإسلام الأقرب إلى اهتمامات الطفل،لحبه تقليد الكبار في الشعائر التعبدية، حيث تبرز لديه الرغبة في القيام بها،و في بداية هذه المرحلة في المدرسة يريد أن يظهر للجميع أنه يقوم بالعبادات كالكبار، فإذا وجد المحيط الدراسي مساعدا على ذلك اجتهد بأن يكون مثلا في الصفوف الأولى في الصلاة إذا كان هناك مسجد أو مكان لأداء الصلوات في المؤسسة التعليمية،و قد يردد الأدعية و الأذكار و يقوم بحركات الصلاة من ركوع و سجود دون فهم لمعاني العبارات و لا خشوع أو تدبر، لأنه يريد أن يجاري الكبار بما اكتسبه و لو عن طريق التلقين و التقليد، هذا لا يعني أن طفل هذه المرحلة لا يستوعب المفاهيم الغيبية البتة، بل يبدأ هنا في تلمس العلاقة بينه و بين الله وبين ذاته والعالم. كما يعرف الطفل أن الدين هو دين عائلته و دين كثير من الناس حوله، وأن هناك أناسا آخرين لهمأديان أخرى.

كما يزيد اعتقاد الطفل ببعض الغيبيات كالجنة والنار والحسنات والسيئات والصلواتالمفروضة. ويقبلذلك بدون تعقيد ويقترب أكثر من المنطق والعقل .

و يحرص على أداء ما يطلب منه دينيًا، ولما كان طفل هذه المرحلة – وبخاصة في فترتها الأخيرة – يعرف الخير والشر، والحرام والحلال،لا بد من التذكير بالجزاء الذي ينتظرالمحسنين في الآخرة من دخول الجنة و العيش في النعيم، و هذا يزيد الطفل إيمانا بالغيب و لا ينصح كثرة الترهيب بالعذاب في الآخرة حتى يكون الحب أساس الإيمان الأول،وللطفل في هذه المرحلة أسئلة كثيرة، حول الإيمان والعقائد، وكثيرًا ما تكون أسئلته محرجة للغاية، ولكنه لا يطلب ولا يقصد عمقًا. فعلى المدرس أن تكون إجاباته مقتضبة و مقنعة و آنية دون تردد، حتى تريح تفكيره البسيط، وترضي شغفه الشديد للمعرفة.

إن تعويد الطفل في هذه المرحلة على الصلاة الفردية والجماعية وتشجيعه على قراءةو حفظ القرآن و التحفيز على كتابة بعض الآيات تدريجيا مع احترام أسس و قواعد الرسم القرءاني، تزيد من تقديس كتاب الله و حبه و تصديق ما فيه من أمور الغيب .

و يمكن في هذه المرحلة و بالتدريج تمرين التلاميذ على تجسيد أهداف التوحيد،من خلال القيام بمشارع خيرية تعود بالنفع على المعوزين مثلا، و تساعد الضعفاء كما يحب الله ذلك، و كما أمر الرسول صلى الله عليهو سلم ..

و لا بأس الاستعانة بالوسائل السمعية البصرية في تدبر خلق الله من خلال عرض شرائط الطبيعة الجذابة، و عرض كل ما خلق الله و أحسن صورته،وهذا نافع ومجرب، فيتحقق ربط هذه الآثار و الآيات بخالقها و مبدعها، فيزداد إيمان الطفل و يثبت في قلبه..

وقد يتم التغاضي عن بعض التجاوزات التلقائية في قول عابر في مسألة عقدية بديهية، و لكن لابد من الوقوف على الأخطاء التي قد تؤدي إلى المساس بأركان الإيمان التي قد يقع فيها الأطفال والعمل على معالجتها بحكمة و لطف و بتدرج عفوي لتختفي بعد ذلك.

و يراعي المدرس في كل ذلك قدرة التلاميذ على استيعاب المفاهيم الإيمانية،و تطور السلوكات الصائبة في الحياة داخل الفصل، و داخل المدرسة .

و كما رأينا في مرحلة الروض، ففي هذه المرحلة و في المراحل اللاحقة، لابد من تعويد المتعلمين على التدرج في الحفظ من قصار السور إلى طوالها، لأن ذلك،يجعل المتعلم يشعر بأنه قد حفظ سورا في وقت وجيز، فينشط وتزداد رغبته في تحقيق المزيد. فإذا بدأ بالطوال، فإنه قد يستغرق في حفظ سورة واحدة العام كله ولا ينتهي منها، فيستثقل حفظ القرءان الكريم. فيبتعد عن الحفظ و يبتعد بذلك عن القرآن فتخبو شعلة الإيمان في قلبه، كما أن قصار السور يحتاج إليها المتعلم دائما من أجل أن يصلي بها، ويستطيع معرفة أولها وآخرها، بينما لا يستطيع

تحديد عدد الآيات التي يجزئ قراءتها من السور الطوال. لذا حث العلماء وأهل التربية قديماوحديثا، على التدرج في التعليم والأخذ بالرفق في التربية للمتعلمين وسلوك طريق المرونة مع ضرورة مراعاة نفسياتهم ومستوى السن والفوارق الفردية لديهم. "وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته في الغالب الازدياد بخلاف ضده"[1]، كما حذر أهل العلم من عدم مراعاة قدرات المتعلم، وذلك لأن "إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنّه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيّق عن النّفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث"[2]كما قال ابن خلدون في مقدمته.

و ينبغي كذلك مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، من حيث السن والنباهة والثناء على السلوكات الإيمانية التي يظهرها التلميذ، ومساعدته على التخلص من العيوب التي قد تلحقه في بعض الأحيان، و تقويم ذلك بالرفق، و تذكيره بأن الله ينظر إليه، فينمو فيه تدريجيا الخوف من الله و استحضاررقابته، ورجاء ثوابه في كثر عمله الصالح.

والتواصل المستمر مع آباء وأولياء المتعلمين، يكتسي أهمية بالغة في نجاح العملية التربوية، لذا فإن إشراكهم في تتبع مسار أبنائهم الإيماني أولى ومقدم على

---

(1) أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبيالمصري، (المتوفى: 923هـ) : كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323 كتاب الأدب، باب قوله صلى الله عليه و سلم "يسروا و لا تعسروا" ج 9 ص 76.

(2) مقدمة ابن خلدون ج 1 ص 743.

كل تتبع، لأنه يفتح أبواب الخير كله في المدرسة وخارجها وعلى الآباء التنسيق مع المعلم إذا ظهرت بوادر انحراف أو تطرف عقدي حتى يسهل معالجة الأمر.

و من مقومات الدرس العقدي و الأنشطة المطلوبة، في هذه المرحلة، التذكير و التكرار حتى تتثبت أركان العقيدة الصحيحة؛ وهذا يدفع الأستاذ المربي إلى تركيز المكاسب الإيمانية لدى المتعلم، فيقومبإشعار الطفل بأن سلوكياته وأفعاله مراقبة من الله عز وجل لتعزيز المفاهيم العقدية او الإيمانية، كأنيخبره أن الله موجود يراقبنا و يرانا و مطلع علينا و يستمع إلينا ويبصرنا، فتتبلور المفاهيم لديه حسب قدراته الإيمانية، ومن الأفضل استخدام الأسلوب القصصي و المحاكاة، والتقليد، إذ أن القصص تلعب دورا كبيرا في تطويرمهارات التفكير لدى الطفل في هذه المرحلة. ولا بد الاستمرار في تعزيز المكتسبات الإيمانية إذ لا تكفي مرة واحدة.. فيقوم بتذكير التلميذ وهويقرأ أو يسمع الآيات، التي تذكر الجنة والنار وأن الله خلقن المكاف أتناحسب أعمالنا.

فتعلم التوحيديبقى مستمرا بهذا التلقين و التذكير و التكرار حتى سن التكليف حيث تبدأ عملية التوجيه غير المباشر عن بعد، و تظهر في هذه السن آثار المخزون الإيماني الذي راكمه التلميذ.

وعلى التلميذ في هذه المرحلة، أن يتعلم كذلك العطاء وعدم انتظار رد هذا العطاء إلا من الله، يجب أن يكون كل ذلك حاضر في ذهن المربي كأن تطلب من الطفل أن يعطي أخاه أو صديقه، وتقول له إن أعطيته مما معك سيعطيك مما معه وهذا خطأ بل علينا أن نقول أعطيه ليرضى عنك الله ويكتبه في ميزان حسناتك ويرزقك غيرها.

ويضع المربي كل التعلمات الإيمانية باعتماد أسلوب الترهيب ضمن الترغيب وألا يكون الترهيب والتخويف هو الهدف حتى لا يؤثر ذلك على نفسية الطفل.. فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما كان يعلم الصحابة ليسألوه على الأشياء التي تدخلهم الجنة وتبعدهم عن النار، فهم بذلك يعرفون أن هناك

جنة وهناك نار والناس يعبدون الله بالحب والخوف حيث تأتينا لحظات نقبل على الطاعة حباً ولحظات نقبل خوفاً.

كما أن استعمال الوسائط السمعية البصرية قد تسهل الطريق على الأستاذ،فعالم الحاسوب والشبكة الدولية يشد انتباه الطفل الأمس المنغمس فيه، فبالإضافة إلى قدوة الأستاذ في الصلاة و الشعائر التعبدية يمكن للتلميذ أن يتعلم أكثر عن طريق مشاهدة شريط يوضح كيفية الصلاة بأسلوب مثير و جميل.

كما أن تكرار الحديث في درس التربية الإسلامية أو غيرها بأننا نعبد الله وحده، و نصلي لله، و نصوم لله، ونتصدق لله، و نكرم الجار لله، و نبر الوالدين لله، الله وحده يثبت حقيقة التوحيد، و هي العبادة الصحيحة و أساس توحيد الألوهية، و تذكير التلميذ بعلم الله الواسع، و نعمه الكثيرة عليه، و فضلهورزقه الواسع وإعادة ذلك كلما جاءت مناسبة،خصوصا إذا كانت المناسبة سعيدة كنجاحه يركز توحيد الربوبية في قلبه.

أما تعلم توحيد الأسماء والصفات فيمكن تبسيطه وعرض ما يمكن الطفل أن يفهم منه كمناقشة بعض أسماء الله وصفاته ببساطة، أي الأسماء والصفات الواضحة التي يمكن أن يفهمها الطفل في هذه المرحلة، كأن نقول إن اللهعليم،وهذا يعني أنه يعلم كل شيء (مثلاً: يعلم ما نفعل في كل لحظة، يعلم ما نقول، يعلم ما نفكر به، ....)، وبالتالي فإن كذب فالله يراه، إن أخذ شيئاً ليس له فالله يراه، و أن يبر أمه أو يساعدها، أويعطي فقيراً فالله يراه ويحبه وهكذا. ونتابع مثل ذلك في الأسماء والصفات السهلة مثل: إن الله بصير، إن الله رزاق.....

و مسألة هامة في هذه المرحلة هو الإجابة على الأسئلة العقدية للتلاميذ، و يكون بكل بساطة وبطريقة سهلة يفهمها، ولا تتوقع كثيرا من التعقيد و الإصرار على الأسئلة إلا قليلا، فالتلميذ حتى في هذه المرحلة، غالباً ما يتقبل الإجابات البسيطة الصحيحة لقلة خبرته ومستوى نموه العقلي.

فالمهم أن نكون لدى التلميذ قاعدة عريضة من حب الله وحده والارتباط به، فكل ما نفعله لله، وكل ما يأتينا من خير فهو من الله. و سيتم تدريجياً بعد ذلك الانتقال إلى مستوى متقدم من تعلم الإيمان و التوحيد وهو الاستجابة و الممارسة، و قد تكون هذه الممارسة ظاهرية في البداية ثم تكون عن اقتناع (أو تصديق باطني)، ثم في أعلى مستوياتها تكون مراقبة المتعلم لذاته وقد تتأخر هذه المرحلة قليلاً، فمثلاً الطفل في تعامله مع سلوك الكذب إن هو تعلم أن الكذب لا يجوز والصدق هو سلوك المؤمن الحق، فإنه في البداية قد يكذب ولكن لا يكذب أمام أبيه (الاستجابة ظاهرية)، ثم بعد ذلك يكون مقتنعاً أن الكذب لا يجوز ولكنه قد لا يستطيع مقاومة إغراء الكذب أحياناً (التصديق الباطني)، ثم بعد ذلك يستقر المعنى في نفسه ويصبح عادة عنده، وهذا مع كل الأنشطة العقدية الديداكتيكية و غير الديداكتيكية ...

و قد حاول المنهاج الجديد الأخذ بعين الاعتبار هذه المعطيات الديداكتيكية و البيداغوجية لتعلم التوحيد في هذه المرحلة الابتدائية:

*الدرس العقدي في المنهاج الجديد للابتدائي[1]

يلاحظ قلة التركيز في المنهاج الجديد للابتدائي على درس العقيدة وعلم التوحيد،وجاءت إشاراتلبعض مضامين التوحيد بصيغ مباشرة وغيرمباشرة في معظم مكونات المنهاج ضمن المداخل الخمسة لبناء المنهاج، في المقاصدوفي الأهداف العامة والخاصة.

وهكذا وردت بعض الإشارات العقدية في مقصدين من المقاصد الأربعة لمادة التربية الإسلامية،ففي المقصد الوجوديجاء:" ويتحقق هذا المقصد من خلال

---

(1) منهاج التربية الإسلامية لجميع المستويات الدراسية بالتعليم الابتدائي العمومي والخصوصي. وزارة التربية الوطنية و التكوين المهني مديرية المناهج الرباط يونيو 2016.

الإيمان بالوجود الحق لله تعالى وكماله المطلق عز سلطانه؛والإيمان بأن غاية الوجود البشري تكمن في عبادة الله وتسبيحه."

و في "المقصد الكوني:" ويعني الإيمان بوحدة البشرية من حيث المنطلق والمصير وبتكامل النبوات، باعتبارهانور الهداية وحبل الله إلى الخلق؛ وبهذا يكون الرسول المصطفى نبي الرحمة ونموذج الكمال الخلقي والخلقي خاتمالأنبياء ورسولا للعالمين"

ففي هذين المقصدين نجد توحيد الربوبية بالدعوة إلى الإيمان بوجود الله،و ان اللهخالق الكون و البشر جميعا، كما نجد الإيمان بالرسل .

و في القيم المركزية هناك القيمة المحورية التي يدور عليها القيم الأخرى و هي قيمة التوحيد، و بين معقوفتين (الكمال البشري في إخلاص العمل لله) و لن نناقش في اعتبار التوحيد قيمة من القيم، لكن ما يهمنا الإشارة إلى التوحيد بالاسم، و توحيد الألوهية في إخلاص العمل لله.

كما نجد أول هدف من الأهداف العامة لمادة التربية الإسلامية دعوة صريحة إلى غرس عقيدة التوحيد الصحيحة وطرق الإيمان العقلية:"ترسيخ عقيدة التوحيد وقيم الدين الإسلامي على أساس الإيمان النابع من التفكير والتدبر والإقناع، وتثبيتها فينفس المتعلم(ة)، انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة".

أما المقاصد الخمسة، فقد جاءت الإشارات واضحة إلى التوحيد و مباشرة في بعضها؛ و مفهومةو مستنبطة في بعضها الآخر :

- مدخل التزكية وهو المقصد المباشر الأقرب إلى برمجة الدروس العقدية فنجد المنهاج يشرح مفهوم هذا المقصد الذي " يقصد بها تزكية النفس وتطهيرها بتوحيد الله تعالى وتعظيمه ومحبته، وذلك بدوام مناجاته من خلال تلاوة القرآن الكريم والاتصال به وتعرف قدرة الله وعظمته.." ؛ فتوحيد الربوبيةواضح هنا من خلال "التوجه إلى الله و توحيد العبودية بمحبته و مناجاته.." وتوحيد الأسماء والصفات بارز في " القدرة والعظمة..."، فهو القادر وهو العظيم..

مدخل الاقتداء:و يقصد به معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال وقائع السيرة وشمائله وصفاته الخلقيةوالخلقية، باعتباره النموذج البشري الكامل، قصد محبته واتباعه والتأسي به وتعظيمه وتوقيره ونصرته، لقولهتعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ سورةالأحزاب21، فالإيمان بالرسول صلى الله عليه و سلم ظاهر، و من خلاله و اتباعه في قوله و فعله يجب الإيمان بالرسل و اليوم الآخر و الكتب، و بكل مسائل الغيب التي أخبر بها..

مدخلالاستجابة: ويقصد بها تطهير الجسم والقلب لتأهيل المؤمن لعبادة الله وشكره بالذكر والدعاء، بهدف تزكيةالروح لتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون**﴾ سورة الأنفال/ الآية 24، و هنا تحقيق العبودية باتباع الرسول صلى الله عليه و سلم، و الإيمان باليوم الآخر، و بعلم الله الذي يحول بين المرء و قلبه.

مدخلالقسط: ويقصد به تعرف المتعلم (ة)مختلف الحقوق: حق الله في التعظيم والتنزيه، و هذا عين التوحيد و غايته، و هو حق الله الأول، و هو مناط الإيمان بعظمته و تنزيهه في أفعاله و صفاته عن من سواه :﴿ **ليس كمثله شيء وهو السنيع البصير**﴾.

مدخلالحكمة: وتعني إصلاح النفس وتهذيبها والسمو بها وتطهيرها وفق توجيهات الشرع، وهذا هو الغاية من العبادة ...

واعتبر المنهاج هذهالمداخل وحدة متكاملةومترابطة يلتحم فيها الفكر بالسلوك والعلم بالعمل، وأهداف التوحيد هي نقطة الالتقاء والتجميع، ولكن

يبقى مدخل التزكية الأقرب إلى علم التوحيد، ومواضعه قد تشكل قاعدة للدرس العقدي.

كما نجد في المبادئ الموجهة لبرنامج مادة التربية البدنية في المرحلة الابتدائية، وبالتحديد في المبدأ ما قبل الأخير إشارة إلى المذهب الأشعري في العقيدة:" الالتزام بالثوابت المغربيةالمتمثلة في إمارة المؤمنين والمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوفالسني"

وعلى مستوى التقويم والدعم، يشير المنهاج إلى اعتماد بعض المعايير العامة لتقييم أركان الإيمان والتوحيد خصوصا في مدخل التزكية: " حيث تُقَوم قدرة المتعلمعلى توظيف سور وآيات قرآنية للتعبير عن إيمانه بوحدانية الله؛

- تُقَوم قدرة المتعلم على معرفة أسماء الله تعالى وعظمته وقدرته، انطلاقا من سور وآيات قرآنية؛.

- تُقَوم قدرة المتعلم على تعرف أركان الإيمان حسب كل مستوى دراسي.

يبدو أن المنهاج ركز أكثر على الجانب التقويمي للتأكد من مكتسبات التلميذ في الجانب العقدي؛ وكان الأولى أن تكون مضامين أغلب المداخل أو واحد منها يتناول موضوع علم التوحيد كأساس للتعلمات، وتكون انتظارات التقويم أكثر انسجاما.

ويلاحظ نفس الأمر بالنسبة لأهداف وتوجيهات مدخل التزكية، حيث تصب في نفس أهداف الدرس العقدي، دون الوقوف بالتفصيل على مكوناته التعلمية، فنجد صيغا عامة تلامس أهداف علم التوحيد والدرس العقدي مثل:

- تعرف أركان الإيمان وتثبيت الاعتقاد بها في فكر المتعلموجدانه.
- تعزيز الإيمان من خلال تعرف مظاهر قدرة الله وعظمته في الكون.
- ترسيخ عظمة الله ومحبته في وجدان المتعلم.
- تقوية إيمان المتعلمبالمنظومة العقدية في الإسلام.

- تعرف بعض أسماء الله الحسنى والتحقق بمعانيها،والإيمان بالله والأنبياء والرسل ومعجزاتهم، والكتب السماوية والملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر.

وهذه الأهداف تشمل كل مباحث علم التوحيد، لكن في الدرس العقدي يتم تناولها خارج منطق ديداكتيك علم التوحيد.

لعلى الرغم من أننا نجد إشارات قوية لهذا المنطق في التوجيهات المنهجية لتدريس مدخل التزكية، فهذه التوجيهات تكاد تؤطر التحليل الديداكتيكي لعلم التوحيد، وتجعل من الدرس العقدي ذلك الدرس المتكامل الجوانب لاستيعاب مضامين العقيدة الصحيحة:

حيث يجب مراعاة النمو العقلي-المعرفي والوجدانيللمتعلم، وصعوبة المضامين المتصلة بالعقيدة عند إعداد أنشطةالتعليم والتعلم، والحرص على تقديمها بشكل مبسط وسهل.. وهذه نقطة هامة تطرقنا إليها عند الحديث عن مراحل النمو الديني لدى الطفل، لكن لم يتم الإشارة إلى هذا النوع من النمو، ربما لاعتبار النمو الوجداني نائبا عنه، مهما يكن فهذه النقطة تحسب للمنهاج..

كما أن اعتماد أسناد متنوعة و وسائل تعليمية مناسبةلتقريب المضامين والمفاهيم المتعلقة بالعقيدة(أنشودة، صور ومشاهد، حكايات، أفلام.وثائقية...)،و الانطلاق مما يلاحظه المتعلممن مخلوقات ويسمعه عن مظاهر الخلق يساعد على تقريب المفاهيم العقدية، و يمثل أساس الاستراتيجيات التعليمية التي تخدم من قريب الدرس العقدي في هذه المرحلة ..

ويعضد ذلكعدم التفصيل في المفاهيم والمصطلحات العقدية في المستويات الدنيا (الأولى والثانية والثالثة)؛ والتركيز في الشرح على أسلوب الترغيب وإبراز رحمة الله ومغفرته

واستثمار الآيات القرآنية المناسبة للموضوع العقدي.

في الحقيقة يمكن اعتبار كل هذه التوجيهات التي جمعت بين ما هو ديداكتيكي وبيداغوجي تطورا ملفتا في تبني تدريس العقيدة من خلال هذا المدخل..

و لكن تبني المنهاج المقاربة بالكفايات، يطرح إشكالا في اختيار المضامين العقدية من خلال الوضعيات المسألة، لأن تدريس مسائل العقيدةو غرس الإيمان و التوحيد لا يكون عن طريق التجريب وصناعة المعنى الخاص بكل تلميذ، فالوحي والنقل ميزان التلقي و القبول،فكيف يمكن للدرس العقدي أن يرفع هذا الإشكال، و هل يمكن الحديث عن كفايات إيمانية [1] أو عقدية يجب بناءها تدريجيا؟

إن من أبرز الإشكالات التي تطرحها المقاربة بالكفايات، التعامل مع القواعد الكفائية كوسائل للمضامين، لذلك نجد المنهاج يحدد كفايات التربية الإسلامية من خلال أهداف المداخل الخمسة، و على المستوى العقدي يخص مدخل التزكية، بحيث تتكرر الكفاية لأكثر من مستوى دراسي، و لا تختلف من مستوى إلى آخر إلا بإضافة بعض أركان الإيمان الستة الواردة في حديث جبريل، و هكذا نجد بالنسبة للسنة الأولى و الثانية و الثالثة ابتدائي نفس صيغة الكفاية : " يكون المتعلم، في نهاية السنة (الأولى)، قادرا على حل وضعيات مشكلة مركبة ودالة، بتوظيف مكتسباتهالمرتبطة بالسور القرآنية المقررة ومعارفه المتعلقة بالعقيدة (أسماء الله الحسنى والشهادتان) تعظيما وإجلالا"، و نفس الكفاية في السنة الثانية و الثالثة ابتدائي مع تغيير في معارف التلميذ المتعلقة بالعقيدة حيث يتم إضافة و صفاته" أسماء الله الحسنى وصفاته " و حذف كلمة " و الشهادتان". وفي السنة الرابعة

---

(1) انظر كتاب لتفعيل أنسب لبيداغوجيا الكفايات في ديداكتيك التربية الإسلامية ونظرية المواقف للدكتور المسعودي.

بإضافة " والإيمان بكتبه وبأنبيائهورسله" أسماء الله وصفاته والإيمان بكتبه وبأنبيائهورسله".

وفي السنة الخامسة نجد فقط "الإيمان بالملائكة والبعث والجزاء"، و في السنة السادسة و الأخيرة من التعليم الابتدائي نجد "الإيمان بالغيب والقضاء والقدر ومراتب الدين".

هذا التدرج في المضامين يطرح إشكالية تجزيء التوحيد والعقيدة والإيمان، ولعل المنهاج أراد أن يدعو إلى التركيز على مضمون معين أكثر بحسب تطور قدرات الطفل العقلية والاستيعابية في مراحل نموه الديني؛ لكن يبقى السؤال المطروح هل هذه الصيغة الموحدة لهذه الكفاية في مدخل التزكية هي قابلة للبناء والتطور لدى التلميذ في مراحله المختلفة؟ وهل يمكن اعتبار هذه الكفاية كفاية إيمانية توجه الدرس العقدي، أو تكون كغيرها من صيغ الكفايات في مختلف المواد للضرورة المؤسساتية، وللبقاء في قالب المقاربة؟

ولما كان بناء الكفاية يتم من خلال حل وضعيات مشكلة مركبة ودالة بتوظيف المكتسبات المرتبطة بالسور القرآنية المقررة، فما هي خصوصيات هذه الوضعيات في الدرس العقدي؟ وهل السور المقررة كافية لتزويد التلميذ بالموارد اللازمة لحل مثل هذه الوضعيات المشكلة؟

يحاول المنهاج الإجابة عن هذه الإشكالية من خلال صياغة الأهداف التعليمية بصيغ قريبة إلى المهام منها إلىالأهداف، وهذه الأهداف بين التعرف والتمثلوالتعبيروالتوظيف وأخيراالاستخراج، مع نسبة عالية للتعرف ربما لطبيعة الدرس العقدي، جاءت كل هذه الأهداف منسجمة مع الكفايات السابقة على الترتيب التالي في مدخل التزكية دائما:

***-السنة الأولى:**

- يتعرف أن الله ربه هو الخالق المالك؛
- يتعرف أن الله خالقه وخالق كل شيء؛

- يتمثل عظمة الله من خلال المخلوقات؛
- يتعرف أن الله يحفظ خلقه؛
- يعبر عن الإيمان بالله تعالى؛
- يتعرف بعض أسماء الله الحسنى (الواحد، الصمد، الخالق، المالك، الحافظ)؛
- يوظف هذه الأسماء في وصف الله تعالى؛
- يتعرف أن القرآن الكريم كلام الله؛
- يتعرف أن الله يناجي عباده من خلال القرآن الكريم؛
- يتعرف السور القرآنية المناسبة لموضوعات العقيدة؛
- يتعرف معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله؛
- يستخرج أسماء الله الحسنى من السور القرآنية المقررة؛
- يستخرج آيات عظمة الله وخلقه وقدرته تعالى من السور القرآنية المقررة؛

***- السنة الثانية:**

- يتعرف أن الله يهدي إلى طريق الخير: الله الهادي؛
- يتعرف أن الله يطعم ويسقي خلقه: الله الغني الرزاق؛
- يتعرف مظاهر عظمة الله من خلال خلقه: الله العظيم الجليل؛
- يتعرف أن الله يسمع ويرى: الله السميع البصير؛
- يستخرج هذه الأسماء من السور القرآنية المقررة؛
- يوظف هذه الأسماء في وصف الله تعالى؛
- يعبر عن الإيمان بالله بجمل بسيطة موظفا أسماء الله الحسنى؛
- يوظف مكتسباته لمعالجة وضعية جامعة لما سبق "الله المعطي المانع"؛

وفي مدخل الاستجابة التي تفصل في أمور العبادة نجد أهدافا تعليمية إجرائية تصب في أهداف مدخل التزكية وأمور الإيمان، وجاءت بصيغ جديدة يغلب عليها الترديد، مع التوظيف والتعرف، فنجد مثلا في السنة الأولى:

- يوظف ما درسه في درسي التزكية للتعبير على أن المعبود هو الله تعالى؛
- يتعرف معنى " لا إله إلا الله "؛
- يردد كلمة التوحيد " لا إله إلا الله "؛
- يردد جملا يعبر فيها عن حبه لله والرسول صلى الله عليه وسلم؛

وهكذا تتدرج المضامين العقدية عبر هذه الأهداف التعليمية لتصل في السنة السادسة لتكمل ما بقي من أمور التوحيد:

- يوظف مكتسباته السابقة لحل وضعية تقويمية " أومن بالغيب: الملائكة واليوم الآخر"؛
- يستخرج من الآيات والسور القرآنية ما يعرفه بالله تعالى ويحببه إليه؛
- يعبر بجمل عن معرفته وإيمانه بالله تعالى انطلاقا من التفكر في مظاهر خلقه وعظمته سبحانه؛
- يتعرف معنى القضاء والقدر؛
- يعبر عن إيمانه بالقضاء والقدر؛
- يتعرف حديث جبريل عليه السلام؛
- يتعرف أركان الإسلام من خلال حديث جبريل عليه السلام؛
- يتعرف أركان الإيمان من خلال حديث جبريل عليه السلام؛
- يوظف مكتسباته لحل وضعية مشكلة تقويمية " مراتب الدين: الإحسان".

كل هذه المعطيات المتعلقة بتدريس العقيدة تبقى دون جدوى إذا لم يتم أجرأتها على مستوى الوضعيات التعليمية، ومنها يمكن الحكم على المضامين للدرس العقدي في المنهاج المغربي لمادة التربية الإسلامية.

و تطرح الوضعية المشكلة الدالة الواردة هنا في المرحلة الابتدائية، إشكالا في صياغتها و صعوبة في استيعابها، و قد رأينا أن التلميذ في هذه المرحلة يشكل التقليد للكبار لديه أهم سمات نمو الديني، فالمضامين العقدية التي يقدمها المدرس لا بد أن تركز على الجانب العملي الذي يظهر آثار التوحيد، فالقدوة هنا مطلوبة

و القيام ببعض الشعائر التعبدية كالوضوء و الصلاة في المؤسسة التعليمية يعتبر أهم مقومات التعلمات العقدية لدى طفل الابتدائي، لذلك فمدخل الاستجابة يخدم المردودية العقدية أكثر من مدخل التزكية.

فالتحليل الديداكتيكي الذي يركز عليه المنهاج هوالدور المحوري للسور القرآنية، يكون مجديا إذا كانت الوضعيات مناسبة لتعلم العقيدة الصحيحة من خلال الآيات التي تشير إلى الشعائر التعبدية، ذلك أن الوضعيات المشكلة المركبة الدالة التي تستفز الجانب المفاهيمي والتنظيري لا تخدم تعلم العقيدة بالشكل الذي يستجيب وطبيعة علم التوحيد، وخصوصا في هذه المرحلة.

كما أن منطق التوحيد لا يقبل هذا التقسيم على مستوى المضامين من خلال المداخل الخمسة، وخصوصا مدخل التزكية، فلا يمكن أن نعلم التلميذ الشهادتان في السنة الأولى، ونترك مسألة الإيمان والقدر إلى مستوى السادس، ولكن التدريج يكون على مستويات فهم المضامين واستراتيجيات التعلم بحسب مراحل النمو الديني التي مرت بنا.

وقد تكون أهداف الدرس العقدي في بداياتها مركزة على مبحث معين من مباحث علم التوحيد، فيجر ذلك إلى التطرق إلى مباحث أخرى، لأن الإيمان بالغيب مطلق وشامل، وتجزيئه قد يخلخل أسس العقيدة في نفسية الطفل.

كما أن السلوكيات المختلفة من تعبد و أخلاق كريمة ما هي إلا مؤشرات نسبية تدل باقتضاب على درجات تشبع التلميذ بالقيم الإيمانية، و التعلمات القلبية لبعض أركان التوحيد، لذلك تبقى الوضعيات المركبة في مجال الدرس العقدي محاولة لتقريب الإيمان بالغيب المستتر و المكنون في القلب إلى الواقع المعيش حتى يسهل تقويمه بحسب المقاربة بالكفايات؛ و لا يمكن أن تشكل هذه الوضعيات مجالا لتقويم موضوعيلتعلمات علم التوحيد..

إذا كان هذا في هذه المرحلة، فهل تشكل مرحلة الإعدادي والثانوي مناسبة للوقوف على وضعيات دالة ومركبة تجيب عن تطلعات التلميذ لتعلمات حقيقية لعلم التوحيد؟ وما هي خصائص الدرس العقدي في هذه المرحلة؟

المطلب الثالث: خصائص الدرس العقدي في المرحلة الإعدادية والثانوية

المرحلة الإعدادية تقابل مرحلة المراهقة المبكرة وهي تمتد من سن الثانيةعشرحتىالخامسةعشر تزيد أو تنقص، وهي مرحلةالصراع بين الطفولة واكتمال النمو، ويميل فيها التلميذ إلى أن يعامَل معاملة الكبار وينتظر من المحيطين به الاعتراف برجولته، لأن الطفولة تمثل له مرحلة الضعف والرجولة تمثل فترة القوة وهويعمل على الاستقلال والشعور بذاته، وإذا لم يعامل على أنه كبير يشعر بالقلق والتوتر، أما إذا شعر برجولته فيشعر بالأمن والطمأنينة.

كما يتصف المراهق في هذه المرحلة بالحساسية الزائدة وينفعل بسرعة ويثور لأتفه الأسباب ويوجه ثورته وغضبه إلى الأفراد والجماعات التي يعيش فيها، وتتشكل شخصيته حسب البيئة الاجتماعية التي ينتميإليها، ومن الملاحظ أن حالة القلق ونقص الشعور بالاستقراروخاصة في بداية هذه المرحلة، لا يفصح عنها بسهولة لوالديه أو مدرسيه إلا إذا ألحوا في الاستفسارعنها .

وفي هذه المرحلة يُظهر التلميذ احتياجه إلى تكوين صداقات مع من يختارهم ويشعرمعهم بالراحة، ويحس بأنه مرغوب فيه بينهم قادر على مشاركتهم في عقيدتهم وأعمالهم،لكنه يهتم بالماديات أكثر من اهتمامه بالمعنويات.

ومن ناحية العلاقات الاجتماعية والعاطفية فقد تكون فترة استقرار عاطفي، وقد تكون فترة اضطراب حاد، ولذلك يخاف عليه المتدخلون في تربيته من آباء وأساتذة وغيرهم من الاضطراب، في تجهون لفرض القيود بعد أن كانوا يعطونه كثيراً من الحرية وهنا تسوءالعلاقات بالكبار وخاصة الوالدين.

لذلك تجد تلاميذ هذه المرحلة في حيرة مستمرة وشكفي تعاملهم مع محيطهم الاجتماعيداخل وخارج البيت.

كما يشكل نمو أبدان التلاميذ وتغير أصواتهم وبلوغهم سن الرشد الشرعي وما يترتب عنه من تكاليف دينية، مشكلا لتعلماتهم الإيمانية. فما هي آثار هذه التغيرات في اكتساب الكفايات العقدية والإيمانية في هذه المرحلة؟

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن التغييرات التي تطرأ على التلميذ في هذه المرحلة، تأخذ أشكالا مختلفة بحسب الجنس ، فالنمو الجسمي عند الذكوريروم نحو التحول إلى مظاهر اكتمال الرجولة، وعند الفتيات نحو اكتمال مظاهرالأنوثة،وتبدأ تغيرات مرحلة المراهقة عندما يصل التلميذ إلى عمر معين(8 - 13) سنة عند الإناث و(10- 15) سنة عند الذكور، حيت يفرز الدماغ هرمونا يكون هو المسؤول عن بداية مرحلة المراهقة، ويصل هذا الهرمون إلى الغدة النخامية في الدماغ، وهي بدورها تقوم بإفراز هرمونين آخرين إلى الدم يعملان على تغيير الجسم من الشكل الطفولي إلى شكل البلوغ.

بالإضافة إلى التغيرات الجسمية والفسيولوجية تحدث تغيرات عقلية، و نفسية انفعالية بالغة العمق في حياة التلميذ في هذه المرحلة تؤدي إلى اختلال توازنه الانفعالي والاجتماعي، ومن ثم يجد الكثير من المراهقين والمراهقات صعوبة بالغة في التكيف مع المجتمع، ويؤدي ذلك إلى البعد عن الواقع والهروب إلى الخيال وأحلام اليقظةكحيلة دفاعية تساعدهم في التعايش مع هذه المتغيرات السريعة وتحقيق الذات في عالم آخر غير واقعي فيلجأ إلى الأصدقاء ليشبع حاجاته ويخلق لنفسه جوه الخاص ومكانته الاجتماعية ويلعب أدوار الزعامة ويمارس مواقف المغامرة والبطولة والقيادة، ويجد من يستمع لمشكلاته ويستجيب لانفعالاته ومشاعره الداخلية التي يخفيها عن الكبار.

من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين، تنبيه الأولاد والبنات في هذه الفترة أنهما أصبحا مكلفين

شرعا ومسؤولين عن أعمالهم وأقوالهم أمام الله عز وجل، وأمام المربين، وأمام المجتمع.. ويعني ذلك أنه، يجب عليهم ما يجب على الكبار من مسؤوليات وتكاليف.

و تبقى المسؤولية في إتمام ما بدأته الأسرة و المدرسة في مرحلتي الروض و الابتدائي من تعليم مبادئ الإيمان و العقيدة الصحيحة، على عاتق الأساتذة الذين سيشرفون على تعليم هؤلاء التلاميذ الحيارى ما ينسجم و نمو هم الديني المتذبذب..

ويغلب على هذه المرحلة الجدل، بحيث يكتسب التلميذ القدرةعلى مناقشة الامور العقدية، فتكثر منه الاسئلة التي تدور حول الخلق والبعث وأصل العالم، و غيرها من الأمر الغيبية.

وإذاكان التلميذ يقبل في السابق كلما يسمعه من إجابات، فمع تقدمه في السن وبلوغه سن المراهقة يعيد النظر في كل الإجابات.

وفي بداية مرحلة المراهقة ومع طفرة النمو على جميع المستويات، تتغير كذلكطبيعة الإيمان عنده، ويقومبتقييم المسلمات العقدية الدينية، ويميل الى الجدل ومحاورة الاخرين في الثوابت الإيمانية التي تعلمها في مرحلة الطفولة؛فكيف يقوم المربي بإقناع المراهق من خلال حاجته للجدل؟

يرى بعض علماء المسلمين أن الجدل مذموم في الإسلام، لما وردمن أحاديث في ذمّه والنهي عنه، لكن الجدل المذموم هو الجدل المطلوب لذاته، لا للوصول إلى الحقيقة، لذلك نجد الجدل القرآني جدلٌ مبنيٌّ على براهين واضحةٍ يفهمه المخاطب، وبالتّي هي أحسن:﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾سورة النحل 125، و في تقرير العقيدةسلك منهجًا يقوم على تصريف وتفصيل الآيات وبيانها بشكلٍ منطقيٍّ وموضوعيٍّ قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾سورة الأنعام 65، و المربي لابد و أن يفيد بهذا المنهج في الجدل لإقناع المراهق و يكون الهدفمنه اظهار

الحقّ والإيمان به، وبأسلوبٍ مقنعٍ ومرضٍ عند الآخر، لا سيّما منأراد طلب الحقّ، وقد سجّل القرآن الكريم عددًا من الوقائع والاعتراضات منالمشركين وغيرهم وأبطل حججهم ببيانٍ شافٍ ووافٍ، كما فعل في إثبات وجود الله في قصة إبراهيم، من خلال الاستدلال بوجود الأثر على وجودالمؤثّر، في مناظرة و محاورة بأسلوب قرآني مثير و بديع : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾..سورة الأنعام: 76 و 77، فكان جدله و محاججته على سبيل الافتراضو المجاراة والمماشاة والتسليم، ليصل إلى المبتغى، وهو إثباته لوجوده تبارك وتعالى، حيث استدلّ بالكواكب والقمر وغير ذلك، فحقيقة هذه الكواكب و النجوم أنها محدثة، والمحدث محتاجٌ إلى محدثٍ و ينتهي الأمر إلى اللهمحدث و خالق الأكوان، فالمربي في مرحلة المراهقة يفيد من هذه الحجة القصصية ليقنع التلاميذ الذين أشكل عليهم الأمر و دفعتهم بعض الشبهات إلى إنكار وجود الله.

بعد إثبات وجود الله تعالى نجد الجدل القرآنيّ من خلال قانون وبرهان التمانع، يدحض

قول المشركين في التوحيد، حينما ردّ عليهم بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سورة الأنبياء: 22، فالدلالة هنا على توحيده، وأنّه لا يجوز أن يكون معه إلاه سواه، فلو كان فيالسماء والأرض آلهة سوى الله، لفسدتا وما استقامتا، وفسد من فيهما، ولمينتظم أمرهم.فالإشراك في الأمر يوجب التماثل، ومن حقّكلّ إلاه أن يريد أمرا قد يعارض ما يريده الآخر من إماتةٍ وإحياءٍ...فإمّا أن يقع مراد أحدهما فينتقض أمر الآخر فيقع مراده من غير وجه فلا يكون إلاه، فإذن لا يجوز أن يكون الإله إلاّ واحدًا.

كما يمكن للمربين أن يستفيدوا من حب المراهق للجدل و استعمال الأساليب القرآنية الّتي تتّبع في طرق الإقناع العقلية، كالإلزام بما كان يؤمن به الخصم، كما وقع مع اليهود، الّين رفضواالاعتراف برسالة الخاتم محمّدٍ، وأنّه لم ينزل فيها شيءٌ من ذٰلك، قال تعالى:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾(الأنعام 91 .

فمقتضى الآية الكريمة يدلّ على إلزامهم بماكانوا يؤمنون به سابقًا، وهو أنّ الله – تعالى – أنزل على بشرٍ وهو موسى الذّي يعترفون به، فهم في الحقيقة كذّبوا وادّعوا سلبًا مطلقًا " إذ قالُوا ما أُنزَل اللُه عَلى بَشرٍ مْن شْيءٍ" والله- تعالى – فنّد هٰذه الدعوى، بما يعترفون به هم أنفسهم، بإيجابجزئيٍّ؛ لأنّهم يعترفون بالتوراة وهي حاضرةٌ بين أيديهم كما أنّهم أصحابكتابٍ، وبهذا تبطل دعواهم بهٰذا المنهج الإقناعيّ في إلزامهم، بحيث يسقط ما فيأيديهم ويعترفوا برسالة النبيّ محمّدٍ صلى الله عليه و سلم ويصدّقوا برسالته.

ومن أساليب الجدل القرآني لإقناع المراهق الشاك في البعث واليوم الآخر، البرهان بالتمثيل، ونقصد به إلحاق أحد الشيئينبالآخر، وذلك بأن يُفرّع المستدلّ الأمر الذّي يدّعيه على أمرٍ معروفٍ عند منيخاطبه، أو على أمرٍ بدهيٍّ لا تنكره العقول. وقد سلك القرآن هذا الدليل بدقّةٍوحكمةٍ متناهيّةٍ مقرِّبًا بين الحقائق القرآنيّة والبداهة العقليّة، وهذا ما نراه جليًّا في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس: 78 و 79. فاحتجّ بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، وهذا نوعمماثلةٍ بين شيئين؛ إذ كلّ عاقل يعلم ضروريًّا أنّ من قدر على هذه، قدر على تلك،وإنّه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز، ولما كان الخلق يستلزم قدرةالخالق على المخلوق

وعلمه بتفاصيل خلقه، فأتبع ذلك بقوله: "وهو بكل خلق عليم" فهو عليمٌ بتفاصيل الخلق الأوّل وجزئيّاته ومواده وصورته، فكذ لك الثاني، فإذا كان تامّ العلم كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهي رميمٌ؟[1]!

ممّا تقدّم اتّضح أنّ المنهج الجدليّ هو منهجٌ معظمه قائمٌ على البرهان العقليّالدقيق، والأصل في هذا الجدال هو الإقناع بالّتي هي أحسن، وهي خير وسيلةٍ لبيانوإثبات أمور العقيدة الصحيحة وإبطال الأباطيل ودفع الشبهات التي قد تساور المراهق والشاب في هذه المرحلة.

إن مدرس التربية الإسلامية قد يفيد من هذه الأدلة للإجابة المفعمة لكثير من الأسئلة التي يطرحها تلامذته في سلك التعليم الإعدادي والتأهيلي[2] .

وعند سن السادسة عشرة تقريبا يتمسك التلميذ بالمبادئ و الاعتقادات التي اقتنع بها،و إذا التزم بالدين فإنه يعتز به اعتزازاً كبيراً، وقد تشكل له هذه المرحلة ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة اليقظة الإيمانية، و من أهم مظاهرها كثرة العبادات والسنن الرواتب و فضائل الأعمال و الشغف و الحرص على أداء الصلوات الخمس في اول وقتها في المسجد، و الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

كما تجد المراهق في هذه المرحلة أيضا يهتم بحفظ القران وأحكام التجويد. ويحرص على سماع الدروس والمواعظ..

وقد يلاحظ لدى الشاب المراهق في هذه المرحلة ازدواج في الشعور الديني، كالحيرة بخصوص الحياة والموت ومابعدهما. وحب الحياة والخوف من الموت؛

---

(1) انظر محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: كتاب"إعلام الموقعين عن رب العالمين" تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1411هـ – 1991م.

(2) بتصرف عن مقال المنهج القرآني في تأصيل العقيدة، دراسة تحليلية تطبيقية للدكتور يحيى آل دوخي.

والتأرجح بينمعايير الحلال والحراموموشرات الصواب والخطأ. والصراع ما بين المحافظة والتحرر.

ويتبلور الموقف من الدين والتدين والإيمان عند المراهقين من خلال التموضع بين قناعتين:

أولى القناعتين يرى فيها المراهق أن الإنسان لا حاجة له إلى الدين و الإيمانبالغيب،و قد يتأثر في ذلك بمجموعة من الأقوال المتناقضة و الأفكار والاتجاهات الدخيلة دون تمييز، ويرى أن العقل و العلم في مجمله يكفيه و يغنيه عن كل المعتقدات الدينية، فهو يستغني بنفسه و عقله و بعض علمهليدبر أمور حياته.

أما القناعة الثانية، و هي حتمية الدين و ضرورة التوحيد، فيجد المراهق فينفسه رغبة فطرية للإيمان بالله،و يعتقد أن الإنسان وحده لا يمكن أن يعيش دون دين، و هو يشعر بالأمن في ما يعتقد، بل ويجد لحياته معنى، ويكون اعتقاده في قدرة الله على كل شيء دعماً نفسياً حين تغلق دونهالسبل، مثل الإصابة بالأمراض العضال وعجز الطب عن فعل أي شيء، ولا شيء إلا الأمل بالله والتمسك برحمته.

و مهما تكون طبيعة هذه القناعات، و حتي يمكن تعليم و تثبيت أساسيات التوحيد، و أركان العقيدة الصحيحة، و إعادة تشكيل الوازع الديني النابع من الإيمان بالله و باليوم الآخر، لابد من المربين من آباء و مدرسين أن يركزوا في عمليات التربية العقدية على التدرج في المضامين، و تعزيز علاقات الحب حتى لا ينفر المراهق من الدين بالمرة؛ و يكون التدريب على العادات الصحيحة بضبط الدوافع الانفعالية والتحكم فيها من خلال أساليب متنوعة، مثلالنصح، الإرشاد، التوجيه، التفسير، التسامح، والأهم من كل ما سبق هوالقدوة، فلا يقبل المراهق من الذي يقول ما لا يفعل.

ويحذر كثير من المر بينخل الالتدريب على العادات الحميدة أن يتركواالمجال مفتوحاللسلوك الخاطئ للمراهق دون أن يتنبهوا إلى خطورة ذلك. وقد تؤدي اللامبالاةإلى سقوط كثير من المراهقين في براثين التطرف العقدي، خصوصا إذا تلقوا معلوماتهم الدينية من الذين يستغلون اندفاع المراهقين الشباب،و" مصطلح التطرف شأنه كشأن المصطلحات في العلوم الاجتماعية مصطلح مراوغ، فما يعتبره البعض تطرفا قد يعتبره آخرون سلوكا طبيعيا وعاديا، وهنا فإن المرجعيات الفكرية والعقدية تتدخل فيمن يمكن اعتباره متطرفا أو معتدلا أو مغاليا أو خارجا عن السياق"[1]. و لكن يمكن تعريف التطرف بأنه مجموعة الأفكار و المعتقدات التي تمثل خروجا على المعروف الغالب و المقبول في المجتمع، وعلى النظام العام، و ما يترتب على تنفيذها في الواقع تغير جذري في الأوضاع.

والمراهق يرى ويعتقد في نفسه أنه المتمسك الحصري بالدين الصحيح، بينما في الحقيقة هو يتجاوز حدود العقيدة الصحيحة ويمارس الإسلام الزائف مثلا.. فتراه يتنطع في أداء العبادات الشرعية ويصادراجتهادات الآخرين في المسائل الاجتهادية، ويتجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف، وقد يصل إلى ما لا يحمد عقباه.

ويلاحظ أن المراهق المتطرف العنيف تتكون لديه قابلية للتطرف إما بسبب معاملة الأسرة الذي تربى فيها، أو في سياق المدرسة التي تعلم فيها، ومناهج التعليم التي استقاها أو بتأثير من جماعات الرفاق الذين يمثلون له مرجعية حصريةلتشكيل معتقداته وأفكاره، كما تبقى الطبيعة السيكولوجية والذاتية والشخصية للمراهق والشاب أهم موجه للاختيارات العقدية في هذه المرحلة.

---

(1) مثلا إيمان رجب، التطرف، التعريف والسياق الحاكم، في ملف التطرف الذي أصدرته مجلة أحوال مصرية، ع60، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ربيع 2016.

ويبقى الكلام عن الشق العملي في العقيدة، أو الترجمان الحي لمعاني الإيمان بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ضروري لاستواء الإيمان في قلب الشاب المراهق، وهو جانب العبادة لله عز وجل والخضوع له، والانقياد والتسليم التام بالتزام بالفرائض؛ فالإيمان والعبادة وجهان لعملة العقيدة التي يدفعها العبد ليحوز مرضاة ربه عز وجل، والطفل حتى سن البلوغ غير مطالب بأداء العبادات وجوبًا، بل يؤديها على سبيل الاعتياد والتدريب؛ فإذا استقرت عنده، يسهل عليه أداء العبادات عند بلوغه؛ لأنها قد أصبحت بحكم العادة جزءًا من نظام حياته كالأكل والنوم، و لا يستطيع التخلي عنها .

لذلك كان دور المدرسة و لا زال دورا مهما لتثبيت العقيدة الصحيحة، و المدرسون في جميع المواد هم المسؤولون بنسب متفاوتة في هذا العمل العظيم، و مدرس مادة التربية الإسلامية في المقدمةلأنه المكلف المباشر لتدريس العقيدة، و غرس الإيمان الصحيح و تحقيق أهداف المنهاج، فماهي الخصائص المنهجية للدرس العقدي في هذه المرحلة ؟

*الدرس العقدي في المنهاج الجديد للإعدادي والثانوي[1]

لا يوجد اختلاف كثير في منهاج الإعدادي والتأهيلي عن نظيره في الابتدائي، سنحاول الوقوف على أهم التغييرات التي تتعلق بتدريس العقيدة:

وأول إشارة لموضوع العقيدة تظهر في المرجعيات وأسس بناء منهاج التربية الإسلامية عند المرجعية الشرعية؛ حيث نجد في وحدة العقيدة:" يجب أن تكون وفق مقاربة تتجاوز الخلافات الكلامية وتربط المتعلم بالأبعاد العملية للاعتقاد السليم

---

(1) منهاج التربية الإسلامية بسلكي الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي.وزارة التربية الوطنيةوالتكوين المهني مديرية المناهج الرباط يونيو 2016.

المؤطر لسلوكه وقيمه وتفاعله مع الغير؛ وألا تخرج عن الثوابت المغربية المتمثلة في إمارة المؤمنين والمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني...ص 5.

فهذه المرجعية مقبولة في مستوى الإعدادي، لكن في التأهيلي فالتلميذ يدرسالفلسفة،وعلم الكلام وارد في البرمجة، فتجاوز الخلافات الكلامية خصوصا في المباحث العقدية يتطلب من المدرس إلماما جيدا بهذا العلم حتى يساير معارف التلميذ أو يجاوزها.

كما أن العقيدة الأشعرية التي قامت في أصلها على الجدل الكلامي، و المنطق العقلي قد تصطدم بتبسيط أسس علم التوحيد، أما مسألة التصوف السني فلابد للمشرع أن يبين و يوضح أكثر هذا المفهوم الذي يجمع في ظاهره بين متناقضين :" التصوف و السنة"، خصوصا في علاقتهما العقدية، كما أشرنا إلى ذلك في العلوم العارفة لعلم التوحيد .

ثم بعد ذلك و في الأسس الوظيفية،وفي خضم الحديث عن الموجهات التي تؤسس المنهاج، نجد في موجهالانفتاح: " دعوة بتغليب الموضوعات المرتبطة بواقع المتعلم(ة)، إن على المستوى العقدي، والتعبدي، والحقوقي والإحساني أو المنهجي والمذهبي (العقيدة، مناهج التفكير) مع مراعاة التقاطعات الممكنة في كل ذلك مع باقي المواد الدراسية" ص 6.

وهذا يؤيد مع ذهبنا إليه عند الحديث عن المواد التي تتناول مباحث العقيدة خصوصا في التأهيلي..

وفي تعريف مادة التربية الإسلامية نجد المنهاج يذكر مصطلح التوحيد في استناداته على مستوى الغاية: " اكتساب القيم الأساسية للدين المتمركزة حول قيمة التوحيد." ص7.

و في مقاصد التربية الإسلامية و بالتحديد في المقصد الوجودي،يشير المنهاج إلى سبل تحقيقه " ويتحقق هذا المقصد من خلال الإيمان بالوجود الحق لله تعالى

وكما له المطلق؛ والإيمان بأن غاية الوجود البشري تكمن في عبادة الله وتسبيحه.ص 8؛ و هي إشارة واضحة إلى توحيد الربوبية و توحيد العبودية ..

و نجد نفس المقاصد و نفس الأهداف و نفس المداخل الخمسة التي مرت بنا في منهاج الابتدائي، و تبقى التزكية المدخل القريب من أهداف علم التوحيد، و يأتي بعده مدخل القسط ..و لذلك ننتقل إلى تحليل الكفايات في سنوات الإعدادي ص 11، ويلاحظ أن صيغ هذه الكفايات تحاول تجميع خلاصة المداخل الخمسة، لذلك جاءت بدايتها متشابهة و متقاربة و خاصة بالإيمان و مباحث العقيدة:

ففي كفايات السنة الأولى " يكون المتعلم(ة) في نهاية السنة الأولى، قادرا على حل وضعيات مشكلة مركبة ودالة موظفا مكتسباتهالمرتبطة بالقرآن الكريم (سورة ق ولقمان) ومعارفه المتعلقة بسلامة العقيدة وعمق فهمه لأركان الإيمانبالنظر والتفكير المسنود بالدليل والبرهان..

و في السنة الثانية تختلف السورة، و تحديد بعض أمور العقيدة المتعلقة بالإيمان بالصفات و بالرسل و الكتب ...المرتبطة بالقرآن الكريم (سورة النجم والحجرات)، وتمثلاته المتعلقة بصفات الله وبوحيه ورسله وكتبهوصفات المؤمنالصادق..

وفي نهاية السنة الثالثة تختلف كذلك السورة، ويظهر للمرة الأولى الحديث عن أسماء الله الحسنى من خلال (سورة الحشر والحديد)، وتمثلاته المتعلقة بأسماء الله الحسنى تعظيما ومحبة..

لا نناقش مضامين هذه الكفايات حتى نستكملها في مستوى التأهيلي وهي لا تختلف عن سابقاتها في الإعدادي إلا قليلا ص 19:

يكون المتعلم(ة) في نهاية المستوى الدراسي* " قادرا على حل وضعية مشكلة مركبة ودالة، بتوظيف معارفهالمرتبطة بالقرآن الكريم:

-(سورة الكهف)، وتمثلاته العقدية الخاصة بالتوحيد والبعث والجزاء..:* الجذع المشترك.

-(سورة يوسف)، وتمثلاته الخاصة بالإيمان والعلم والفلسفة:* السنة الأولى باك.

-(سورةيس)، وتمثلاته الخاصةبترسيخ الاعتقاد في الله محبة وتعظيما،واستكمال أركان الإيمان يقينا وبرهانا:* الثانية باك .

لن نفصل كثيرا في الوقوف على مباحث العقيدة وعلم التوحيد فيي هذه المرحلة، لأن درجات التشابه كبيرة إلى حد يصعب في كثير من الفقرات أن تتبين الابتدائي من الإعدادي والتأهيلي.و سنركز هنا على ما مررنا عليه بعجالة في المرحلة السابقة، و هو إشكالية الوضعية المشكلة المركبة و الدالة، و التي ترد كعلامة بارزة لإعطاء مصداقية أكبر للمقاربة بالكفايات، فما هي طبيعة هذه الوضعيات في حصة مادة التربية الإسلامية عموما ؟

وما هي حدودها في مضامين الدرس العقدي على وجه الخصوص؟

*حدود الوضيعات المشكلة المركبة والدالة في الدرس العقدي

في البداية لا بأس بالوقوف على تعريف الوضعية المشكلة، وهي وضعية يواجهها المتعلم، في سياق معين تجعله أمام موقف مشكل، وصعوبات لا يملك المتعلم حلولا جاهزة لها."مما يحفزه "على البحث والتقصي من خلال عمليات معينة لحل المشكلات.

وعلى الرغم من كثرة التعاريف والمقاربات لمفهوم الوضعية – المشكلة، فإنها تكاد تتفق على كونها وضعية تستلزم وضع المتعلم أمام سلسلة من القرارات التي ينبغي أن يتخذها لبلوغ الهدف وحل المشكلة.

وقد اتفق كثير من الباحثين[1]، على عشر خصائص تؤطر الوضعية – مشكلة:

1 -أن ترتبطبكفاية معيّنة وأن تنتمي لعائلة من الوضعيات الّتي تبني هذه الكفاية وتقوّمها.

2 -أن تكون معبّئة لمجموعة من الموارد بشكل مندمج وليست مضافة لبعضها البعض بشكل تراكمي.

3-أن ترتبط بأداء مهمّة أو متمركزة حول مشكل محدّد.

4-أن تكون دالّة بالنّسبة للتّلميذ أي ذات سياق اجتماعي مرتبط بواقع وحامل لمعنى في حياته اليومية أو المهنية وليست تعلّما مدرسيا عاديا، أي أنّها لا تكون مرتبطة فقط بالمعلومات المدرسية.

5- أن تكون مستفزّة ومقاومة لقدرات التّلميذ، أي تكون حافزا للتّلميذ ليكون فاعلا وموظّفالذكائه.

6-أن تطرح لغزا حقيقيا يجعلها متملّكة من طرف التّلميذ.

7- أن يمنح حلّها هامشا من المبادرة والحرّية للمتعلّم لعرض وجهة نظره والدّفاع عنها

8 -أن تكون جديدة بحيث لم يسبق للتّلميذ أن واجهها.

9-أن تشمل تعليمات ومعايير محدّدة إضافة إلى العناصر المشوّشة الّتي تختبر ذكاء التّلميذ.

10-أن تكون واضحة ومفهومة[2].

واعتماد الوضعيات المشكلة في النظام التعليمي جاء استجابة طبيعية للمقاربة بالبيداغوجية بالكفايات، حيث ترتكز هذه البيداغوجيا على وضع المتعلّم

---

(1) منهم روجرز وكزافيي و دوكتيل وغيرهم.

(2) www.nawady.net بتصرف.

أمام وضعيات إشكالية، تنشّط حاجاته وتستقطب اهتمامه؛ والمدرّس يقوم بتحسّس حاجات التّلميذ ويقوم بتنشيطها، مع التّركيز على الّتي يمكن استغلالها بيداغوجيا، على أن يبتعد عن تلك الّتي قد تؤدّي إلى إخفاقات متكرّرة أو عقوبات، حتّى لا يتراجع اهتمامه وبالتّالي ينصرف عن الدّراسة. ولعلّ أهمّ الحاجات هي الّتي تضع المتعلّم أمام نفسه، وتدفعه للتّعلّم وتبثّ فيه الرّغبة. كما يجب أن تكون المهمّة ذات دلالة ومعنى بالنّسبة له، ومن هنا الحديث عن الوضعية المشكلة الدالة.

إنّ هذه البيداغوجية ترتكز أساسا على نشاط التّلميذ الّذي لا ينطلق من تلقاء نفسه، بدون مشكلة أو بدون تساؤل؛ وهذه المشكلةقد تكون عفوية أي غير مقصودة، أو تحديدا دون قصد تربوي لم يهيّأ لها المتعلّم، وهي الوضعيات التّعليمية الطّبيعية الّتي نصادفها في حياتنا اليومية. فالأحداث المستغلّة تكون مرتجلة ولا تنسجم دائما مع مخطّط التّعلّم المقصود الّذي ينطلق من الهدف وصولا إلى حلّ المشكلة.

ولما كان التعلم مقصودا وغير عشوائي، فالمشكلة يثيرها المعلّم عمدا وهي تتّفق مع الأهداف المعدّة سلفا .ونجاح العملية رهين قدرة المعلّم على استدراج التّلاميذ ومساعدتهم على طرح الأسئلة.لذلك على المعلّم أن يبنيها مع التلميذ بغرض تحقيق أهدافه التّعليمية والتعلمية، دون تّكلّف ولااصطناع قد يفقدالوضعية جانب الإثارةويطفئ شعلةالدّافعية لدى المتعلّمين، فالمشكلة المعروضة متروكة لكفاءة المعلّم وقدرته وخياله وذكائه في اقتناص الفرص ليجعل منها لحظات هامّة وممتعة ومفيدة.

إذا كانت هذه خصائص الوضعية المشكلة الدالة بصفة عامة، فما هي حدود إسقاط مخرجاتها في المنهاج عند تناول مباحث العقيدة؟

يطرح المنهاج إشكالية حول الوضعية ـ المشكلة ضمن اختيارالكفايات ؛و إذا حاولنا تحليل مختلف تجلياتها في مجال علم التوحيد ، تزداد الصعوبة داخل الفصول الدراسية و هو ما يدفع طرح بعض التساؤلات الجوهرية:

هل يجب صياغة وضعية ـ مشكلة لكل المكونات فيدروس العقيدة بمدخل التزكية بالثانوي الإعدادي والتأهيلي؟

ومتى نستحضر الوضعية ـ المشكلة أثناء تنفيذ خطوات الدرس؟

وكيف تؤطر الوضعية ـ المشكلة العمل الديداكتيكي؟وكيف يمكن استثمار حصص الأنشطة التطبيقية الداعمة في تعميق المعارف والمهارات، وتطوير خبرات ومكتسبات المتعلمين؟

وما هي المؤشرات التي يمكن اعتمادها لبناء وضعية ـ مشكلة ديداكتيكية لدرس نظري، تتماشى مع أساسيات التدريس بالكفايات، وتستحضر خصوصيات الدرس العقدي؟

هذه التساؤلات أساسية بالنسبة لمنهجية الاشتغال والتعامل مع الوضعية ـ المشكلة في ثنايا الدروس، ومن شأن الإجابة عليها أن تزيح الكثير من الغموض الذي يكتنف الاشتغال على هذا المدخل الجديد، ويمد العاملين بالفصول الدراسية بمدد يسعفهم في التطوير النوعي لأدائهم العملي مهنيا ولو بخلفية تجريبية على الأقل.

إن بناء الوضعية ـ المشكلة وفق المرجعية الإسلامية،ينطلق من كون الحياة نفسها أول وضعية – مشكلة، وأن البارئ تعالى جعلها فترة ابتلاء للبشرية، لتمييز من يحسن التصرف من المسيء، لقوله تعالى في سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(2)﴾، و الإحسان في العمل هو حسن التصرف، يمثل المقابل لمفهوم الكفاية في الطرح الغربي الوافد.

وانطلاقا من كون الوضعية ـ المشكلة آلية مركزية لتحقيق الكفايات في نهاية المطاف، أي أنها وسيلة لا غاية، تمكن المتعلم من فرص تطوير وتفعيل مكتسباته ومهاراته وخبراته العملية المتعلقة بمعرفة الفعل إلى جانب المعرفة وعلى أساسها، ومعرفة الكينونة وشروط التواجدوالتواصل.

إذا كان الأمركذلك، فإن ذلك يقتضي أثناء بناء وضعية ـ مشكلة في الدرس العقدي، من إخضاع هذه التجربة الجديدة الوافدة المفيدة لخصوصيات هذا الدرس، أن نراعي بعض الشروط الأساسية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصرما يأتي:

- استصحاب البعد الإيماني التعبدي الذي يربط كل فعل حسن للإنسان بخالقه.

والتركيز على البعد النفسي و القلب الحي والوازع الديني المرتبط أساسا بالرقابة الإلاهية..

- تعزيز ارتباط المتعلم و يقينه في كتاب الله وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام كتطبيق عملي لأوامر القرآن الكريم، ومثلا أعلى.
- حسن اختيار سياقات للوضعية المشكلة، وحسن سبكها وصياغتها.
- تدقيق المهام المطلوبة من المتعلم وربطها بالإشكال المطروح من جهة، وبالنصوص ومضامينها المبثوثة في الكتاب المدرسي كنقطة انطلاق في الآن نفسه.
- الحرص على وضوح تعليمات الإنجاز وتدقيقها وملاءمتها مع المهمة أو المهام المطلوبة على أنه يجب ألا يغيب عن ذهن المدرس أن مدخل التدريس بالوضعية المشكلة هو وسيلة لا غاية في حد ذاته كما أشرنا، وسيلة لتمليك المتعلم الكفايات الممتدة أو المستعرضة بين المواد الدراسية، وفي الآن نفسه الكفايات النوعية الخاصة بالعقيدة الصحيحة، وتدريب للمتعلم على اكتساب الاستراتيجيات المفضية لحل المشكلات.

و طبيعة أغلب المشكلات في مادة التربية الإسلامية يغلب عليه الطابع السلوكي، و حلولها تكون ظاهرة و يمكن تقييمها بملاحظة التغيير و التطور، أما المشكلات التي يطرحها علم التوحيد و مضامين دروس العقيدة، فإن مظانه القلب، ومهما كانت إشارات السلوكفمن الصعب أو المستحيل تقييم درجة الإخلاص فيها، لأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فالوضعية – المشكلة في الدرس العقدي أو ما يمكن أن نطلق عليها تجاوزا الوضعية العقدية تكون في غالب الأحيان وضعية ملامسة لمضمون العقيدة، و محاولة للسير على منوال الوضعيات في المادة الأم. وسنحاول الوقوف على بعض الوضعيات المقترحة في مدخل التزكية، لنبين حدود هذه الوضعيات في اختيار المضامين العقدية:

***الوضعية الأولى:**

دخلشخصان في حوار حول حقيقة الإسلام،فقال الشخص الأول:"الإسلام يرتكز على العقيدة الصحيحة والشرائع التعبدية كالصلاة والزكاة... ولا يهتم قط بتنمية المجتمع اقتصاديا ولا بشؤون الحكم لضمان الوحدة والاستقرار".

فرد عليه الثاني قائلا:"بل يشمل الإسلام كذلك جميع الأحكام التي تخاطب الناس عامة،وتنظم علاقة الإنسان بنفسه وغيره وبالكون والحياة جميعا، بما في ذلك طاعة أولي الأمر ومبدأ التعايش وقيم السلم والانفتاح على الغير بشكل إيجابي لتحقيق التعاون وتبادل المعلومات."

إذا اعتبرنا هذه الوضعية وضعية – مشكلة، فإنها تهدف بالأساس إلى إبراز تمكن التلميذ من العقيدة الصحيحة من خلال الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، فالمطلوب يبقى استظهار ما تلقاه بخصوص العقيدة الصحيحة، وأن الإيمان قول وعمل. و هذا يعطي للوضعية مصداقيتها لارتباطها بالحياة اليومية، و دلالتها لاقتناع و إقناع الآخر بالرأي الصحيح..، لكن هذا الأمر قد يصدق على وصفة تركيبية من مدخلي التزكية و الاستجابة، و لا يخدم المضمون الديداكتيكي للدرس العقدي إلا من خلال الوسيلة التعلمية القائمة على الإقناع.

***الوضعية الثانية:**

استيقظ الحاج قبل الفجر وصلى ركعات ثم توجه إلى المسجد بعد الأذان حيث أدى صلاة الفجر والصبح،وبعد ذلك خرج إلى ضواحي القرية في رياضة صباحية مع النظر والتفكر في آيات الله المنظورة ذاكرا خاشعا. وقبل عودته إلى بيته ذهب لزيارة عمته والاطمئنان عليها فوجدها تصلي الظهر قبل وقته، وهي تخل بسكون واستقرار الأعضاء عند الركوع والسجود،ولا تترك قامتها تنتصب عند الرفع من الركوع. فنصحها الحاج وعلمها كيفية الصلاة وبعض محاسن الأخلاق".

نفس الملاحظات كما في الوضعية السابقة، مع اختلاف على مستوى الدعوة إلى الإيمان وتقويته بالتفكر والتدبر في آيات الله الكونية، والإيمان بعظمة الخالق،كما أن النصح و التعليم و الدعوة إلى محاسن الأخلاق دخل عنوة للضرورة التقويمية الشاملة، مما جعل المضمون العقدي يبدو منفصلا عن سياق الوضعية المركبة بشكل "اصطناعي".

***الوضعية الثالثة:**

زرت يوما أحد الأضرحة القريبة من سكناك، فشاهدت امرأة قد طافتبالضريح، ثم جعلت تقبل القبر وتبكي،وهي تسأل صاحبه الرزق والشفاء، وبعد ذلك اقتنت تميمة وعلقتها في عنقها،فأخذت تهتف باسم صاحب الضريح واعدة إياه بذبيحة في أقرب الآجال..

هذه الوضعية من الحياة اليومية، و فيها دعوة للتوحيد من خلال الوقوف على نقيضه و هو الشرك، و فيها كذلك توصيف لبعض مظاهره، كالطواف حول الضريح و سؤال الميت، و تعليق التميمة، و كذلك الذبح لغير الله، و يبقى الحوار و محاولة الإقناع السبيل الوحيد للرجوع عن هذه العادات الشركية، فهي وضعية مركبة دالة تلامس مباحث عامة في علم التوحيد، و لكن لا تمثل مضمونا من المضامين العقدية التي تستجيب لطبيعة و خصائص علم التوحيد، و تبقى وسيلة

من وسائل التعلم التي تدخل في الإطار العام للتدريس بالكفايات، و حتى نوضح أكثر نقترح وضعية نراها أقرب إلى المضمون المطلوب :

***اقتراح وضعية عقدية:**

سأل طفل أباه عن الإيمان فأجابه قائلا: "أن نعبد الله وملائكته ورسله ونصلي ونصوم ونتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم،ونحفظ أنفسنا من النار"،فرد عليه الابن قائلا: " أي ملك تعبد يا والدي لأعبده معك،لكن الأب استدرك قائلا:بل نعبد الله وحده،ونؤمن بالملائكة باعتبارهم مخلوقات نورانية كلفهم الله بمراقبة أعمالنا.قال الله تعالى: ﴿**إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد**﴾ ق 18.

هذه الوضعية فيها مضمون عقدي واضح، يستند إلى أركان الإيمان الواردة في حديث جبريل عليه السلام، و يشمل تصحيح القول في العقيدة، و الإيمان بالله و اليوم الآخر من خلال الإيمان بالجنة و النار، و الإيمان بالملائكة و طبيعتهم النورانية و أعمالها الخاصة، فهذا الجانب التلقيني هو المطلب الأول في كل وضعية عقدية، كما السند الحديثي هو المرجع العلمي العارف الذي يدعمه، أما السلوكات التي قد تشير إلى بعض مطالب الإيمان فتشكل وسائل تساعد على تعليم و تعلم علم التوحيد و العقيدة الصحيحة ..

إن تناول المنهاج الجديد لدروس العقيدة في مدخل التزكية، يرمي أساسا دمج هذا المكون العقدي مع باقي المكونات، وإرغام المتعلم على تتبع نفس الخطواتو الاستراتيجيات التعلمية النسقية التي تخدم المنهاج في تصوره الشامل.

خاتمة

قبل أن يحطّ القلم رحال التفكير بعد هذه الجولة المتيعة في رياض التوحيد، لا مناص من تسجيل ما وصلت إليه هذه الدراسة المتواضعة.

إن هذه الدراسة جاءت كمحاولة لسد ثغرة في تدريس مادة أخذت اختيارات مضامينها أبعادا فاقت الإطار التربوي والتعليمي، وعلى الرغم من المقاربات البيداغوجية التي حاولت احتواء خصوصيات هذه المادة لم تأخذ الديداكتيك نصيبها في تحديد المضامين التعليمية بحسب المستويات الدراسية.

لذلك جاء هذا الكتاب ليثير موضوعا كان ولا زال يعد غريبا عن مجال مادة التربية الإسلامية. فالوقوف على أهم المفاهيم التي تستوعبها هذه المادة دفع إلى الكشف عن ماهيتها ومكوناتها، وكان لابد من طرح فرضية تعدد ديداكتيكات مادة التربية الإسلامية وتخصيص علم التوحيد بواحدة، الأمر الذي لم يسبق الوقوف عليه بالتدقيق في الكتابات التربوية السابقة.

فالبحث يقدم للقارئ المتعلم وللأستاذ المعلم وللباحث في علم التوحيد أهم مصادر المعرفة في الباب، كما أن الدراسة الشاملة لأهم العقائد السنية، ومباحث ومواضيع علم التوحيد ستزيل الغبار عن مجال لا زال غامضا عند الكثير.

كما أبرزت الدراسة أن الدرس السلفي للعقيدة هو الدرس الوحيد الذي يهتم، على مستوى المقررات، بقراءة وتدريس الكتب القديمة للأئمة، خصوصا في دروس علم التوحيد في التعليم العتيق.

أما في التعليم الغالب فتناول التوحيد كموضوع للدرس جاء مغمورا داخل مداخل حدت من حركية علم الديداكتيك،و تم التركيز أكثر الأهداف المعرفية، وغياب شبه تام للأهداف المهارية، والوجدانية، مع اعتماد مفتعل ومصطنع للمقاربة بالكفايات.

هذه المقاربة التي تعتمد على الجانب التأسيسي البنائي، حتى يكون التلميذ خصوصا في نهاية الإعدادي والثانوي لا يحفظ أكثر مما يفهم، وتكون أغلب معارفه العقدية أكبر من وراثية.

ومن الواضح أن هناك فصامًا تامًا بين المشتغلين بالدرس العقديالإسلامي عمومًا، والنظريات والمفاهيم والجهود التي مضى على بعضها أكثر من قرن في المجال التربوي والتعليمي، وهي حالة متساوقة مع الفقر المدقع في كل ما يتعلق بالعلوم الإنسانية الحديثة في العالم العربي والإسلامي.

كما أن عدم الوضوح في المعايير التي على أساسها تنبني المناهج والتي جاءت أغلبها ارتجالية، تركب موج التسهيل بمحاولة عصرنة للمزارد العلمية القديمة. والأمر نفسه يقال عن مصادر اشتقاق الأهداف التعليمية. ففي الحالتين فهي لا تراعيقيم الفلسفات التربوية الحديثة وتطلعات المجتمعات المعاصرة، ولا طبيعة المادة، ولا الخصائص التربوية للتلميذ؛ والمشكلة الأعظم هي غياب روح التفكير والبحث العلمي في الدرس العقدي. فلا يوجد تناول كل مسلمة من المسلمات للتفكير والتأمل فيها بغرض تحقيقها علميًا، أو التأسيس النظري لها على الأقل.

فجاءت هذه الدراسة من أجل بناء تصور راق لدرس عقدي نابع من معالجة ونقل ديداكتيكي سلس، خصوصا بعد وضع مراحل ومحطات ديداكتيكية تأخذ بعين الاعتبار تطور القدرات العامة للتلميذ وخصوصا القدرات الإيمانية الدينية في مساره الدراسي من الروض إلى الثانوي.

والوقوف على أجرأة ذلك بأمثلة ممهننة في مرحلتي الروض والابتدائي، وتناول تحليلي لمخرجات الوضعيات التعليمية المركبة والدالة في الإعدادي و التأهيلي، كل ذلك جاءليسهم في تبني مشروع ديداكتيكي بناء ومتكامل للدرس العقدي المتميز في المناهج التربوية الجادة في العالم الإسلامي.

ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة:

- تعدد العلوم المكونة لمادة التربية الإسلامية وضرورة تخصيص دراسة كل علم على حدة وتناول معارفه المصدرية ديداكتيكيا، حتى تستوي عملية اختيار المضامين وفق المناهج التربوية المسطرة.
- تطور الدرس العقدي منذ العهد النبوي وضرورة تطوير مقاصده وملاءمته مخارجه تدريجيا عبر مراحل الدراسة المختلفة في إطار مقاربة تربوية شمولية.
- اعتبار مراحل النمو لدى المتعلم أهم المفاتيح التي تساعد في استيعاب مسائل علم التوحيد الصحيحة عبر المحطات الديداكتيكية للتعلمات المتنوعة.

وقد يبدو البحث مطولا في بعض فصوله، لكن ذلك جاء مقصودا حتى يجد فيه التلميذ والطالب والأستاذ والباحث، إجابات شافية عن كل الإشكالات التي تطرحها العقيدة وعلم التوحيد، كما أن المعالجة الديداكتيكية لعلم التوحيد يعطي فرصة أكبر للمدرسين لبلورة استراتيجيات تعليمية مميزة وفق السياقات التعلمية في مختلف المراحل التعليمية.

والله نسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يكمل ما نقص منه إنه ولي ذلك والقادر عليه ..

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: كتاب "الاعتصام" تحقيقسليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان السعودية الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م.
- أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة، كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: كتاب "مسند الإمام أحمد" تحقيقشعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001.
- أبو العباس أحمد تقي الدين بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي:

*كتاب "الفتاوى الكبرى لابن تيمية" دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م.

*كتاب "الإيمان"، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن الطبعة الخامسة، 1416هـ/ 1996م.

*كتاب "درء تعارض العقل والنقل" جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية 1411 هـ - 1991 م.

*كتاب "الرد على المنطقيين" دار المعرفة، بيروت، لبنان.

*كتاب: "الفتوى الحموية الكبرى" تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية 1425هـ / 2004م.

- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي: كتاب "المجتبى من السنن" = "السنن الصغرى للنسائي" تحقيقعبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية، 1406 – 1986.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): كتاب "مجمل اللغة لابن فارس، دراسة وتحقيقزهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م.
-أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبيالمصري، (المتوفى: 923هـ): كتاب "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة: السابعة، 1323.
-أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس كتاب: "الفتاوى الحديثية "دار الفكر دون تاريخ الطبعة.
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: كتاب "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" المكتبة العلمية.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري:كتاب "الفروق اللغوية" حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
-أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه: كتاب"الفقه الأكبر"مع شرح ميسر على الفقهين الأبسط والأكبر لمحمد بن عبد الرحمن مكتبة الفرقان - الإمارات العربية الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.
-أيوب بن موسى الحسيني القريميالكفوي، أبو البقاء الحنفي: كتاب "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" تحقيق عدنان درويش ومحمدالمصري: مؤسسة الرسالة.

- أبو محمد جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي:كتاب" نهاية السول شرح منهاج الوصول" دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان الطبعة الأولى 1420هـ- 1999م.
- حامد زهران: "علم نفس النمو القاهرة" عالم الكتب 1999.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني كتاب: "سنن أبي داود"، تحقيق شعَيب الأرناؤوط - دار الرسالة العالمية الطبعةالأولى 1430 ه.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمدبن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ): كتاب " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر "تحقيق خليل شحادة دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
- عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي: كتاب " كشف الأسرار شرح أصول البزدوي" دار الكتاب الإسلامي الطبعة، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي: "المفيد في مهمات التوحيد" دار الاعلام الطبعة: الأولى 1422هـ.
- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبومنصوركتاب: " الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ".دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، 1977.
- عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين:" تسهيل العقيدة الإسلامية"، دار العصيمي للنشر والتوزيعالطبعة الثانية.
- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: كتاب "التلخيص في أصول الفقه "تحقيقعبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية – بيروت.

- د عثمان جمعة ضميرية: "مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية" تقديمالدكتور عبد الله بن عبد الكريم العبادي. مكتبة السوادي للتوزيع الطبعةالثانية 1417هـ-1996م.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي كتاب: "المخصص" تحقيق خليلإبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريفالجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعةالأولى 1403هـ -1983م.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: كتاب"المحكم والمحيط الأعظم" تحقيق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1421- 2000.
- عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي: كتاب " الرسل والرسالات" مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة 1410 هـ - 1989.
- محمد بن إسماعيل أبو عبداللهالبخاري الجعفي: " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" = "صحيح البخاري"تحقيقمحمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعةالأولى، 1422هـ.
- محمد بن أبي بكر أيوبالزرعي أبو عبد اللهالمعروف بابن قيم الجوزية:
*كتاب "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية 1393 – 1973.
* كتاب" إعلام الموقعين عن رب العالمين " تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي" الجامع لأحكام القرآن" = "تفسير القرطبي"تحقيق أحمد البردوني دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعةالثانية، 1384هـ - 1964م.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: كتاب " جامع البيان في تأويل القرآن"تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م.
- محمد بن خليفة بن علي التميمي: كتاب " معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات" أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعةالأولى 1419هـ/ 1999م.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين:
* كتاب " شرح ثلاثة الأصول " دار الثريا للنشر الطبعة الرابعة 1424هـ - 2004م.
* كتاب "فتح رب البرية بتلخيص الحموية" دار الوطن للنشر، الرياض.
* كتاب " المفيد على كتاب التوحيد " دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعةالثانيةمحرم 1424ه.
*"رسالة في القضاء والقدر"، دار الوطن الطبعة: 1423هـ.
- صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ) كتاب " شرح العقيدة الطحاوية" تحقيق أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى: كتاب " سنن الترمذي " تحقيق وتعليق، أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

- الدكتور محمدعبداللهدرازالمختارمن كنوز السُّنّة النبوية عُني بنشرهعبدالله بن إبراهيم الأنصاري الطبعة 2. مديرية الشئون الدينية- دولة قطر.
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضىالزَّبيدي: كتاب "تاج العروس من جواهر القاموس" دار الهداية.
- محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى 774هـ) كتاب "مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة - مصر الطبعةالأولى، 1422هـ - 2001م.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): كتاب "إحياء علوم الدين، دار المعرفة".
- محمد مكسي: الدليل البيداغوجي ـ مفاهيم مقاربات. منشورات صدى التضامن .ط 2003 .
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: كتاب المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- وفيق صفوت مختار:" سيكولوجية النمو والارتقاء في المراهقة" دار حرف للنشر والتوزيع.
- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): كتاب "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392.

المجلات والدوريات:

أحمد أوزي: المعجم الموسوعي لعلوم التربية. الرباط. مجلة علوم التربية. 2006 .

- أحمد شبشوب: مدخل إلى الديداكتيك ـ الديداكتيك العامة. دفاتر التربية. عدد 4.رمسيس ـ الرباط. يونيو1997.

-حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي كتاب:" أبو الحسن الأشعري " الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة، السنة السادسة - العدد الثالث - رجب 1394هـ .

-الدكتور محمد السيد الجليند، أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار العلوم، جامعة القاهرة، " لا بد من بعث الحياة في علم الكلام«، حوار لمجلة »مدارك«

- عبداللطيف الفارابي وآخرون: معجم علوم التربية ـ مصطلحات البيداغوجيا الديداكتيك.

سلسلة علوم التربية. عدد 9 و10. مطبعة النجاح الجديدة. طبعة1994.

- منهاج التربية الإسلامية لجميع المستويات الدراسية بالتعليم الابتدائي العمومي والخصوصي. وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني مديرية المناهج، الرباط يونيو 2016.

- منهاج التربية الإسلامية بسلكي الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي.وزارة التربية الوطنيةوالتكوين المهني مديرية المناهج الرباط يونيو 2016.

المواقع الإلكترونية:

- الموسوعة العقدية إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنتdorar.net

موقع ألوكة علي بن عبد العزيز الشبل مقالات متعلقة بالعقيدة: 4/ 2/ 5015موافق13/ 5/ 1436.

- موقع أهل القرآن نسيم يسالم: "مفهوم المشيئة في القرآن الكريم"الأربعاء 29 فبراير 2012.
موقع الدرر السنية، الموسوعة العقدية.
- موقع منار الإسلام، مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية.
- عمر إدوارد معاد موقع مؤسسة يقين،مقال تحث عنوان " ماهية علم الكلام الإسلامي التحليلي"
- د. عبد القادر شريف، مقال " التربيةالاجتماعية والدينية في رياض الأطفال" بالمرجع الإلكتروني للمعلوميات بتاريخ 19/ 5/ 2017.

الفهرس

مقدمة..... - 5 -
الفصل الأول..... - 9 -
مفاهيم ومصطلحات علم التوحيد ..... - 9 -
الفصل الأول..... - 11 -
مفاهيم ومصطلحات علم التوحيد ..... - 11 -
المبحث الأول..... - 12 -
مصطلح علمالتوحيد ..... - 12 -
تصنيفات علم التوحيد و أنواعه ..... - 15 -
المبحث الثاني..... - 18 -
مصطلح علمالعقيدة..... - 18 -
المبحث الثالث..... - 21 -
مفهومالسنة ..... - 21 -
مصطلح أصول الدين ..... - 24 -
* مفهوم الإيمان..... - 28 -
* باقي مصطلحات علم التوحيد..... - 31 -
الفصل الثاني ..... - 35 -
مصادر المعرفة و مباحث علم التوحيد ..... - 35 -
المبحث الأول..... - 37 -
مصادر المعرفة في علم التوحيد..... - 37 -
النقلوالوحي ..... - 37 -
العقل ..... - 38 -
3-الحس ..... - 40 -
المبحث الثاني..... - 43 -
الإطار التاريخي لمصادر علم التوحيد..... - 43 -
المطلب الأول : التأليف في علم التوحيد..... - 45 -
المطلب الثاني: مراجع عقائد السلف الصالح ..... - 55 -
العقيدة الواسطية..... - 56 -
العقيدة الطحاوية..... - 59 -

العقيدة الأشعرية ..... - 65 -
المطلب الثالث: الإشكالات العقدية عند الصوفية ..... - 68 -
المبحث الثالث ..... - 73 -
أقسام العقيدة وأنواع التوحيد ..... - 73 -
*توحيدالربوبية ..... - 78 -
* توحيدالألوهية ..... - 78 -
* توحيد الأسماء والصفات ..... - 79 -
* الأسماء الحسنى ..... - 79 -
المبحث الرابع ..... - 87 -
أركان الإيمان الستة ..... - 87 -
*الإيمان بالله تعالى ..... - 87 -
*الإيمان بالملائكة ..... - 88 -
والملائكة أصناف كثيرة: ..... - 89 -
*الإيمان بالكتب ..... - 90 -
الإيمان بالأنبياء والرسل ..... - 96 -
* الإيمان باليوم الآخر ..... - 99 -
* الإيمان بالقدر خيره وشره ..... - 101 -
المبحث الخامس ..... - 114 -
الإشكاليات العقدية في علم الكلام ..... - 114 -
المطلب الأول: نشأة و تطور علم الكلام ..... - 115 -
المطلب الثاني: الحدود العقدية لعلم الكلام المعاصر ..... - 121 -
الفصل الثالث ..... - 129 -
ديداكتيك علم التوحيد ..... - 129 -
المبحث الأول ..... - 131 -
مفهوم الديداكتيك ..... - 131 -
المبحث الثاني ..... - 133 -
النقل الديداكتيكي والمواد الشرعية ..... - 133 -
المحور الأول : المعالجة الديداكتيكية لعلم التوحيد ..... - 134 -
المحور الثاني: مراحل النمو الديني والتعلماتالعقدية ..... - 136 -
1ـ مرحلة الخيال: ..... - 138 -

2. مرحلة التقليد..... – 138 –
3. مرحلة الادراك ..... – 139 –
4- مرحلة الجدل ..... – 140 –
الفصل الرابع ..... – 146 –
الدرس العقدي بين الديداكتيكي والبيداغوجي..... – 146 –
المبحث الأول..... – 147 –
تعلم التوحيد بين الاستراتيجيات والمضامين المناسبة ..... – 147 –
المبحث الثاني..... – 152 –
مضامين الدرس العقدي ..... – 152 –
المبحث الثالث..... – 154 –
الدرس العقدي في المراحل الدراسية ..... – 154 –
المطلب الأول: خصائص الدرس العقدي في التعليم الأولي ..... – 155 –
* تدبير الأنشطة العقدية في الروض..... – 161 –
المطلب الثاني: خصائص الدرس العقدي في المرحلة الابتدائية..... – 166 –
*الدرس العقدي في المنهاج الجديد للابتدائي() ..... – 174 –
المطلب الثالث: خصائص الدرس العقدي في المرحلة الإعدادية والثانوية ..... – 184 –
*الدرس العقدي في المنهاج الجديد للإعدادي والثانوي () ..... – 192 –
* حدود الوضيعات المشكلة المركبة والدالة في الدرس العقدي ..... – 195 –
خاتمة..... – 204 –
قائمة المصادر والمراجع ..... – 208 –